



# العربية وإشكالية التعريب في العالم العربي

## The Arabic Language and the Problems of Arabization in the Arab World

الطبعة الأولى 2019

حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة

© المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية - **ACMLS**

ردمك : ISBN: 978-9921-700-46-6

[www.acmls.org](http://www.acmls.org)

ص.ب. 5225 الصفاة - رمز بريدي 13053 - دولة الكويت

تليفون : +965-25338610/1/2 فاكس : +965-25338618/9



المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية - دولة الكويت

# العربية وإشكالية التعريب في العالم العربي

تأليف

أ. د. علي أسعد وطفة

مراجعة وتحرير

المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية

2019م

المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية - دولة الكويت



# العربية وإشكالية التعريب في العالم العربي

تأليف

أ. د. علي أسعد وطفة

مراجعة وتحرير

المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية

سلسلة المناهج الطبية العربية

الطبعة العربية الأولى 2019 م

ردمك : 978-9921-700-46-6

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

**للمركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية**

(هذا الكتاب يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يتحمل المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية أية مسؤولية أو تبعات عن مضمون الكتاب)

ص.ب 5225 الصفاة - رمز بريدي 13053 - دولة الكويت

هاتف : +965) 25338610/1/2 فاكس : +965) 25338618

البريد الإلكتروني: [acmls@acmls.org](mailto:acmls@acmls.org)

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية

منظمة عربية تتبع مجلس وزراء الصحة العرب، ومقرها الدائم دولة الكويت وتهدف إلى:

- توفير الوسائل العلمية والعملية لتعليم الطب في الوطن العربي.
- تبادل الثقافة والمعلومات في الحضارة العربية وغيرها من الحضارات في المجالات الصحية والطبية.
- دعم وتشجيع حركة التأليف والترجمة باللغة العربية في مجالات العلوم الصحية.
- إصدار الدوريات والمطبوعات والأدوات الأساسية لبنية المعلومات الطبية العربية في الوطن العربي.
- تجميع الإنتاج الفكري الطبي العربي وحصره وتنظيمه وإنشاء قاعدة معلومات متطورة لهذا الإنتاج.
- ترجمة البحوث الطبية إلى اللغة العربية.
- إعداد المناهج الطبية باللغة العربية للاستفادة منها في كليات ومعاهد العلوم الطبية والصحية.

ويتكون المركز من مجلس أمناء حيث تشرف عليه أمانة عامة، وقطاعات إدارية وفنية تقوم بشؤون الترجمة والتأليف والنشر والمعلومات، كما يقوم المركز بوضع الخطط المتكاملة والمرنة للتأليف والترجمة في المجالات الطبية شاملة المصطلحات والمطبوعات الأساسية والقواميسي، والموسوعات والأدلة والمسوحات الضرورية لبنية المعلومات الطبية العربية، فضلا عن إعداد المناهج الطبية وتقديم خدمات المعلومات الأساسية للإنتاج الفكري الطبي العربي.



## المحتويات

ج	.....	: المقدمة
ز	.....	: المؤلف في سطور
ط	.....	: مقدمة الكتاب
1	.....	: مفهوم اللغة بين العامية والفصحى
17	.....	: مفهوما التعريب والتغريب
33	.....	: حضارة التعريب: لمحة تاريخية
		: تجارب عالمية في تبني اللغات الوطنية في
43	.....	: التعليم الجامعي
55	.....	: إخفاق التعريب في البلدان العربية
65	.....	: أزمة التعريب في العالم العربي
		: الازدواجية اللغوية في العالم العربي:
75	.....	: التضافر والتنافر بين العامية والفصحى
103	.....	: خاتمة الكتاب
105	.....	: المراجع



## المقدمة

تلعب اللغة دوراً عظيماً في صنع الحضارات، فهي وسيلة الإنسان في التفكير، بها يتم التواصل والتفاعل بينه وبين غيره من أبناء جنسه، وهي أدوات للتعبير عما يجول في خاطره من أفكار وما في وجدانه من مشاعر وانفعالات، إضافةً إلى أنها وسيلته للتعليم والتعلم، واللغة هي وعاء الفكر والحضارة، وهي الوسيلة لحفظ التراث العلمي والثقافي للأمم والشعوب وهي مقياس لما وصلت له الأمة من تقدم وتطور، فبواسطتها تنتقل الأفكار والمعارف من جيل إلى جيل، ولولاها لانقطعت الأجيال عن بعضها البعض واندثرت الحضارات، فاللغة هي الخزانة التي تحفظ للشعوب رصيدها الفكري، وهي الجسر الذي تعبر عليه الحضارات عبر الأجيال، ولقد ظهرت لغات كثيرة عبر العصور المختلفة، منها ما اندثر مع اندثار شعوبه، ومنها ما زال يمتلك دعامات مكنته من البقاء والنمو والحركة والبقاء، ولعل من أعظم اللغات وأقدمها هي اللغة العربية، فلقد امتلكت اللغة العربية من الدعامات الكبرى ما جعلها لغة فكر عالمي إنساني ضخم المعطيات والآثار ومتصلاً بكل قضايا الإنسانية، تُنقل بواسطتها ما أبدع الإنسان العربي من المعارف والاكتشافات والاختراعات في الحضارة العربية الإسلامية.

تعتبر اللغة العربية من إحدى أكثر اللغات الحضارية الأولى وأقدمها، يتحدث بها ملايين الأشخاص حول العالم، ويتوزعون في مناطق مختلفة. ولقد شرف الله - عز وجل - العربية واختصها بأن كانت اللغة التي نزل بها القرآن هدى للعالمين ليُخرج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الحق المبين؛ مما جعل للغة العربية قدسية خاصة ضمننت لها البقاء حية ومتجددة في كل العصور والأزمان، كما أصبح التمسك بها والحفاظ عليها وتعلمها والتحدث بها أمراً واجباً على كل مسلم، فيقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "تعلموا العربية فإنها من دينكم" فاللغة العربية لها أهمية ومكانة كبيرة لم تتوافر في أية لغة من لغات الأرض، فلغتنا العربية ترتبط بها دنيا ودينياً، فارتباطنا بها دينياً ينبع من أنها لغة الإسلام الذي ارتضاه الله للناس جميعاً، أما ارتباطنا بها دينياً، فينبع من حاجتنا إلى التعبير والتواصل والتفاهم ونقل التراث الحضاري واكتساب العلوم والمعارف، فاللغة العربية كانت بمثابة الممر الذي تم نقل عديد من الثقافات بين عديد من الدول المختلفة، وكانت بمثابة الراية التي يجتمع تحت ظلها عديد من الشعوب، وبمثابة الإطار الذي يحفظ داخله تاريخ العرب في العصور المختلفة، وهناك مقومات عديدة جعلت اللغة العربية لغة متجددة عبر العصور فهي لغة غنية وثرية بالمفردات، كما أنها قادرة على التجدد والتشكل والتحديث مع التطورات الجديدة، ومع

ذلك كله نجد أننا دون سائر الأمم مازلنا نهمل لغتنا ونحارب التمسك بها ونلجأ لتعليم أبنائنا باللغات الأجنبية في مؤسسات التعليم المختلفة وأحياناً نتحدث في منازلنا مع أبنائنا بلغة مهجنة من العربية والأجنبية.

إن الدارس لواقع التعليم وإشكالية التعريب في أقطارنا العربية يستشعر مخاطر التعليم بغير العربية والتي من أبرزها خلق شعور الغربة والضياع عند الدارس العربي وتطبيع فكره وثقافته بطابع اللغة الأجنبية وبمدها الثقافي وتأثيراتها الذهنية والنفسية التي لا يستطيع الطالب في المدرسة أو الجامعة أن يتخلص منها أو يقاومها، هذا في الوقت الذي تحذرنا نظريات التعليم والدراسات النفسية والاجتماعية وتؤكد على مخاطر التعليم بغير اللغة الأم، خاصة في المراحل الأولى من التعليم، ولقد اكتشفت منظمة اليونسكو أيضاً مشكلات التعليم بغير اللغات الوطنية فأصدرت بياناً تؤكد فيه أهمية استخدام اللغة الوطنية في التعليم، كما أكدت على ذلك نتائج الدراسات البحثية في مجالات التعليم واللغة والمعرفة، خصوصاً وأن العالم يعيش عصرًا تتنافس فيه اللغات وتتوغل الثقافات بسلبياتها وإيجابياتها، وتسعى الأمم لحفظ لغاتها من خلال إصدارها للتشريعات الملزمة باستعمال اللغات الوطنية في التعليم والمراسلات والثقافة وغيرها، وللتعليم بلغة أجنبية في الجامعات العربية مساوئ لا حصر لها، أبرزها أن المتخرج وخاصة في كليات الطب لا يمتلك المهارات الأساسية لا في اللغة العربية (اللغة الأم)، ولا في اللغة الأجنبية (لغة التعلم)، خصوصاً وأن المعلم أو الأستاذ الجامعي يُدرس أحياناً بلغتين وعلى نحو مهجن تختلط فيه العامية المحلية بالمصطلحات الأجنبية اختلاطاً عجيباً.

كما أن الدراسات الميدانية أوضحت أن التعامل بين الطبيب ومرضاه باستخدام لغته الأجنبية التي درس بها تفرض جواً من الغربة والجفوة بين من يقدم الخدمة وبين من يتلقاها، وأن كثيراً من الالتباس والخلط يقع بينهم ويذهب ضحيته كثير من المرضى الذين كان من الممكن إنقاذ حياتهم والتخفيف من أعباء المرض عليهم وعلى المجتمع. ولعل واقعنا اللغوي لا يسعدنا كثيراً مادامنا ندفع أبناءنا دفعاً للتعليم بلغة أجنبية ونقدم الحوافز والوظائف في أسبقية غريبة تحدد أن كل من يتخرج من الجامعات الأجنبية له الأفضلية على غيره من خريجي الجامعات العربية.

إننا نشهد في الوقت الحاضر جدلاً كبيراً وإمكانات واسعة تُقدم وتوصيات لحل هذه الإشكالية، وتحفز المزيد من الإجراءات التي تصون لغتنا العربية وتجعلها أكثر صلابة ومنافسة أمام تغلغل ومزاحمة اللغات الأخرى، ويجب علينا أن لا ننسى أن العلوم والمعارف جميعها ظلت مزدهرة باللغة العربية طوال قرون عدة، أخذ فيها الأوروبيون عن العربية علوم الطب والكيمياء والصيدلة والفيزياء والفلك والهندسة والرياضيات والجغرافيا والفلسفة

والمنطق وغير ذلك من العلوم التي تعلموها بالعربية، ثم أخذوا ينقلونها إلى لغاتهم الأوروبية، وقد ظلت المصطلحات العلمية العربية هي السائدة في مختلف العلوم، بل مازال كثير منها باقياً حتى اليوم، ويظن الجاهلون بترائنا العلمي أنها مصطلحات أجنبية تنتمي إلى اللغات الأوروبية، فهي لغة فذة لا يشوبها أي قصور علمي.

نأمل أن يحقق هذا الكتاب الفائدة المرجوة، وأن يقدم خطوة بناءً نحو حماية لغتنا العربية الغائبة، وترسيخ مفهوم اللغة الرسمية والوقوف أمام الدعوات التي تنادي بإقصائها، والتأكيد على دور المؤسسات التعليمية في خلق روح من التحفيز والتربية على حب اللغة العربية وتعلمها. وأن يكون هذا الكتاب لبنة في صرح الدعوة إلى إحياء اللغة العربية.

والله ولي التوفيق،،،

الأستاذ الدكتور/ مرزوق يوسف الغنيم

الأمين العام المساعد

المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية



## المؤلف في سطور

### • أ. د. علي أسعد وطفة

- سوري الجنسية - مواليد دمشق - عام 1955م .
- حاصل على الإجازة في علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية - عام 1982م.
- حاصل على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع التربوي - جامعة كان - فرنسا - عام 1988م.
- يعمل حالياً أستاذ علم الاجتماع التربوي - جامعة الكويت .



## مقدمة الكتاب

ضع شعباً في السلاسل... جردهم من لبسهم... سد أفواههم، لكنهم  
مازالوا أحراراً.. خذ منهم أعمالهم، وجوازات سفرهم، والموائد التي  
يأكلون عليها، والأسرة التي ينامون عليها، لكنهم ما زالوا أغنياء... إن  
الشعب يُفقر ويُستعبد عندما يُسلب اللسان الذي تركه له الآباء والأجداد..  
وعندها سيضيع للأبد.

(الشاعر الصقلي إجنازيو بوتيتا)

تأخذ أوضاع اللغة العربية المعاصرة صورة إشكالية حضارية مترامية الأبعاد ضاربة  
الجزور في مختلف التكوينات الوجودية للحياة العربية المعاصرة، وفي تضاريس هذه الصورة  
الإشكالية تتجلى هذه اللغة بوصفها أرومة الإشكاليات التي تتعلق بالهوية والنهضة والتنمية  
والحضارة والوجود الإنساني. فاللغة ليست ملمحاً عابراً من أعراض الوجود الإنساني، أو  
إضافة من إضافاته، أو مظهراً من مظاهره، بل هي الوجود الإنساني في خالص جوهره،  
وأرقى مراتبه، وأسمى معانيه، وأبهى محاسنه، إنها الوطن الروحي للإنسان، بل هي غاية تألقه  
الوجداني، وأرقى تجلياته الجمالية، إنها التعبير الأعمق عن روح الأمة ووجدانها وتاريخها،  
إذ تتجلى في أبهى صورة من صور الوعي الروحي والجمالي للأمة، وتشكل البوتقة الرمزية  
لنماء العلوم والفنون في أية حضارة نشأت، أو نهضة حضارية ستكون.

وقد تأصل في الوعي الإنساني أن الحضارة لا تكون من غير لغة تعبر عن روح الأمة  
ووجدانها، وقد تبين في حكمة الحكماء وفاهمة العقلاء أن اللغة جوهر الهوية، وأن الهوية  
لا يمكن أن تستقيم من غير لغة تحددها، لأن الهوية ترتبط باللغة وتغذي من نسغ عطائها؛  
واللغة في نهاية الأمر هي التي تحكم سلوكنا وتحدد نمط تفكيرنا الإنساني برمته؛ ولذا لا  
تكون حضارة من غير لغة متطورة في تكوينها وأدائها، ولا يمكن للغة أن تسمو إلا تعبيراً عن  
تألق حضاري لأمة تنهض وتنطلق في عالم الحضارات الإنسانية. وانطلاقاً من هذه الحقيقة  
يأتي الاهتمام باللغة العربية وشؤونها وهمومها بوصفها هوية وقضية حضارية أساسية  
ضاربة في الوجود الإنساني العربي منذ الأزل.

فقضية اللغة هي قضية هوية ووجود وحضارة بكل ما تحمله هذه الكلمات من تدفق المعاني وفيض الدلالات، ومن هنا أيضاً يأتي الاهتمام باللغة العربية وقضاياها اهتماماً بالوجود العربي وقضاياها المصيرية.

والأمة العربية - إذ جاز استخدام مفهوم الأمة - تعيش حالة انكسار حضاري طال عليها الزمن وانحدر، وفي ظل هذا الانكسار المزمّن من الطبيعي أن تعاني اللغة العربية أزمة حضارية خانقة، فهي اليوم، ومنذ الأمس أيضاً تشهد تراجعاً كبيراً وانحساراً خطيراً في مختلف المستويات الوجودية للثقافة واللغة والتعليم. وإزاء هذه الحالة المأساوية لانكسار اللغة والحضارة يدق بعض المفكرين العرب ناقوس الخطر بأعلى الأجراس قوة وأكثرها حدّة؛ فاللغة العربية تذوي وتندثر في ظل انكسار حضاري تمكّن من روح العروبة وجوهر الحضارة العربية التي ما زالت تفقد مكانتها وحضورها في زمن الانحدار والسقوط والانحطاط.

ومهما يكن أمر هذه الوضعية الحضارية، فأزمة اللغة العربية وتحدياتها المصيرية تشكل تعبيراً مكثفاً عن حالة الانكسار الحضاري، ولا غرو في ذلك: لأن ضعف اللغة القومية وانحسارها تعبير مكثف عن تراجع حضاري، ومن ثم فإن هذا الانحسار وذاك التراجع يعني انحساراً في قوة الأمة، وتراجعاً في مكانتها وقدرتها على الحضور في عالم الحضارة والنهضة للأمم الحيّة. فاللغة الميتة تعني حضارة ميتة وإذا أخذنا مختلف المؤشرات على واقع اللغة العربية اليوم نستطيع القول بأن اللغة العربية تعيش اليوم حالة خدر شمولي وتصعد وجودي بل هي حالة انكسار وانحدار وانحسار، والحالة هذه تحتاج إلى حالة إنعاش حضارية كبرى، حالة إحياء حضاري تمكّنها من الانطلاق من جديد في مسار التكوين الحضاري للأمة العربية.

وانطلاقاً من الإحساس بالكارثة الحضارية لانحسار اللغة العربية وانكسارها شغل المفكرون العرب بقضايا اللغة وهمومها وشجونها، فعقدوا لأمرها الندوات، وأطلقوا المؤتمرات، وتكاثفت لغاية النهوض بها جهود المنظمات والجمعيات والمؤسسات على مدى القرن الماضي، أي: منذ بداية القرن العشرين حتى اليوم. ومع أهمية الجهود الكبرى التي بذلت لإحياء اللغة العربية وتمكينها وتأصيلها كلغة قومية نهضوية فإن ذلك كله لم يمنع من تكاثف الانحدار وتعاضم السقوط وتتابع الانحسار الذي تشهده هذه اللغة العربية بياناً وحضوراً وإبداعاً. وهذا يدل دلالة واضحة على أن الانحدار الحضاري يؤدي دائماً إلى تراجع في لغة الحضارة نفسها، وهذا هو حال اللغة العربية التي لا تجد في الأرض ملاذاً حضارياً يأخذها إلى برّ الأمان والأمان على دروب الحياة الإنسانية المعاصرة بما يعتمل فيها من مظاهر التقدم والتحديث والانطلاق الحضاري.

فاللهجات العامية تتوالد وتعيش على أنقاض العربية الفصيحة، وها هي اللغات الأجنبية المحمولة على مراكب العولة والثورات التقنية تكتسح العربية وتدمر حصونها، وتنكل بعروبة أبنائها وتدمر هويتهم القومية؛ والأدهى من ذلك كله أن أهل العربية وأبناءها، يمعنون مع من يمعن فتكاً بلغتهم القومية، وتدميراً لمقومات وجودها، وإجهازاً على ما بقي من أشلائها، وحالهم في ذلك حال من يهدمون بيوتهم بأيديهم ويحرقون أشجارهم بنارهم، فاعتبروا يا أولي الألباب.

وها هي الأنظمة التربوية والتعليمية في العالم العربي تشهد انحساراً كبيراً للغة العربية الفصحى في مختلف المستويات العلمية والفكرية والثقافية، كما تشهد هذه اللغة تراجعها المتعاضم في مختلف المؤسسات والقطاعات الوجودية للحياة الاجتماعية، وهي بذلك تذوي وتراجع وتفرض وتنحسر، وتترك مكانها للغات الأجنبية واللهجات العامية.

وفي هذا الإطار، تشكل مسألة تعريب التعليم العام والجامعي قضية القضايا، ومعضلة المعضلات، وإشكالية الإشكاليات؛ وقضية التعريب ما زالت تطرح بطريقة خافتة خجولة على الساحة السياسية منذ اللحظات الأولى لتشكل المؤسسات العلمية والأكاديمية في العالم العربي، ويضرب ثقله في مختلف المحافل العلمية والسياسية في العالم العربي في مختلف أصقاعه منذ مرحلة الاستقلال حتى اليوم. ولكن هذه القضية ما زالت خارج دائرة الحسم السياسي ولم تجد الطروحات الخاصة بالتعريب نفعاً في مجال اتخاذ القرارات السياسية الجادة على مستوى العالم العربي.

ومن يتأمل في الحركة العلمية والسياسية النشطة المنادية بتعريب التعليم ومؤسساته سيجد ركماً هائلاً من الفعاليات في عدد كبير من المؤسسات والمجالات والدوريات والمؤتمرات والندوات العلمية واللقاءات السياسية التي تتناول قضية التعريب وملابساته. ولكن المفارقة أن هذا النشاط الهائل لمحافل التعريب وفعالياته يتناقض مع الواقع الفعلي لعملية التعريب ذاتها، فالتعريب يأخذ خطأً معاكساً مناقضاً للنشاطات العلمية والفكرية التي تنادي به هذه المحافل وتلك المؤتمرات؛ فالتعليم العالي العربي يعنى في غربته اللسانية، واللغة العربية تجر ذيولها في هجره لا تنقطع، والتعليم يغرق في مستنقع التعريب على إيقاعات اللغتين الفرنسية والإنجليزية اللتين بدأتا تتحولان إلى لغات رسمية معتمدة للتعليم في الجامعات والمؤسسات العلمية العربية بين المحيط والخليج.

وعلى نقيض الواقع أصبح التعريب ثورة ملتهبة من الشعارات البراقة التي تتوالد في مختلف أصقاع الحياة الفكرية والسياسية، وهي شعارات اعتاد المؤتمرون العرب في المستويات السياسية والعلمية أن يطلقوها ويرددوها، ويغذوها بالطاقة الرمزية المقدسة

للكلمات، من منطلق الغيرة الخالصة على العروبة والهوية والعربية والإسلام، ومع ذلك فإن هذه الشعارات تتبخر في شمس الصحاري العربية الدافئة فلا تسقط قطراتها الندية على نبات الأرض وخمائره العطشى.

لن نعدد المؤتمرات التي ينسخ بعضها بعضاً، ولن نخوض في التوصيات التي تتوالد في تقاطر الإيقاع الواحد، بل نقول: إن هذه المحافل التعريبيه لا يمكن حصرها لكثرتها، ولا يمكن ضبط إيقاعها لشدة تنوعها، إذ هي في تزايد مستمر، فالمؤتمرات والندوات تتعاقب في دورة زمنية لا تنتهي فيها تكتكة الثواني ودورة الدقائق وتعاقب الساعات.

والأسئلة التي يمكن أن توجه إلى عاقدِي هذه المؤتمرات، وراسمي هذه الاستراتيجيات، والناشطين في هذه المحافل كثيرة مثيرة، منها: ما مصير هذه المؤتمرات التي عقدت والندوات التي أبرمت منذ عهد الاستقلال حتى اليوم؟ ولماذا تعقد هذه المؤتمرات إذا كانت نتائجها لا تفضي إلى نتيجة واقعية ولا تؤثر في واقع الحال؟ والسؤال الكبير هو: أين مئات التوصيات التي طرحت، وآلاف المقترحات التي دبجت، وعشرات القرارات التي اتخذت في مجال التعريب؟ وأخيراً وليس آخراً، أين التعريب بعد هذه الفعاليات السياسية والعلمية والأكاديمية التي انطلقت منذ قرن من الزمان تقريباً؟ أين هو التعريب في التعليم الجامعي؟ وإلى أين وصل مداه؟ وما الذي تحقق منه في المؤسسات العلمية والجامعات والأكاديميات في العالم العربي؟

والإجابة عن هذه الأسئلة يأخذ طابعاً مأساوياً: فالوقائع تدل على غياب التعريب الحقيقي في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، فالجامعات العربية ماضية في رحلة التغرّب والاغتراب عن أهلها ولغتها، كما هي ماضية في تغريب العلم والمعرفة، فاقدة الصلة بمجتمعاتها وأروماتها الاجتماعية والإنسانية. أما هذه المؤتمرات التي تتكاثر وتتعاقد دون توقف فقد أصبحت مهنة ووظيفة هؤلاء الذين يتباكون على التعريب وينادون به في قاعة المؤتمرات ثم ينسون ما طرحوه، وما ناقشوه على أعتاب الحافلات والطائرات المسافرة من مكان إلى مكان ومن زمان إلى آخر في معمورة العرب والمسلمين.

ولا يكاد التعليم الجامعي والعالي في أي بلد عربي يختلف عن حاله في الدول العربية الأخرى، حيث تتوغل الجامعات العربية في أنفاق غربتها، وتتآكل في مستنقعات اغترابها، لتتحول إلى منصة فاعلة في عملية تغريب العربية والعلم والفكر والثقافة. والواقع ينبئ بأن الجامعات العربية تغرق في مستنقع التغريب وفي لجج الاغتراب وتتحول إلى قوة مضادة لكل محاولات التوطين الحقيقي للمعرفة والعلم بلغة أهلها ومنطق رؤيتهم للوجود.

فالعربية بفصاحتها وعمق دلالتها وسمو معانيها تعاني الهزيمة، وتفقد أهميتها على إيقاعات عولة فظة متسارعة في خطاها وحداثة تكنولوجية مرعبة خاطفة في مضها، وتترك

مكانها للهجات العامية واللغة الإنجليزية التي تجول زهواً بانتصارها في رحاب الجامعات كما هو الحال في رحاب المؤسسات التعليمية في التعليم العام والخاص، وهذا يشكل في النهاية صورة من القطيعة بين التعليم الجامعي واللغة العربية الفصيحة في مختلف المدارات وتنوع المسارات. وليس غريباً، ربما، ما تعانيه اللغة العربية من تراجع وتقهر وانحسار، فهو زمن العولمة الذي يسحق الهويات، فيبدأ بتدمير حصونها اللغوية، لأن اللغة هي التي تشكل روح الهوية ونسج وجودها، وضمن هذه الرؤية لواقع اللغة العربية الرافلة في تـموج الأزمات، الغارقة في مستنقع الرفض والإهمال، تأتي هذه الدراسة استكشافاً لهذا الواقع المأساوي للغة العربية في التعليم العالي العربي.

ثلاثة عقود من الزمن انصرمت لتشكّل قوام تجربة الباحث في التدريس الجامعي، في رحاب جامعات عربية متعددة في سوريا وليبيا وقطر والكويت، وهي تمثل ثلاثة عقود من الملاحظات المنهجية التي تتعلق بأوضاع اللغة العربية ومستويات توظيفها في التدريس، وفي مختلف مستويات الفعاليات الأكاديمية تصرّح بأن العربية في خطر وتنبئ بتراجع كبير في مستوى حضور العربية التي ما فتئت تتراجع وتتكشف وتـنحسر. وفي مطلع كل عام دراسي تزداد درجة الانحسار والتراجع حتى أصبحت اللغة العربية على درجة كبرى من الضعف والقصور والهامشية في رحاب الجامعة والحياة الجامعية في مختلف أصقاع العالم العربي مترامي الأطراف.

وضمن صورة هذا التراجع والانحدار الكبير في مستوى حضور العربية تكتسح اللغة الإنجليزية والفرنسية أحياناً مـرابع التعليم الجامعي على حساب هذا التراجع الكبير في مستوى حضور اللغة العربية في الحياة الأكاديمية للبلدان العربية. وفي هذا المشهد من تراجع اللغة العربية وحضور الإنجليزية أصبحت اللغة العربية هجينة ضعيفة خاوية لا قدرة لها ولا مقدار، وأصبحت النظرة إليها وإلى مستخدميها نظرة دونية فيها كثير من الازدراء والتبخيس والانحدار. وقد أصبح من الطبيعي جداً أن تسمع المحاضرين في الجامعات يحاضرون باللغة الإنجليزية، وعلى خلاف ذلك ينظر الطلاب بدهشة واستغراب عندما يواجهون محاضراً يستخدم الفصحى وكأنه قد خرج إليهم من ظلمات العصور الوسطى القديمة ليخاطبهم بلغة تفوح منها رائحة الزمن وتترنح على إيقاعات الحوادث الغابرة التي أصبحت خارج التداول الحضاري للعصر.

وقد يدعشك في دائرة هذه الصورة أن تجد عدداً كبيراً بين أساتذة الجامعة وهم يترنحون تحت ضغط الاستخدام المزدوج للغة العربية والإنجليزية في عملية خاط عجيبة هجينة، حيث تتداخل العبارات والألفاظ الأجنبية مع العربية في مزيج غريب يحتاج إلى خبراء متخصصين في فهم الرموز والدلالات لفهم غاية القول، إن كان في أقوالهم المستهجنة

معنى أو دلالات قابلة للفهم. وأصبح الخط والعجن بين العامية والفصحى والإنجليزية والفرنسية منهجاً لسانياً يعتمد أصحابه في الدلالة على علو ثقافتهم ورتقي تحصيلهم الثقافي واللساني. فالخط والعجن اللساني أصبح موضة ومنهجاً وطريقة يريد أصحابه تأكيد أنفسهم والتعبير عن هويتهم الثقافية المتميزة.

ومن المدهش في الأمر أن الإنسيابية اللغوية والسليقة اللسانية قد أصبحت تعبيراً عن الضعف الثقافي لصاحبها وانحدار مستواه، وقد يتقصد بعض المتكلمين من أساتذة الجامعة وغيرهم من المصابين بأعراض التزامن اللغوي مزج لغتهم بالألفاظ الأجنبية للتعبير عن علو شأنهم وعمق تحصيلهم الثقافي والعلمي.

وقد أدهشني كثيراً أن هذه الهجانة اللسانية توظف في الاجتماعات الرسمية والندوات والمحاضرات وكأنني بأصحاب هذا المنهج يرون في إتقان العربية نقصاً وعبياً، إذ يجب على المتكلم أن يبرهن على ضعفه في اللغة العربية ليعتمد العامية، ومن ثم ليبرر لجوئه إلى الإضافات الأجنبية لتفسير وشرح ما يرغب في شرحه وتفسيره.

هذه الهجانة اللسانية تشكل مؤشراً كبيراً على غياب العربية وتغييبها، وهي ظاهرة تعبر في جوهرها عن مواقف سلبية نحو اللغة العربية التي بدأت تمسخ إلى لغة عامية هجينة في أبعادها المموجة باللغة الإنجليزية.

وضمن التصور العام للملاحظات الكثيرة يلاحظ الباحثون الانحدار الكبير في مستوى الأداء اللغوي باللغة العربية للطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية وإلى تنام كبير في المواقف السلبية من اللغة العربية والنظر إليها بوصفها لغة موميائية صالحة لأداء الطقوس الدينية ورواية الحكايات الأسطورية والترنم بالأشعار الجاهلية، فالجامعات في الوطن العربي تمعن في إقصاء اللغة العربية، والعربية محرّم عليها أن تدخل أروقة الكليات العلمية، كما أن الإنجليزية تزحف على ما تبقى من مناطق نفوذ حتى في الكليات الإنسانية التي ما زالت تدرس بالعربية وفي الكليات التي ما زالت تدرس بالعربية، تواصل العامية صولتها وجولتها صائرة إلى احتلال مكان العربية الفصحى أو منصهرة فيها، حتى أصبحت هذه الأخيرة غريبة هجينة مستبعدة، وليس أدل على ذلك من جهل الطلاب وعدد كبير من أساتذة الجامعة بمقوماتها وأصولها اللغوية. ولو كان الأمر يقف عند حدود الجهل بها وبمكانتها وأهميتها لهان الأمر وضعف الخطر، ولكن ما يرهب ويخيف أن الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية تجاوزوا حدود الجهل باللغة إلى مواقف العداوة منها، فبعضهم لا بل كثير منهم يقف موقفاً سلبياً منها ويعمل على أن ينال منها ويقلل من شأنها ويهاجمها في أنات الليل وومضات النهار.

وضمن هذه الرؤية يمكن القول إن اللغة العربية تعيش وضعاً كارثياً تراجيدياً، فثمة عوامل تعمل على تدميرها وإقصائها ومن جملة هذه العوامل: اللغات الأجنبية، واللهجات المحلية، والمواقف السلبية، والممارسات اللغوية، وغياب الاهتمام الرسمي والأكاديمي، وغياب التعريب.

ومن يتأمل في حال اللغة العربية اليوم وأوضاعها في الجامعات العربية سرعان ما تقفز إلى ذاكرته السمفونية الشعرية للمتنبي واصفاً المشهد الاغترابي للعربية في شيراز في عهد عضد الدولة إذ يقول<sup>(1)</sup>:

مغاني الشعب طيباً بالمغاني  
بمنزلة الربيع من الزمان  
ولكن الفتى العربي فيها  
غريب الوجه واليد واللسان  
ملاعب جنة لوسار فيها  
سليمان لسار بترجمان

وباختصار يمكن القول: إن اللغة العربية تتعرض لمخاطر كبيرة تهدد وجودها وتقوض أركانها. ومن هذا المنطلق يأتي اهتمام هذه الدراسة بتقصي أحوال اللغة العربية وقضايا التعريب في رحاب الجامعات العربية للكشف عن مختلف ملامسات واتجاهات التعريب على قضية الحضور اللساني للغة العربية في رحاب الجامعات العربية.

ومن أجل استكشاف الأبعاد الميدانية لظاهرة التعريب في الجامعة كان من الضرورة بمكان التوجه إلى ملامسة هذه الظاهرة في أعماق تجلياتها التي تتمثل في الممارسات اللغوية لطلاب الجامعات العربية ضمن الشروط الأكاديمية والاجتماعية والتربوية التي تحيط بهم. ومن خلال هذا العمل نأمل تقديم صورة بيّنة واضحة المعالم لواقع الممارسة اللسانية في المؤسسات الأكاديمية وتحديد أبرز المشكلات، وأهم التحديات التي تواجه اللغة العربية في رحاب الجامعات العربية الخليجية

وأخيراً فإن هذا العمل يبحث في إشكالية التعريب ومظاهره وتحدياته وفرصه من خلال الفعاليات والممارسات الأكاديمية للطلاب وأعضاء هيئة التدريس، كما تبحث في تأثير منظومة من الفعاليات والممارسات اللسانية القائمة في الجامعات العربية ومؤسسات التعليم العالي العربي، وفي هذا السياق فإن هذا العمل يتناول مختلف المؤثرات الأكاديمية والاجتماعية الفاعلة في عملية التعريب ودورها في الممارسة اللسانية للطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات العربية.

(1) العصر الأموي: أبدع المتنبي هذه القصيدة حينما مرَّ بشعب بُوَّان من أرض فارس (إيران) وقد أحسَّ بغربة اللسان والانتماء في أرض العجم.

وبصيغة أخرى يتقصى هذا العمل حدود وأبعاد ظاهرة التعريب في الجامعات العربية في ضوء مختلف النظريات والمقولات السوسيوولوجية المعاصرة، وإذا كان هذا العمل يقدم لنا الصورة العامة لوضع اللغة العربية في الجامعات العربية فإنه يرد له إثارة هذه القضية ودفعها إلى دائرة الاهتمام السياسي والاجتماعي والأكاديمي في الدول العربية. وفي دائرة هذه الغاية يتوجب علينا أن نستصرخ الرأي العام في الوطن العربي من أجل العناية باللغة العربية وتمكينها وتأسيس مقومات وجودها حفاظاً على الهوية والتراث والتاريخ والحضارة العربية.

وباختصار يتحرى هذا العمل قضية التعريب في مختلف تجلياتها الفكرية ومساراتها النظرية، ويضيء مختلف المفاهيم والتصورات والقضايا والمسارات التاريخية للتعريب، كما يضيء على التجارب العربية والعالمية في مجال التعريب وتمكين العربية. وقد حاولنا عبر هذا الكتاب أن نعالج مختلف الجوانب الفكرية لقضايا العربية والتعريب، وأن نقدم بعض التصورات الفكرية عامة عن مختلف القضايا والنظريات التي تتعلق بمفهوم التعريب وتاريخه والتجارب العربية في عملية تعريب التعليم العالي والجامعي، ويشمل هذا التناول معوقات تعريب التعليم العالي والجامعي في العالم العربي، ويستعرض أهم التجارب العالمية في تبني اللغات الوطنية والقومية، وأخيراً يقدم الكتاب تصديراً شاملاً لقضايا التعريب ومشكلاته من خلال الدراسات الميدانية للجامعات العربية في الوقت الراهن.

وضمن دائرة الأمل في أن تحقق هذه الدراسة جدواها، وتقارب غايتها العلمية والأكاديمية في الكشف عن أكثر القضايا أهمية وحيوية، يحدونا أمل كبير في أن تشكل منطلقاً علمياً وأكاديمياً للاهتمام بقضية اللغة العربية وإيلاء هذه القضية ما تستحقه من اهتمام في مختلف المستويات السياسية والاجتماعية والأكاديمية.

يتناول هذا الكتاب قضايا العربية وإشكاليات التعريب في التعليم العالي والجامعي العربي. ويتكون الكتاب من سبعة فصول، يعالج أولها (مفهوم اللغة بين العامية والفصحى) العلاقة بين مختلف التصورات التي قدمت لتعريف اللغة وعلومها، يتناول الفصل الثاني (مفهوما التعريب والتغريب) ويبحث في طبيعة العلاقة القائمة بينهما ويرسم صورة كل من هذين المفهومين في دائرة العلاقة الإشكالية مع مختلف قضايا التعريب واللغة العربية. وفي الفصل الثالث (حضارة التعريب: لمحة تاريخية) يتناول الكتاب البعد التاريخي لقضية التعريب في مختلف مراحل الحضارة العربية الإسلامية. وفي الفصل الرابع يستعرض الكتاب أهم (التجارب العالمية في تبني اللغات الوطنية في التعليم الجامعي). ويكرس الفصل

الخامس لبحث عوامل (إخفاق التعريب في البلدان العربية). ويستعرض الفصل السادس (أزمة التعريب في العالم العربي). أما الفصل السابع فيتناول (الازدواجية اللغوية في العالم العربي: التضافر والتنافر بين العامية والفصحى)..

والله ولي التوفيق،،،

أ. د. على أسعد وطفة





# الفصل الأول

## مفهوم اللغة بين العامية والفصحى

"إن الذي ملأ اللغات محاسناً ... جعل الجمال وسره في الضاد"

(أحمد شوقي)

"العربية لغة كاملة محببة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة"

(عبد الوهاب عزام)

تقتضي الضرورة المنهجية للبحث في قضايا اللغة العربية والتعريب أن نتعرض لمفهوم اللغة وأن نقدم تصوراً موضوعياً لهذا المفهوم بما يشتمل عليه من إشكالية التعارض بين العامية والفصحى. فالتعريف بالمفاهيم الأساسية للدراسة يشكل منطلقاً منهجياً يؤسس جوهرياً لفهم أعمق وأشمل لمختلف جوانب الدراسة في تجلياتها النظرية والميدانية.

ويمكن لنا أن نقول في هذا السياق إن مفهوم اللغة بمضامينه المتنوعة يشكل أحد المفاهيم الإشكالية التي ترتبط بقضايا التعريب وملابساته. ومفهوم اللغة من المفاهيم التي تثير كثيراً من الجدل والاختلاف بين علماء اللغة وفقهائها. ومن أجل الكشف عن ملابسات هذا المفهوم خصصنا هذا الفصل للتعريف بأهم المناحي والدلالات التي تساعدنا في تكوين تصور واضح عن العمق الدلالي لمفهوم اللغة بما ينطوي عليه من تشاكل العامية والفصحى.

فاللغة اختراع تفرد به الإنسان في مملكة الكائنات الحية، وفي عمق هذا الاختراع تكمن عبقرية الإنسان اللسانية التي مكنته من اختزال الوقائع في رموز وصور وإشارات تتداخل وتتكامل في نظام لغوي بالغ التعقيد. وقد هيأت اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية نفسية بيولوجية المخاض لولادة فروع علمية لسانية تبحث في نشأة اللغة وتاريخها وأشكالها وقانونية وجودها. (وظفة، 2011، 289).

ونظراً للأهمية الكبيرة التي تأخذها اللغة في مختلف مناحي الحياة والوجود ظهرت اليوم علوم سوسيوبيولوجية وأنثروبولوجية نشطة كرسَتْ نفسها لبحث التجليات اللسانية للغة في مختلف مناحي الحياة والوجود الثقافي للأمم والشعوب وتحليل مختلف القضايا التي ترتبط باللغة والمجتمع.

## علم اللغة

يمكننا تعريف علم اللغة (الذي يسميه بعضهم اللسانيات: Linguistics) ببساطة بأنه الدراسة العلمية للظواهر اللغوية بحثاً في طبيعتها واستكشافاً لأنساق تفاعلاتها الداخلية والخارجية. وعلم اللغة يدرس بنية اللغة فيما يتعلق بأصواتها (Phonetics, Phonology)، وبنية كلماتها (Morphology) وتشكيلات جملها (Syntax) ودلالاتها ومعانيها (Semantics) (حجازي، 17، 1997).. واستطاع رواد هذا العلم أن يطوروا البحث العلمي في هذا المضمار، وأن يؤسسوا لمناهج علمية جديدة تتناسب مع القضايا اللسانية والظواهر اللغوية، واستطاعوا في نهاية الأمر ترسيخ منظومة متكاملة من التقاليد العلمية والمناهج البحثية في مختلف مناحي واتجاهات الظاهرة اللغوية.

وفي خضم التطور الذي شهدته الدراسات والأبحاث اللسانية ظهرت فروع علمية لسانية متعددة أبرزها علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics) الذي يعنى بدراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع بوصفها ظاهرة اجتماعية. وتندرج تحت هذا العلم فروع أخرى كعلم اللهجات (Dialectology)، والتخطيط اللغوي (Language Planning)، والتحول اللغوي (Language Shift)، والموت اللغوي (Language Death).

ويعود إلى دوركهيم (Durkheim) فضل السبق في النظر إلى اللغة في جوانبها الاجتماعية، ويتبدى ذلك حين يقرر منذ البداية أن اللغة ظاهرة اجتماعية،

أو "شيء اجتماعي" بالدرجة الأولى (Grawitz, 1984, 314). وتجد رؤية دوركهايم هذه تعزيزاً لها في أفكار جون ديوي Dewey الذي ينظر إلى اللغة بوصفها نمطا من السلوك الاجتماعي، هذا ويجمع كل من دوركهايم، وديوي، وساسور (Saussure) على أهمية العلاقة التي تربط بين اللغة والحياة الاجتماعية، كما يجمعون على أهمية الشروط الاجتماعية للغة بوصفها الإطار الموضوعي لنمو اللغة وتطورها وتباينها بتباين المجتمعات الإنسانية. وتأسيساً على هذا التصور يعلن كثير من الباحثين والدارسين أن البحث اللغوي في مجال المجتمع يمكن من استكشاف معمق لمختلف القضايا الاجتماعية في المجتمع.

واستطاع عالم اللسانيات المعروف (إدوار سايبير) أن يستكشف العلاقة الجوهرية بين اللسانيات والحياة الاجتماعية في دراساته وأبحاثه الأنتروبولوجية المعمقة حول اللغة والمجتمع، فوضع الأسس المنهجية لدراسة العلاقة بين الأنتروبولوجيا واللغة. ويرى سايبير في هذا الصدد أن اللغة الأم التي يتكلمها أبناؤها ويفكرون بواسطتها تنظم تجربة المجتمع وتصوغ المعالم الأساسية لوجوده وكيونته الذاتية؛ لأن اللغة - كل لغة - تنطوي على رؤية مميزة وخاصة للعالم، واستطاع ساسور بعبقريته المعهودة أن يكتشف "أن جزءاً كبيراً من العالم الحقيقي يوجد بشكل لا شعوري في العادات اللغوية لشعب ما (بركة، 2002م، 84). وفي هذا الاتجاه يقول عالم النفس الأمريكي دينلاب (Dunlap): "إنه يمكننا أن نعرف أشياء كثيرة عن حياة الشعوب والأمم عن طريق دراسة وتحليل اللغات التي تتكلمها" (عبد الواحد، 1951م، 99).

### في مفهوم اللغة

جاء في القول المأثور إن "اللغة تفكير منطوق والتفكير بأنه لغة صامتة".

ويعرف ابن خلدون اللغة بقوله: «اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل اللسان، ناشئة عن القصد في إقامة الكلام. فلا بد أن تكون ملكة مقررة في العضو العامل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم» (أحمد، 1991م).

ويعد تعريف ابن جنّي (المتوفى 392 هـ) للغة في كتابه "الخصائص" من أكثر التعريفات تواتراً وتأثيراً إذ يقول في تعريفها: "أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل

قوم عن أغراضهم". وهذا التعريف يتضمن في جوهره مختلف المعطيات الحديثة لعلم اللسانيات في مجال تعريف اللغة، ويتوافق مع معظم النظريات الحديثة التي عرّفت اللغة (حجازي، 1997م، 10). ويتطابق تعريف ابن جني مع التعريف الذي جاء في لسان العرب، وفيه " أن اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن منظور، 1955، 116).

وجاء في المعجم الرائد عن تعريف «اللغة الفصحى» بأنها: كل لغة نهجية تخضع لقواعد الصرف والنحو ولأصول التركيب اللغوي، وهي لغة الأدب والعلم ووسائل الإعلام والصلاة وما إليها، وعكسها «اللغة العامية»، وهي اللغة المحكية. (المعجم: الرائد). وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر أن اللغة العربية الفصحى هي: لغة القرآن والأدب، وهي لغة خالصة سليمة من كل عيب، لا يخالطها لفظ عامي أو أعجمي، خلاف العامية. ويحرص الخطباء والدعاة على استخدام الفصحى في كلامهم، - تذاع نشرات الأخبار باللغة العربية الفصحى (معجم اللغة العربية المعاصر).

فباللغة كما تنص عليه هذه التعريفات القاموسية: ألفاظ وضعت لمعان، وهي لسان القوم به يتعارفون ويتواصلون. هذا يعني أنها كلام يتفق عليه الناس في مجتمع محدد ويحددون نسق الدلالات فيه والمعاني وطرق الاستخدام. ولا يخرج المحدثون كثيراً عن هذا السياق القاموسي في تعريفهم للغة، وعلى هذا النحو يعرف ناصر الدين الأسد اللغة فيقول: "بأنها ماهية دلالية قوامها حروف وأصوات: حروف حين تكون مكتوبة، وهي أصوات حين تكون ملفوظة منطوقة. ولكنها في دورها وحقيقتها إنما هي معان ومدلولات تصبح أحياناً صوراً بيانية وخاصة حين تنضو اللفظة إلى غيرها في سياق من الكلام" (الأسد، 2004م، 16). "ويتطرق الأسد إلى وظيفة اللغة بوصفها أداة اتصال وتفكير فيقول: "واللغة بما تكتنزه من معان ودلالات وأحاسيس وسيلة للتفكير، كما أنها وسيلة للتعبير والتواصل بين الناس" (الأسد، 2004م، 17).

ومن أكثر تعاريف اللغة تداولاً اليوم التعريف الذي يقول "إن اللغة نظام رمزي يستعمل للاتصال بين بني البشر، وهو يتكون من عناصر متناسقة أصغرها الأصوات وأكبرها الجمل والعبارات" (بغول، 2004م). واللغة كما يرى عدد كبير من المفكرين

أكثر من الكلام وأعمق من الكتابة وأشمل من التفكير، وعلى هذه الصورة يراها يحيى الرخاوي الذي يقول: "إن اللغة هي الأصل، وهي التركيب الغائر للكيان البشري، والكلام أحد مظاهرها" (الرخاوي، 2003م). ويرى السيد "أن مفهوم اللغة مفهوم شامل وواسع، لا يقتصر على اللغة المنطوقة، بل يشمل المكتوبة أيضاً، والإشارات، والإيماءات، والتعبيرات الوجيهة التي تصاحب عادة سلوك الكلام" (السيد، 1988م، 11).

ومن التعريفات الشمولية التي أعطيت للغة التعريف الذي يسوقه محمد عبد القادر أحمد فيقول: "اللغة مجموعة منظمة من الرموز الصوتية أو المكتوبة التي ترمز إلى المعاني والأفكار، يتفاعل بواسطتها أفراد المجتمع الإنساني، ويستخدمونها في أمور حياتهم، وبها يتم التواصل والتفاهم بين الناس، ونقل ثقافة الآباء والأجداد إلى الأجيال القادمة، وهي من هذه الزاوية وسيلة اجتماعية تؤدي وظيفة حيوية في الحياة الإنسانية" (أحمد، 1991م).

ويؤكد أحمد على الطابع الرمزي للغة فيقول: "اللغة منظومة رمزية كبرى تشتمل على عدد من الأنظمة الفرعية التي يتألف كل منها من مجموعة من المعاني تقابلها مجموعة من المباني المعبرة عن هذه المعاني، ثم من طائفة من العلاقات التي ترتبط فيما بينها" (أحمد، 1991م). وتؤكد هذه التعريفات في أغلبها على اللغة بوصفها أداة تفكير وتواصل واتصال في المجتمع، وهي ضرورية للاستدلال على المعاني المتوخاة من كل الرموز والمعاني والدلالات المطلوبة.

ويقدم الرخاوي تعريفاً يمزج ويربط فيه بين اللغة والوعي والوجود فيقول: "اللغة ليست إضافة لاحقة بظاهر الوجود البشري، الفردي أو الجماعي، بل هي الوجود البشري في أرقى مراتب تعقده، إذ هي التركيب الغائر الذي يمثل الهيكل الأساسي الذي يصدر منه السلوك" (الرخاوي، 2003م).

ويميز سوسور في بنية اللغة بين صورتين: فهناك اللغة بوصفها ملكة فطرية في الإنسان، وهناك اللغة بوصفها طاقة رمزية مكتسبة. فاللغة في صورتها الأولى قوة فطرية بطبيعتها يزود بها كل مولود بشري، وهي من أهم السمات الفطرية التي تميز الإنسان عن الحيوان. أما اللغة المكتسبة فهي تنويعات لغوية مكتسبة تأخذ صورة نظام من العلامات التي تتحد بمعانيها (De Saussure, 1968, 32).

- ويميز بسام بركة ثلاث سمات أساسية للغة في مفهومها الشامل، هي:
- أ - اللغة نظام يتغير بتغير المجتمعات تاريخياً ومكانياً وهي دليل على الواقع الاجتماعي.
- ب - اللغة مؤسسة ثقافية واجتماعية وهي نسبية متغيرة واصطلاحية.
- ج - اللغة تقوم بدور مهم في عملية المعرفة عند الفرد وعند الجماعة على حدّ سواء (بركة، 2005م، 25).

ويركز هذا التصور الشامل على أهمية التغير والسيروية في بنية اللغة بوصفها مؤسسة اجتماعية ثقافية، كما يؤكد على الأداء المعرفي للغة ودورها في بناء الثقافة والوعي. ونستطيع أن نقول مع الشاعر السوداني الفيتوري بأن اللغة "منهج فكر، وطريقة نظر وأسلوب تصوير، وهي رؤية متكاملة تمدها خبرة حضارية متفردة، ويرفدها تكوين نفسي مميز، فالذي يتكلم لغة هو في واقع الأمر يفكر بها، فهي تحمل في كيانها تجارب أهلها وحكمتهم وخبرتهم وكلمتهم وبصيرتهم وفلسفتهم" (الفيتوري، 1986م، 20). وهي "إبداع إنساني يلبي الحاجات الطبيعية والروحية والاجتماعية وهي قابلة دائماً لاستيعاب الجديد، وهي منهج فكر وأسلوب تصوّر، لأننا نفكر بلغتنا التي تعبر عن هويتنا وتجارب حياتنا وفلسفتنا وتراثنا وبصيرتنا؛ مما يؤكد قدرتها على مواصلة دورها الحضاري واستيعابها للمعرفة البشرية في كل زمان" (محبوب، 2012م).

ويمكننا أن نستخلص بناء على ما تقدم من تعريفات أن اللغة نظام رمزي ذهني معقد التكوين، يعبر عن هوية مجموعة بشرية، ويرسم حدود حضورها الإنساني في الوجود، وأنها تشتمل على فلسفة المجتمع والبنية الذهنية له وطريقة التفكير فيه، وهي تشكل بنية وظيفية شديدة التعقيد بها يتواصل أفراد الأمة ويتفاعلون ويبدعون إنسانياً ويرسمون حدود تاريخهم وحضارتهم. ويمكن النظر إلى اللغة بوصفها الإطار العام للوجود الإنساني والحضارة البشرية، إذ لا يمكن لأمة أن تكون من غير لغة، ولا لحضارة أن تقوم وتزدهر في قطيعة مع اللغة التي تشكل خصوصية الإنسان عبر التاريخ. وباختصار ترمز اللغة - بوصفها ماهية إنسانية مثقلة بالمعاني - إلى الوجود البشري في أرقى تجلياته، وأعظم إبداعاته، إذ هي سيروية ووعي دائم التشكل والتجدد والتغير تتجلى في صورة إبداع لخطاب متدفق بالدلالات والألفاظ والمعاني.

## في مفهوم الفصحى

الفصاحة عند العرب هي "البيان" كما جاء في لسان العرب. وهي اللفظ الفصيح أي "ما يدرك حسنه بالسمع". والإنسان الفصيح هو الذي "يحسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئه". وفصح الرجل؛ "انطلق لسانه بكلام صحيح واضح"، والفصيح: من يحسن الكلام ويميز جيده من رديئه". والفصيح في كلام العامة المعرب (لسان العرب). وجاء في تاج العروس: الفصيح: المنطلق للسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه. وقد أفصح إذا تكلم بالفصاحة. وجاء في المعجم الوسيط: فصح الرجل: انطلق لسانه بكلام صحيح واضح. (الفصاحة): البيان. وسلامة الألفاظ من الإبهام وسوء التأليف. يقال: رجل فصيح: يحسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئه. وكلام فصيح: سليم واضح يدرك السمع حسنه والعقل دقته. ولسان فصيح أي: طلق يعين صاحبه على إجادة التعبير. ويجمل القول في الفصحى كما يقول الدجاني "إنها تحرص على صحة اللفظ ووضوحه" (الدجاني، 2000م، 16). ومقياس الصواب في الفصحى يكون في المحافظة على سلامة اللغة العربية ومراعاة التطور الذي تخضع له (الدجاني، 2000م، 16).

ويمكن القول في هذا السياق: إن العربية الفصحى توازن ما يسميه الغربيون العربية الكلاسيكية (Classical Arabic) أو العربية الفصحى (Fusha Arabic)، أو العربية الأدبية (Literary Arabic)، وما يرمز له فيرغسون بالنمط العالي أو المرتفع ورمز له بالحرف (H) (الزغلول، 2000م، 56).

وغالبا ما يقصد بالفصحى اللغة العربية التي تستخدم في الكتابة والتأليف والترجمة، وهي ذات اللغة التي حافظت على قواعد اللغة العربية وما تنطوي عليه من أصالة، وهي لغة الشعر العربي القديم، ولغة القرآن الكريم، وهي اللغة التي يتكلمها العلماء والمفكرون والمثقفون في عالمنا العربي. ويمكن القول في هذا الخصوص إن اللغة العربية الفصحى هي لغة الفكر والأدب والعلم، وهي اللغة ذاتها التي تعتمدها الدول العربية لغة رسمية في مختلف مؤسسات الدولة ودوائرها بوصفها اللغة الوطنية القومية. (الأنصاري، 2008م، 114). ويحدد محمد حسن عبد العزيز سمات الفصحى فيقول إنها "مكتوبة، تستخدم في التعليم، وفي العلم، وفي الأدب، وفي الصحافة، وهي اللغة الرسمية المشتركة في العالم العربي اليوم" (عبد العزيز، 1992م، 11).

ومن حيث الخصائص والسمات اللسانية، فإن الفصحى تتميز بصحة ألفاظها، ودقة معانيها، ووضوح مبانيها، في حين تعاني العامية من تحريف اللفظ، وغموض الكلمات، وإبهام المعاني، والخروج عن المؤلف في قواعد الفصحى. وقد عني علماء اللغة بالحديث عن "مقياس الصواب اللغوي" الذي تلتزم به الفصحى. ويرى كثير منهم أن الفصاحة تقوم على دعامتين: المحافظة على سلامة اللغة العربية من جهة، ومراعاة التطور الذي تخضع له من جهة ثانية. والفصحى في جوهرها أن يجري الكلام على المقاييس الجمالية والنحوية للغة العربية القديمة في أكثر تجلياتها الأدبية وأدق معانيها الفكرية وهي اللغة التي تحاكي القرآن الكريم بوصفه أعلى مراتب الفصاحة وأكثرها جمالا وبيانا واكتمالا.

و"الفصحى" كما يقول خليل كلفت "واحدة مشتركة في العالم العربي كله، من المحيط إلى الخليج، كما يقال، رغم السمات الخصوصية الأقل جوهرية هنا وهناك. أما "العامية" أو "العاميات" العربية فتتباين تبين الأقطار العربية (العراق، المغرب، السودان... الخ)، أو المناطق اللغوية داخل القطر العربي الواحد (لهجات مصر، على سبيل المثال)، أو المناطق اللغوية العابرة للحدود السياسية (اللهجة الشامية). (كلفت، 2012م).

### ما بين الفصحى والفصيحة

يُقصد باللغة الفصحى اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم بوصفه النص المقدس في قواعد العربية ومرجعها في القياس النحوي. والفصحى هي الأصل والمرجع للهجات العربية التي كانت موجودة في صدر الإسلام، حيث اتسم اللفظ القرآني بجزالة اللفظ الذي لا تشوبه أية شائبة ولا يعتره أي نقص.

ويجري بين أهل اللغة والمهتمين باللغة العربية جدل لطيف حول أفضلية استخدام مفهومي "اللغة الفصحى" و"اللغة الفصيحة". ومن الواضح أن استخدام عبارة "اللغة العربية الفصحى" هو الاستخدام الشائع بين المفكرين والكتاب والباحثين بصورة واسعة. وهذا الاستخدام يفرض نفسه بقوة في كتاباتهم وأعمالهم. وهذا الأمر لا يتعارض مع استخدام عبارة "اللغة العربية الفصيحة" فكلاهما يؤدي إلى المعنى نفسه من حيث وضوح اللغة العربية واشتمالها في ذاتها على بيانها وبلاغتها والتزامها بقواعد اللغة وأصولها.

ومع سلامة الدلالة للتعبيرين فهناك من يميز بينهما فيما يتعلق بالدلالة. إذ يرى بعضهم أن الفصحى تتطلب أن يلتزم المتحدث بأعلى درجات الفصاحة والبلاغة، ولا يقوى على ذلك إلا الأدباء والخطباء وأهل الوعظ والإرشاد وكبار أساتذة اللغة. وعلى خلاف ذلك يقتضي وصف اللغة العربية بالفصيحة أنه يجب على المتحدث فيها أن يستخدم الحد الأدنى من الجزالة اللغوية والبيان في الإعراب، وهي صالحة للتواصل والتفاهم بين الناس لتسهيل معاملاتهم وقضاء حاجاتهم اليومية. وضمن هذا السياق تكون الفصحى للأدب والأدباء والشعر والشعراء والعلماء بهدف التأثير والبلاغة، وقد نزل القرآن الكريم وترجع على عرشها وهي معجزته في عملية التأثير والإقناع.

"الفصاحة" كما يرى بعض الباحثين "مزية في الكلام أو صفة تفضيل، كما في الآية: ﴿وَإِخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34]؛ و"أفصح" هنا صفة تفضيل للمبالغة مؤنثها "فصحى". فكل "كلام كان أشدّ بياناً وأقوى إفادةً يُنعتُ بـ"الفصحى"، وإذا زاد عن غيره يكون "أفصح"! والأرجح أنها تدل على كفاءة الكلام كإجادة للتأليف تليغاً وتدليلاً وتوجيهاً، بحيث إنها تنافي كل عيوب الكلام وأفاته من عي وتكلف وتغرر ولحن وحشو وإسهاب. وبهذا، ف"الفصاحة" تعني القدرة على إتيان القول بما يناسب حال المخاطب بلا زيادة ولا نقصان. ويقول الجرجاني في هذا المقام: «إنّ الفصاحة وصفٌ يجب للكلام من أجل مزية تكون في معناه، وأنها لا تكون وصفاً له من حيث اللفظ مجرداً عن المعنى" (الجرجاني، 2004، 442).

ومن ثمّ، فإن كلمة "الفصحى" تمثل صفة للغة العربية في صيرورتها لغةً مشتركةً بين القبائل العربية التي كانت تختلف - بهذا القدر أو ذاك في مناحي الكلام. وهذه الصيرورة تمتّ بفعل الاشتراك في اللغة من شدة الاحتكاك في الأسواق والمواسم الكبرى التي كان الحجّ على رأسها والتي أتى الإسلام فعززها بنصّ "القرآن" الذي كان حافزاً لتدوين المتون واستنباط قواعد النحو وأصول الفهم. ف«العربية المشتركة» صارت "فصحى" بمعنى أنها لغةً تغلبت وهيمنت على مختلف اللهجات القبليّة والجهويّة بالشكل الذي جعلها تفرض نفسها على ألسنة المتكلمين، خصوصاً بعد عصر التدوين" (الكور، 2013).

يقول أحد المفكرين: "ويجوز أن نقول اللغة الفصيحة أو الفصحى" أما من اعترض على الفصحى بوصفها صيغة تفضيل نقول "لا يلزم في التفضيل أن يكون

بين شيئين متماثلين أحدهما أفضل من الآخر في نفس الشيء لقوله تعالى في سورة (الفرقان) الآية (23، 24): ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ وواضح أن التفضيل هنا بين أهل الجنة وأهل النار - وهم غير مشتركين في شيء. أما اللغة السليمة فهي اللغة الخالية من الأخطاء بأنواعها". "فاللغة العربية الفصحى: لغة القرآن والأدب، وهي لغة خالصة سليمة من كل عيب، لا يخالطها لفظ عامي أو أعجمي، خلاف العامية (يحرص الخطباء والدعاة على استخدام الفصحى في كلامهم وتذاع نشرات الأخبار باللغة العربية الفصحى" (الأعشير، 2014م).

ونحن في تناولنا لأحد هذين المصطلحين في هذا الكتاب يقوم على أساس منهجي خارج دائرة الجدل التقليدي حول الأفضلية. فالمفهومان كلاهما برأينا يدل على اللغة العربية السليمة التي تتناغم مع قواعد اللغة ومنهجها وفقها وتلتزم بناصية الصواب والبيان والإعراب. ومع أننا لسنا في وارد القطع في الاستخدام إذ يستوي لدينا استخدام مفهوم اللغة الفصيحة مع اللغة الفصحى، فالمعنى الذي نأخذ به يرمز إلى سلامة اللغة بوصفها لغة معيارية في بيانها وقواعدها وإعرابها. ومع ذلك يجب علينا أن نأخذ باعتبارات عديدة نرجح فيها استخدام الفصحى أو اللغة العربية الفصحى للاعتبارات التالية:

أولاً: يجري استخدام تعبير "الفصحى" غالباً كاسم يدل على اللغة العربية بتمامها وكما لها وليس كصفة تفضيل. فعندما نقول "الفصحى" (بدون إضافات) فهذا يعني أننا نستخدم اسم علم يدل على اللغة العربية الفصيحة اسماً لا صفة. على سبيل المثال يجري القول "التدريس بالفصحى، أو تكلم الفصحى، يكتب بالفصحى. وهناك مئات التعابير التي تدرج على استخدام الفصحى كاسم للغة العربية وليس كصفة تفصيلية.

ثانياً: مئات الكتب في فقه اللغة العربية دجت تحت عنوان اللغة العربية الفصحى، ويندر أن نجد عنواناً يقال فيه " اللغة العربية الفصيحة".

ثالثاً: في البحوث اللغوية يجري استخدام اللغة العربية الفصحى في المدارس والمناهج والجامعات.

رابعاً: رُسِّح استخدام مفهوم "اللغة العربية الفصحى" بقوة في بنية اللاشعور اللغوي عند المثقفين، وارتسم في الذائقة اللغوية تفضيلاً على استخدام تعبير "اللغة العربية الفصيحة" وهو تعبير صحيح أصيل فصيح لا غبار عليه.

إن هذه الأسباب والممارسات تفرض واقعاً لغوياً لا يمكن تجاهله، وهذا يعني أن رفضنا أو قبولنا لاستخدام مصطلح أو مفهوم يجب أن يخضع غالباً لواقع الممارسة الثقافية، ويأخذها بعين الاعتبار. وقد قرأت مرة أن الزمخشري وسيبويه كانا عندما يشكان في صيغة أو لفظ أو كلمة كانا يذهبان إلى البادية وعند مقابلة أول شخص يصادفانه من أية قبيلة عربية كانا يستمعان إليه ويقرران مشروعية لفظه ما أو قاعدة ما أو كلمة ما بناء على اللغة التي يتكلمها الأعرابي. وأخيراً فإن برأينا لا ضير من استخدام المفهومين. ولكن في البحث العلمي يفضل دائماً استخدام نموذج مفهومي واحد، ولذا وجدنا من الأنسب لنا استخدام مفهوم اللغة العربية الفصحى في كتابنا هذا، ونرجو أن نكون موفقين في هذا الاستخدام للاعتبارات التي أشرنا إليها.

### في مفهوم العامية

استخدم مفهوم اللهجة (Dialect) قديماً بمعنى اللغة، واللهجة هي اللغة عند علماء العربية القدماء، "فلغة تميم ولغة هزيل ولغة طيء التي جاءت في المعجمات العربية لا يريدون بها سوى ما تعنيه كلمة (اللهجة). كما أطلق على اللهجة لفظ "الحن"، وفي هذا قال أحد الأعراب (ليس هذا لحن ولا لحن قومي)" (الضامن، 1989، 32).

ويجري اليوم استخدام لفظة "اللهجة" بمعنى اللغة العامية المقابلة للفصحى. وجاء في المعجم الوسيط أن العامية: لغة العامة، وهي خلاف الفصحى، واللغة العامية: هي اللغة المتداولة بين الناس، وهي بخلاف اللغة الفصحى المستخدمة في الكتابة والأحاديث الرسمية والعلمية. والعامي من الكلام: ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي، وكذلك: العامية: لغة العامة وهي خلاف الفصحى.

وتأخذ العامية تسميات عديدة منها : اللغة العامية أو المحكية أو الدارجة أو اللهجة، ويعرفها الزغلول بأنها "النمط الذي يسميه الباحثون الغربيون بالعربية الدارجة (Colloquial Arabic)، أو العربية المحكية (Spoken Arabic)، أو اللهجة (Dialect)، وهي التي أطلق عليها فيرغسون النمط المنخفض ورمز له بالحرف (L).

وهو النمط الذي يكتسبه العربي بصورة طبيعية في مختلف أصقاع الوطن العربي. ويختلف هذا النمط باختلاف المناطق الجغرافية والجماعات البشرية المتميزة (الزغلول، 2000م، 60).

وتميل العامية إلى التبسيط ولاسيما في القواعد، حيث تختفي صيغة المثني تقريباً وينقص عدد الضمائر، وتختفي أوزان الجمع، وحركات الإعراب. وهذا يعني أن العامية العربية غير قادرة على أداء دور ثقافي في مجال المعرفة العلمية والثقافية، وعليه فإنه يجب على المتكلم أن يعود إلى الفصحى ليمزجها بتركيب عامة إن أراد التعبير عما يقول بشكل أوفى. (الزغلول، 2000م، 63).

وتعرّف الأنصاري العامية بالقول: "هي اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية ويجري بها الحديث اليومي، لا تخضع لقوانين لأنها تلقائية متغيرة، تتغير تبعاً لتغير الأجيال، وتغير الظروف المحيطة بهم" (الأنصاري، 2008، 114).

هذا ويرى معظم أهل اللغة أن اللهجة العامية هي لغة الشعب كله تسيل على الألسن بلا عسر ولا تصنع، وتعبّر خير تعبير عن مشاعر الناس وأفكارهم وتطلعاتهم وطموحاتهم. ويحدد المجلس الأعلى للغة العربية مفهوم العامية الدارجة بأنها "مستوى تعبيرى يتخاطب به العامة عفويًا في الحياة اليومية، وهو مستوى غير خاضع لقواعد النحو والصرف ويتصف بالتلقائية والاختزال، إنها عربية فقدت بعض الخصائص الموجودة في الفصحى مثل الإعراب" (المجلس الأعلى للغة العربية، 2008م، 5).

## بين العامية والفصحى

شُغل الباحثون بتحديد العلاقة القائمة بين العامية والفصحى، واهتموا بتحديد خصائص وسمات كل منها، كما اهتموا بتحديد الدور والوظيفة التي يجب أن يقوم بها كل منها في مضممار التكامل بينهما. وفي هذا المضممار يقدم لنا الباحث سليمان العايد تصوراً واضحاً عن أوجه التشابه والاختلاف بين العامية والفصحى في محاضرة له عن علاقة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة في اللغة العربية إذ يقول: "نريد باللغة المنطوقة: اللغة هذه التي يستعملها الناس في واقع حياتهم اليومي، وفي حركتهم المعاشية المتكررة، وما اعتادوا التعبير به عن أغراض ومطالب وشؤون الحياة؛ وهذا

شامل للغة حين تنطق، وللغة حين تكتب ما دامت بهذا الوضع، وعلى هذا الحال. كما نريد باللغة المكتوبة تلك التي اكتسبت صفة الثبات، وتتابع الأجيال على التزام كتابها، وهذه تشمل ما ينطق من اللغة إذا اتسم بالتأنق والصنعة كما يفعل الخطباء" (العايد، 1996م، 4). واللغة هي لغة التخاطب الحي، وهي "لغة ينفك مستعملها من كثير من سمات اللغة الفصحى، مثل: الإعراب، ونظام الجملة، واستعمال أدوات الربط، ويستعيز عنها بغيرها، ولا يحرص على تجنب اللحن ويرسلها، دون تحضير أو تزوير. وكل ما لا ينطبق عليه هذا الوصف فليس بلغة خطاب، كالشعر والخطابة، والتأليف، مما يتعامل معه الشاعر والخطيب والمؤلف، ويبذل فيه شيئاً من الصنعة، انقضاء واختياراً وإحكاماً" (العايد، 1996م، 4). وتتميز اللغة المنطوقة بأنها لغة متحولة سريعة التغير، لا تكاد تثبت على حال، بما فيها من صواب، بخلاف اللغة المكتوبة التي تقف في طريق التغير الذي يلحق لغة الكلام قد ضبطته معيارية دقيقة تقف في وجه التغير السريع الذي هو طبيعة اللغة المنطوقة، ولها فائدة في تحسين وسائل الاتصال وصبغ اللغة المنطوقة بصبغة أدبية مشتركة (العايد، 1996م، 4).

وفي ضوء هذا التحديد لمصطلحي العامية والفصحى، يمكن ملاحظة أن أهم الفوارق بينهما، هو تحريف النطق ببعض حروف اللغة، وتغييره كلياً في بعض الأحيان، وإهمال إعراب أواخر الكلمات، وتغيير حركات حروف الكلمة في العامية. وهذه الفوارق تؤدي إلى فارق آخر مهم هو أن الفصحى العربية تأخذ صورة واحدة لا تغاير فيها من حيث الجوهر، في حين تتعدد العاميات العربية بتعدد أنحاء الوطن الكبير واختلاف اللهجات. وواضح أن هذه الفوارق تضع الفصحى في مكانة متميزة، وتجعلها "النموذج" للسان الراقي الحريص على النطق الصحيح للحروف، وعلى الإعراب، وعلى سلامة الكلمة. ولافت أن العامية في بلد ما تتفاوت في درجة قربها من الفصحى بين حي وآخر. ولافت أيضاً أن هناك تشابهاً بين العاميات المختلفة في بلاد العرب في جوانب تحولها عن الفصحى صوتياً وصرفاً ونحواً، وإن ذهب كل منها مذهبه، ويمكن لنا في هذا السياق التمييز بين اللغة العربية الفصحى وبين العربية العامية في التقاطعات الآتية:

1. تتميز اللغة العامية بوصفها لغة شفوية يتحدث بها الناس دون أن يكتبوها في حين تتميز اللغة الفصيحة بأنها لغة الكتابة والتدوين. والعامية لا تستخدم عادة

- في التوثيق والتدوين والكتابة الأدبية أو العلمية فهي لغة مشافهة وليست لغة كتابة كما هو حال الفصحى.
2. تأخذ العامية أهميتها بوصفها لغة الحياة اليومية والتواصل الاجتماعي في أشمل معانيه، أما الفصحى فهي اللغة الرسمية التي يجري تداولها في الإدارة والإعلام والأدب والسياسة والتعليم والكتابة والمحافل الدولية.
  3. تعتمد اللغة العامية على السجية والانسيابية وعلى العادات اللغوية المألوفة ولا تخضع لمنطق القواعد اللغوية كما هو حال الفصحى التي تعتمد على منظومة من القواعد والمبادئ التي يجب مراعاتها أثناء الكتابة والحوار.
  4. تراعي الفصحى متطلبات البيان اللغوي في أرفع مستوياته ضمن نطاق الصرف والنحو والألفاظ الدلالية المتقنة، وعلى خلاف ذلك تعتمد العامية الاقتصاد اللغوي واليسر اللفظي التعبيري دون اهتمام بمقتضيات الدقة اللغوية والبيان اللغوي المتطور.
  5. تتنوع العامية بتنوع الجغرافية والطبقات والفئات الاجتماعية والمجموعات السكانية في حين تأخذ الفصحى طابع لغة وطنية شاملة على وحدتها مع التنوعات الاجتماعية والتباينات الاجتماعية.
  6. يتضح تأثير العامية وحضورها الواسع في لغة الطبقات الاجتماعية الواسعة في حين يقتصر تأثير الفصحى في النخب الثقافية والاجتماعية ولدى أبناء المتعلمين من الطبقة الوسطى.
  7. تتباين العامية بتباين اللهجات المحلية في البلد الواحد مثل: اللهجة المصرية، اللهجة اللبنانية، السورية في حين تتميز الفصحى بوحدتها وتجانسها وشمولها بوصفها لغة وطنية واحدة في مختلف جوانب الحياة الثقافية والسياسية والعلمية والأدبية.
  8. تتصف العامية بفقرها العلمي، حيث لا نجد في بنيتها مفردات علمية تتعلق بالعلوم والفنون والآداب. وذلك على خلاف الفصحى التي تتميز بثرائها العلمي وغناها الكبير بمفردات العلم وألفاظه ومعانيه.

9. تختلف العامية في البلد الواحد باختلاف طبقات الناس وتنوعهم الاجتماعي ولهجاتهم: لهجة الفلاحين، ولهجة العمال، ولهجة الطبقة البرجوازية. وهذا التباين الاجتماعي ليس له حضور في اللغة العربية الفصحى.

وتجدر في هذا السياق الإشارة إلى هذه المناظرة التي يجريها «كلفت» ما بين فصاحة العامية وفصاحة الفصحى إذ يقول: "الفصحى" هي لغة الفصاحة، والفصاحة هي الوضوح والسلامة من اللحن. وقد تبدو اللغة المسماة بالعامية واضحة، محلياً على الأقل، لكنها تبدو على كل حال بعيدة عن السلامة من اللحن بمعايير "الفصحى". ولكن كما أن الوضوح يتحقق بوسائل "العامية" وليس بوسائل "الفصحى"، فمن الواجب أن يُنظر إلى السلامة من اللحن (أي السلامة من الخروج على المعايير النموذجية أو من الانحراف عنها) لكل لغة من اللغتين على أساس معاييرها الخاصة وليس على أساس معايير اللغة الأخرى "الفصحى" سليمة بمعاييرها الخاصة و"العامية" سليمة بدورها بمعاييرها الخاصة ("كلفت، 2012م).

وهذا التناظر الذي يجريه "كلفت" يتضمن رؤية موضوعية غير مألوفة في مجال المقارنة بين العامية والفصحى. فأهل العامية يجدون العامية أكثر وضوحاً من الفصحى، وقد يعبرون بها بشكل أفضل. وغالباً ما يعتمد المدرسون في الجامعة اللهجة العامية لتفسير ما لا يستطيع الطلاب فهمه بالفصحى. وفي كل الأحوال يجب أن يؤخذ هذا الرأي المقارن على محمل الجد العلمي ولا يستهان بقيمته السوسiolinguistic.

ويتابع «كلفت» تحليله للفصاحة ما بين الفصحى والعامية قائلاً: "وإذا كانت فكرة الفصاحة، بشقيها تنطلق من جعل "الفصحى" المعيار الأوحد والمطلق أو المثل الأعلى بلا منازع للغة العربية، فإن الانطلاق من "العامية" أو من الحياد الوصفي إزاء الازدواج اللغوي القائم لا يمكن إلا أن يؤدي إلى أن تطالب "العامية" بالاعتراف بفصاحتها، أي بوضوحها وسلامتها، وربما على قدم المساواة مع "الفصحى" وربما أكثر منها بكثير، على أساس أن تمكن العرب من "العامية" أقوى بما لا يقاس من تمكّنهم من "الفصحى" (وربما من تمكّن خاصتهم من "الفصحى"). "فالعامية" بدورها فصحى أو حتى أكثر فصاحة (بما لا يقاس) بمعاييرها الخاصة. (كلفت، 2012م). ويعني ما سبق بطبيعة الحال أن الفصاحة سمة طبيعية لكل لغة بحكم بدها كونها لغة، وهي تزدهر بازدهار اللغة وتنحط بانحطاطها وتموت بموتها

وتنتقل من خلال التطور اللغوي البطيء أو العاصف إلى لغة جديدة تحل محل القديمة (كلفنت، 2012م).

وباختصار: "الفصاحة لا تحتكرها" الفصحى " ولا "العامية" وبالتالي لا تمتلكها "الفصحى" ولا "العامية" بصورة مكتملة، لأن "العامية" ليست لغة مكتملة الحلقات، كما أن "الفصحى" ليست لغة مكتملة الحلقات. ذلك أن "الفصحى" عاجزة، منذ قرون وقرون عن الاستمرار كلغة كلام وحياء يومية. وهي بذلك لغة ناقصة. كما أن هذا النقص، وهذا الانفصال عن الحياة اليومية يُفقرها ويحرمها من حيوية الحياة ويجرّدها من القدرة على التعبير عنها بالحيوية المطلوبة، أضف إلى ذلك أن "العامية" تنافسها منافسة شاملة متفاوتة القوة في كافة مجالات الثقافة والتعليم والإعلام" (كلفنت، 2012م).

## الخلاصة

يشكل هذا الفصل بمضامينه الفكرية مدخلاً أساسياً من المداخل النظرية لهذه الدراسة. وهو يمثل محاولة جادة للكشف عن مفهوم اللغة والملابسات التي تقوم بين العامية والفصحى. وتتمثل الأهمية الكبيرة لهذا المدخل المتعلق بمفهوم اللغة ومضامينه أن إحدى الإشكاليات الكبرى التي تواجهها العربية تكمن في هيمنة اللغة العامية على الفصحى في مختلف مستويات الحياة والوجود، ولاسيما في مجالي التعليم والتعريب اللساني. فالجامعات العربية تعاني اليوم حضوراً مكثفاً للغة العامية على حساب الفصحى، وهذه الإشكالية تصبح أكثر خطورة عندما نأخذ بعين الاعتبار أن العربية تواجه مداً كاسحاً للغات الأجنبية، ولاسيما اللغتين الفرنسية والإنجليزية. ومن هنا يتوجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أهمية التعرّف على مكان الخطر الكبير من انتشار العامية، ولاسيما في الحرم الجامعي في مختلف المؤسسات الجامعية في العالم العربي.



# الفصل الثاني

## مفهوما التعريب والتغريب

"إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط أهلها ودخول غيرهم

في مساكنهم"

(ابن حزم في أصول الأحكام)

### مقدمة

يرتسم مفهوما التعريب والتغريب وجهين لحقيقة الصراع الوجودي بين حضور الهوية اللسانية واغترابها، أو بين استحضار الأنا بوصفها ذاتا ثقافية حضارية وبين الانسحاق الحضاري والذوبان في الآخر على نحو اغترابي شامل. فالتغريب يمثل في جوهره حالة انسلاخ حضارية وعامل هدم وتدمير للهوية، في الحين الذي يشكل فيه التعريب محاولة متجددة لاستعادة الهوية واسترداد الذات الثقافية، والأنا الحضارية كقوة تحطم حاجز الاغتراب وتذك معاقل الاستلاب في مختلف تجلياته.

فالتعريب هو حالة من انتفاضة الأنا الثقافية المهزومة ضد الآخر المستلب. والتعريب في وجه التغريب لا يكون إلا ثورة يفجرها الأنا الحضاري من أجل تحقيق التوازن الخلاق بين الأنا والآخر في مسارات الخلق والتجديد والإبداع. وفي هذا الإطار فإن التعريب يشكل حالة ضد كل أشكال الاستلاب والاغتراب الذي تتعرض له الأمة بفعل عوامل داخلية أو خارجية مهما يكن أمرها. والتعريب في المحصلة تعبير عن حالة سيادة وطنية لا يتحقق جوهرها إلا بالسيادة اللسانية. فاللسان جذر الهوية وأسسها ومنطلقها إلى الوجود، وبالتالي فإن أية محاولة لتغييبه أو الانتقاص من رمزيته تشكل في جوهر الأمر حالة من الذوبان والانحلال والطعن في الهوية الحضارية والكرامة الإنسانية للشعب والأمة والتاريخ والإنسان.

لقد شكل التعريب، ولاسيما التعريب اللغوي إحدى المنصات الأساسية التي اعتمدها الغرب في تذيب الهوية العربية وتدمير مقومات الأنا الحضارية الضاربة في أعماق الوجود التاريخي للحضارة العربية. فالتعريب فعل يوازيه التعريب كردة فعل توازيه في القوة وتعاكسه في الاتجاه. وعلى هذا المقياس يمكن القول بأن التعريب استلاب للهوية واللغة والحضارة، بينما يعادل التعريب حالة من الانبعاث الحضاري للهوية والوجود والكيان الحضاري للأمة.

لقد أدرك الغرب المستعمر أن التعريب اللغوي هو أنجع الوسائل في تحقيق الهيمنة الشاملة في المجتمعات والدول العربية. ومن هذا المنطلق وضعت الخطط والبرامج من أجل تعريب اللسان كبدائية لتعريب العقول واستلاب الهوية وتدمير مقومات الوجود الإنساني والحضاري في المنطقة العربية.

فاللسان العربي هو الحالة الطبيعية للإنسان في مجتمعاتنا العربية، وما التعريب إلا حالة عارضة على الأمة تريد به الخروج من زنانات الاغتراب والاستلاب الذي يحاصر الإنسان والهوية والقدرة على النهوض الحضاري. لقد أراد الغرب خلال عقود طويلة من الزمن كسر الإرادة الحضارية للأمة باستلاب لسانها، لأن الاستلاب اللغوي يشكل منصة حقيقية لتدمير التفكير والهوية والأصالة الحضارية لأمة من الأمم ولشعب من الشعوب.

لقد أغرقنا الغرب في لجاج الغربة الحضارية وفي متهاتات الاستلاب اللساني. وقد أدرك هذا الغرب أن استلاب اللسان هو الطريق الأمثل لاستلاب التاريخ والذاكرة والاعتزاز بالهوية والكرامة الوطنية. فاستلاب اللسان - وهذا مؤكد - يؤدي إلى حالة التفكك والانحلال الثقافي والحضاري في المجتمع وينتهي الأمر إلى استلاب الهوية ووضع الإنسان والمجتمع في متهاتات الاغتراب الشامل.

### في مفهوم التعريب

يدجن الإنسان العربي اليوم بثقافة الهزيمة التي تدمر فيه هذا الإحساس النبيل بالهوية وبثقافة العروبة والانتماء إلى أرومتها. والتعريب صنو (مثيل، شبيه) الاغتراب الذي يضع الإنسان خارج مرامي الهوية والإحساس بذاتيه وكيانوته الإنسانية الوجودية. فالتعريب اللغوي نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان غريباً عن لغته ولسانه

وهويته، ويكون ذلك عندما يكره المرء على التعلم والكلام بلغة مغايرة للغة الأصلية، ومن ثم يجد نفسه غير قادر على التواصل بلغته الأم فيقع في دائرة الاستلاب اللغوي والتغريب الثقافي في صورته اللسانية.

ففي عملية الاغتراب والتغريب اللساني يتنازل المرء عن نفسه وعن لغته إزاء استسلامه لتقافة أخرى غير ثقافته ولغة أخرى غير لغته الوطنية. وعلى هذا النحو يكف الفرد عن أن يصبح هو نفسه عندما يعتنق لغة أخرى تقدمها له النماذج الحضارية الغربية فيتحول إلى أداة ثقافية تحكمها إرادة الآخر وأحكامه فيتباهى بأسياده الجدد بوصفهم الفضل والقوى.

فتعريب الشيء هو أن يصبح عربي الهوية والهوية، وعلى خلاف ذلك فإن تغريب الشيء يعني سلخه عن أرومته العربية وجعله غربياً في مستوى اللسان والهوية. وعلى هذا النحو يتقابل مفهوم التغريب مع مفهوم التعريب ويعاكسه تماماً. ونعني بالتغريب هو جعل اللغة الإنجليزية (أو أية لغة أجنبية أخرى كالفرنسية) اللغة الأساسية والرئيسية في مستويات التدريس وبناء المناهج والبحث العلمي والتداول الأكاديمي والتخاطب اليومي والتداول المعرفي والتواصل الاجتماعي داخل المؤسسات التعليمية والجامعية.

ويُراد بـ«التغريب» في اللغة العربية، كما جاء في (الصاح) النفي والإبعاد عن البلد (الصاح، 470). يقول ابن منظور في هذا الخصوص: «... وَغَرَبَهُ، وَأَغْرَبَهُ: نَحَّاهُ... وَالتَّغْرِيْبُ: النَّفْيُ عَنِ الْبَلَدِ... وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَنَّهُ أَمَرَ بِتَغْرِيْبِ الرَّانِي؛ التَّغْرِيْبُ: النَّفْيُ عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي وَقَعَتْ الْجِنَايَةُ فِيهِ. يُقَالُ: أَعْرَبْتُهُ وَغَرَبْتُهُ إِذَا نَحَيْتُهُ وَأَبْعَدْتَهُ... وَغَرَبَهُ وَغَرَبَ عَلَيْهِ: تَرَكَّهُ بُعْدًا» (ابن منظور، 1955م، 638).

ويستعمل علماء اللغة «الإغراب» و«التغريب» بمعنى واحد، وهو التنحية والإقصاء من الوطن. ويلاحظ في هذا السياق أن القواميس العربية تبرز الجوانب الحسية الحركية لمعنى التغريب الذي يأخذ صورة النفي والإبعاد القسري عن الوطن والأهل (امعضشو، 2011م).

ولكن مفهوم التغريب يأخذ في توظيفاته الأخرى الفكرية أبعاداً فكرية ثقافية وعلمية واجتماعية متعددة ومتنوعة تتجاوز حدود الدلالة البسيطة للمفهوم بوصفه حركة ابتعاد وتغريب. وفي هذا السياق يقول محمد مصطفى هدارة: "إن «اصطلاح

«التعريب» ليس من ابتكارنا في الشرق، ولكنه ظهر في المعجم السياسي الغربي باسم (Westernization) وكانوا يعنون به نشر الحضارة الغربية في البلاد الآسيوية والإفريقية الواقعة تحت سيطرتهم عن طريق إزالة القوى المضادة التي تحفظ لهذه البلاد كيانها وشخصيتها وعاداتها وتقاليدها، وأهمها الدين واللغة، وفي زوال هذه القوى ضماناً لاستمرار السيطرة الغربية السياسية والاقتصادية حتى بعد إعلان استقلال هذه البلاد وتحزرها من نير الاستعمار الغربي ظاهرياً» (هدارة، 1994م، 8).

ويعرف معجم أكسفورد الكلمة الإنجليزية (To Westernize) (أي غرب) بأنها أي جعل الشرق تابعاً للغرب في الثقافة وأساليب العيش وطرق التفكير (Oxford Dictionary, 1994). وفي الفرنسية، يعني التعريب الشيء نفسه. ويُطلق مفهوم التعريب غالباً على حالات التعلق والانبهار والإعجاب والمحاكاة للثقافة الغربية، وهي الحالة التي يصبح فيها المجتمع غربياً على ذاته في ميوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، نظراً لحالة من الاستلاب الثقافي التعريبي وذلك عندما يتبنى الثقافة الغربية بكل ما تشتمل عليه من قيم ونظم ونظريات وأساليب وجود وحياة (امعضشو، 2011م).

يميز مفهوم التعريب إلى واقع يومي معيش مشاهد من التماهي بالثقافة الغربية في حياتنا الاجتماعية وهو واقع تضافرت على نسج خيوطه عوامل كثيرة. وبالنظر إلى عمق ظاهرة التعريب في حياتنا الثقافية المعاصرة، فإن الباحثين يستعملون عدداً من المصطلحات للدلالة عليه، نحو «الاجتراب الثقافي»، و«الإلحاق الثقافي»، و«الاستلاب الثقافي»، و«المسخ»، ... ومن المؤكد أن مصطلح «التعريب»، بدلالته المعاصرة المعروفة من نتاج الفكر الغربي، ويرتبط بالحركة الإمبريالية الأوروبية التي انطلقت في القرن التاسع عشر (امعضشو، 2011م).

وتحت تأثير هذه الثقافة التعريبية نرى عدداً من المثقفين والمفكرين الداعين إلى تمثل الثقافة الغربية والتماهي بمكوناتها الثقافية في مجال الحياة والتفكير والعمل، وفي هذا الاتجاه يقول سلامة موسى في كتابه «اليوم والغد»: «يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلحق بأوروبا، فإني كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتلقي بها، وزاد

شعوري بأنها مني وأنا منها» (أمعششو، 2011م). وقد أصبحت ظاهرة التغريب ظاهرة ضاربة الجذور في أعماق الحياة الثقافية للمجتمعات العربية في مختلف مظاهر الحياة والإدارة والعمل والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وفي كتابنا هذا فإن التغريب يعني غربة اللغة العربية عن لسانها وأهلها، فاللغة العربية الفصحى تُهجر وتُغرب وتبتعد عن أهلها، واللسان يغترب بتبنيه لغات أجنبية غير اللغة العربية، اللغة الأم التي تشكل كياننا الثقافي وعمقنا الإنساني. والتغريب اللغوي في الجامعة كما سبقت الإشارة هو الحالة الثقافية التي تهمش فيها اللغة العربية لصالح اللغة الإنجليزية التي أصبحت لغة التدريس والبحث والكتاب الجامعي ولغة التداول والتواصل الأكاديمي في الجامعة.

وحسب الزغلول "هناك قطاع كبير من الشباب العربي يعاني غربة حضارية على خلفية اغتراب لسانه يتسم بطابع العمق والشمول؛ وتتمثل هذه الغربة بتهافت الشباب على قيم الغرب وثقافته ضمن توجه الرفض الشامل للثقافة العربية بمضمونها القيمي واللساني" (الزغلول، 2000م، 81). وما هو مأساوي اليوم أن هذا الشباب "يصاب بعدوى النظر إلى الثقافة الغربية بوصفها النموذج الحضاري الأصيل الذي يحتذى به وإلى لغة الغرب بوصفها اللسان الذي لا يصح التعبير إلا به." وتتجلى هذه الروح الاغترابية بنظرة المجتمع العربي العالية لمن يجيد إحدى اللغات الغربية، وبتهاافت الجميع على استعمال الاصطلاح الأجنبي في الحديث العادي وفي الصحف وأجهزة الإعلام، وهو ما سماه ابن خلدون تقليد الغالب للمغلوب" (الزغلول، 2000م، 81).

فالتغريب - ونقصد به دائماً اعتماد اللغة الإنجليزية أو أية لغة أخرى في التعليم والتدريس الجامعي - تأصل في مجتمعاتنا ومؤسساتنا العلمية في ظروف استثنائية ارتبطت بالمرحلة الاستعمارية وما فرضه الاستعمار الثقافي من هيمنة ثقافية وتغريب ثقافي منذ مرحلة الاستقلال حتى اليوم. حتى أصبحت جامعاتنا ومؤسساتنا التربوية ناطقة باللغة الإنجليزية وأصبحت قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا التربوية تقاليد غربية في جوهرها وعرضها. فاللغة الإنجليزية تهيمن على مظاهر الحياة والوجود في الجامعة والمجتمع.

ومن المدهش أن أبناء الضاد استمروا هذه الحالة الاستلابية فاستكانوا لخطر الثقافة الإنجليزية وانبهروا بمعطياته نسياً للغتهم العربية واستهانة بالهوية

الوطنية والقومية. فتماهوا باللغة الإنجليزية وثقافتها وهما منهم بأنهم أصبحوا جزءاً منها وأنها أصبحت في صميم تكوينهم الثقافي والأنسني. فجامعاتنا تدرس باللغة الإنجليزية وكذلك هي مدارسنا وطلابنا يتهافتون على تعلم الإنجليزية بدلاً للعربية ورفضاً لها بوصفها لغة جامدة قديمة لا جدوى من تعلمها واكتسابها.

ويعد مفهوم التعريب من أكثر المفاهيم اللسانية تداولاً وشيوعاً بين الباحثين والدارسين في اللغة العربية، واستطاع هذا المفهوم بدلالته الحضارية المعقدة أن يستقطب اهتمام عدد كبير من المتخصصين والباحثين في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولا يقف هذا المفهوم عند حدود الشيوع والتكاثر، بل يتجاوز هذا المدار ليشكل مدخلاً حضارياً لفهم العلاقة الحيوية القائمة بين الحضارات واللغات والإبداعات الإنسانية في مختلف تجلياتها وتعيناتها الإنسانية.

وغالباً ما يوظف مفهوم التعريب في الدراسات الأكاديمية للكشف عن مدى حضور اللغة العربية أو غيابها في الحياة الثقافية، أو في المؤسسات التعليمية في مختلف مستويات التدريس والبحث العلمي والتفاعل الأكاديمي والتخاطب اليومي. ولطالما استخدم هذا المفهوم للدلالة على الجهود المبذولة في مجال تعريب الطب والعلوم الحديثة (هندسة، وطب، وكيمياء، وفيزياء) لجعل اللغة الفعلية للتدريس والتفاعل والتداول إذ غالباً ما تقوم الجامعات العربية بتدريس هذه العلوم باللغة الأجنبية (الإنجليزية).

ويميز الباحثون عادة بين ثلاثة أنواع من التعريب: التعريب اللساني، والتعريب الثقافي، والتعريب التربوي، ويتمثل التعريب اللساني في نسق من الفعاليات ذات العلاقة ببنية اللغة المعجمية الداخلية وعلاقتها باللغات الأجنبية والترجمة منها وإليها والحفاظة على سلامتها، ويتمثل هذا المفهوم في طرائق صياغة المصطلح الأجنبي على المقاييس الصرفية العربية أو من غيرها.

ويتمثل التعريب الثقافي والفكري في نسق الفعاليات التي تهدف إلى تعزيز اللغة العربية وتحقيق سيادتها في مختلف ميادين الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية. ويتمثل هذا التعريب في تفعيل الحياة الثقافية في المجتمع تفعيلاً تكون فيه اللغة العربية بوتقة التفاعل الثقافي وأداته في التفكير والتنظير والقول والعمل. وهذا يشمل عملية الإنتاج الفكري والبحثي باللغة العربية، وإبداع ثقافة عربية الهوية في مختلف أشكال الوجود والحياة في المجتمعات العربية، ومن ثم العمل على جعل اللغة

العربية رمزاً وطنياً للتداول والتفاهم والتفكير والنظر والعمل في مختلف القطاعات الثقافية والبحثية في العالم العربي.

ويتمثل التعريب التربوي في الجهود المبذولة التي يتم بموجبها "إحلال اللغة العربية في التعليم محل اللغات الأجنبية وتطويرها لتكون لغة التخاطب الأساسية ومقاومة كل الذين يناهضون لغتهم للتفاهم فيما بينهم بلغة أجنبية. وفي تعريف أشمل يمكن القول: إن التعريب هو الفعالية التي تجعل اللغة العربية أداة صالحة للتعبير عن كل ما يقع تحت الحس والنظر من العواطف والأفكار والمعاني التي تختلج في ضمير الإنسان الذي يعيش عصر الذرة و الصواريخ" (محجوب، 2012م).

### التعريب اللساني

يضرب مفهوم التعريب جذوره اللغوية الاشتقاقية في صميم اللغة العربية. فالتعريب هو مصدر عَرَّبَ بتشديد الراء، وله عدة معانٍ، منها التَّيِّين والإيضاح، والتهديب، والإكثار من شرب العَرَب، وهو الكثير من الماء الصافي. ويعني أيضاً التذيب أي التقطيع والتقشير، وغير ذلك من المعاني الكثيرة (ابن منظور، 1955م، 586). والتعريب لغة: الإبانة والإفصاح. وقد جاء في لسان العرب حول التعريب: التعريب لغة مصدر للفعل عَرَّبَ، وعَرَّبَ بمعنى أبان وأفصح، وعَرَّبَ عن الرجل إذا تكلم بحجته، وعَرَّبَ منطقه إذا هذَّبه من اللحن، ويقال: عَرَّبَ له الكلام تعريباً إذا بينته له، وعَرَّبَه: أي علَّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها. ويقال: أعرب عن لسانه وعَرَّبَ، أي: بان وأفصح وأعرب، وأعرب الرجل عن الرجل بينَّ عنه، وعرب عنه تكلم بحجته، وعربه: علمه العربية.

وجاء في الصحاح: تعرَّبَ، أي تشبه بالعرب. وتعرَّبَ بعد هجرته، أي صار أعرباً... وعَرَّبَ لسانه بالضمِّ عُرُوبَةً، أي صار عربياً. وأعرَّبَ كلامه، إذا لم يلحن في الإعراب ... وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها (الجوهري، 1979م، 179).

ففي الماضي كان التعريبُ تعريبَ لفظ لا تعريبَ معنى، وتقديمه وفق وزن ولحن عربي، بالإضافة إلى تخليصه من شوائب العجمة، فلسان العربي أن ذلك لم يكن

يطاوعه على التلفظ بأوزان تباها معايير الصرفية التي طبع عليها، لهذا الأمر كانت اللفظة تخرج بعد صقلها وتهذيبها لفظة عربية صحيحة (الحمود، 2005م).

والتعريب كما يرى الجوهري (ت 393هـ): "هو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها". وهذا يعني أن التعريب يكون في كتابة اللفظ الأجنبي بحروف عربية، ومن ثم تطويعه لقواعد اللغة العربية في بنيتها وأصولها وتلويحه بلونها سواء بزيادة أحرف لهذا اللفظ أو بتغيير حرف، أو حركة من حركاته حتى يتلاءم مع العربية بما يسهل على اللسان العربي نطقه واستخدامه واستعماله. والتعريب اصطلاحاً إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستخدامها في ميادين المعرفة البشرية كافة. ويُقال عَرَّب فلان منطقه هذبه من اللحن، وعَرَّب الاسم الأعجمي تفوّه به على منهاج العرب وصيره عربياً، وعَرَّب عن صاحبه تكلم عنه واحتج له. وقد ورد القول: أعرب الأعجمي وتعرَّب واستعرب كل هذا للأعتم إذا فهم كلامه بالعربية. والأعتم من لا يفصح شيئاً، وقد تدرج لفظ عَرَّب بهذه المعاني المتقاربة بعض الشيء منذ القديم إلى معنى ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية وتعليم العلوم الأجنبية بالعربية (اليافي، 2008م).

ويصف عيسى أحمد بك التعريب تاريخياً بقوله: "إن العرب كانوا يأخذون اللفظة الأعجمية فيصقلونها على أوزان لغتهم ومنطق لسنهم فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم (عيسى، 2001م، 103). والمعرب من الكلام هو اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب (يعقوب، 1982م، 215). والتعريب في جوهره يكون بتطويع الألفاظ الأجنبية بردها إلى الصور العربية صوتياً وصرافياً" (الزغلول، 1980م).

واعتمد العرب الأوائل منهجية واضحة في عملية التعريب فوضعوا قانونيتهم التي قوامها: "كل ما قيس على أساليب العرب في كلامهم فهو من كلام العرب" وهذه القاعدة الذهبية فتحت باباً واسعاً لاستيعاب كثير من المصطلحات العلمية أثناء حركة النقل الأولى في العهد الأموي ثم في العهد العباسي، حيث جاءت المترجمات من معارف غيرنا بعدد وافر من المسميات التي لم تكن معهودة عن العرب.

كما أن هذه القاعدة الذهبية ذاتها فتحت باباً واسعاً في الزمن الحاضر، أيضاً، لاستيعاب المصطلحات العلمية التي لم يتيسر مقابلتها ترجمة بكلمات عربية فصيحة.

ومثال ذلك تعريب لفظة (Hydrogenation) بلفظة، وتعريب مصطلح (Television) بكلمة تلفاز أو تليفزيون. وهناك بعض الكلمات التي عرّبت دون تعديل مثل كلمة (Lazer) ليزر، وكلمة (Fax) (التراخي، 2010م، 44). وأصحاب هذا الفريق من اللغويين يوجبون اتباع الكلمة المعرّبة وزناً عربياً، فلا يكفي أن نتكلم باللفظة الأعجمية حتى تغدو معربة، بل يجب تعديلها على مقياس الكلام العربي وتغيير في بنيتها بما يناسب الجرس العربي.

وقد وصف «الجواليقي» بإسهاب عملية الإبدال اللغوية، ومن ثم بيّن كيف كان العرب يستبدلون بعضاً من حروف "المعجمات" لتعريبها فيقول: "اعلم أنّهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحرف الذي ليس من حروفهم إلى أقربها مخرجاً أو ربّما أبدلوا ما بُعد مخرجه أيضاً". وكثيراً ما قام العرب قديماً بعملية الإبدال أثناء النقل والترجمة، ويكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة أو ساكن بساكن (الحمود، 2005م).

وقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة الالتجاء إلى هذه الطريقة إذا دعت إلى ذلك الحاجة الماسة بأن لا يوجد لفظ متداول في اللغة أو مهجور يؤدي بدقة المعنى المصطلح عليه. والتعريب ضروري لحياة العلم، ولا خوف معه على كيان اللغة، إذ يكون آخر ما يلجأ إليه في النقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم لها الكلمة الأجنبية، أو يشتق منها اسم أو فعل أو يتجاوز منها مجازاً، أو ينحت لفظ (محبوب، 2012م).

وهناك فريق آخر يرى أن التعريب هو أن تتكلم العرب بالكلمة العجمية مطلقاً. ويتزعم سيبويه هذا الاتجاه إذ يقول: "التعريب هو أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقاً، فهم تارة يلحقونها بأبنية كلامهم، وطوراً لا يلحقونها بها" (العلمي، 2008م). ويرى بعض أصحاب هذا الاتجاه أنه: "إذا عريت الألفاظ الأعجمية، وتمكنت لدى العرب، صرفها العرب واشتقوا منها، مثل: ديباج، فرند، زنجبيل، لجام... إلخ (محبوب، 2012م).

ولو جمعنا كلا المنهجين في التعريب لقلنا إن "تعريب الاسم الأعجمي هو أن تتفوه به العرب على منهاجها وهو نقل لفظ من الأعجمية إلى العربية مع بعض التغيير أو بدونه" (محمود، 2009م، 130).

ومن المعروف تاريخياً "أن اللغة العربية استوعبت عدداً كبيراً من الكلمات الأجنبية العائدة للغات التي كانت تجاورها، مثل: الفارسية، والسريانية، والحبشية، والإغريقية، وقد تمّ هذا الاستيعاب بطريقة منهجية أبدعها العرب لحماية لغتهم وتعزيز عوامل قوتها ومرونتها فأخضعوا الكلمات الأجنبية المدخلة إلى تعديل في بنيتها وفق أساليب معلومة لأهل اللغة، محققين انسجام هذه الكلمات والألفاظ مبنىً وجرساً مع مقاييس العرب في كلامهم (الترابي، 2010م، 44). وتسمى مثل هذه الكلمات بالمعربات من مثل جورب، وهندسة، وببطرة، وهي فارسية في أصولها، وهناك عدد من الكلمات استدخل في اللغة العربية دون تعديل في بنيتها أو جرسها، وتسمى هذه الفئة من الكلمات بالدخيل - من مثل صولجان ومهرجان. جميع هذه الكلمات المعربة أو الدخيلة تصبح من صميم كلام العرب" (الترابي، 2010م، 44).

### التعريب الحضاري الشامل

أخذ مفهوم التعريب أبعاداً جديدة تجاوز فيها الطابع اللساني والبنوي ومظاهر نقل الكلمات الأعجمية أو تغييرها، "وبدأ يمتد في مختلف مستوياته ليشمل جوانب متعددة من الفعاليات الثقافية والفكرية التي تتجلى في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والحضارية. ويرمز هذا الاتجاه الجديد إلى ضرورة استخدام اللغة العربية في مختلف أوجه الحياة والوجود، سواء في التفكير أو التعليم أو الإعلام أو في الإدارة أو في البحث العلمي، بحيث تكون العربية هي لغة الحياة والتعبير عن علوم العصر وثقافته وثقافته في مختلف الميادين" (فرج، 1993م، 9).

إن أول ما يعنيه التعريب الشامل "هو أن تسود العربية الفصحى مناحي الحياة العربية كافة، وأن يعم استعمالها كل أبناء الوطن العربي في أقطارهم المختلفة" (محمود، 2009م، 135). والتعريب في النهاية "يعني استعمال اللغة العربية في مختلف شؤون الحياة وتسيدها عند أبناء الأمة كلها، وخلق وترسيخ الانتماء إليها، والعمل على إتقانها، وخلق شعور الاعتزاز بها، وتكريس الفهم بأنها أساس الوحدة العربية المنشودة" (محمود، 2009م، 136).

وفي هذا السياق يقول نبيل علي عن التعريب: "إن التعريب تحويل الفكر غير العربي إلى عربي وتعريب المصطلحات وصياغتها صياغة صوتية وصرفية مقبولة في

اللغة العربية، وترجمة علوم ومعارف الآخرين حتى يتم التفكير والكتابة والمحاضرة والتعلم والبحث والإنتاج العلمي باللغة العربية" (علي، 2005م، 64).

وعلى إيقاع هذا التعريف الذي يقدمه نبيل علي يأتي تعريف أحمد بن نعمان إذ يعرف التعريب بأنه "نقل العلوم والفنون والآداب من اللغات الأعجمية إلى اللغة العربية، وهو يمثل العمل الجاد من أجل نشر العربية وجعلها لغة الحياة في مختلف مجالاتها ومظاهرها (بن نعمان، 1998، 36، 38). ويؤكد قاسم السارة على هذا البعد الشمولي للتعريب فيقول: "التعريب يعني أن تكون اللغة العربية لغة التعليم ولغة الحديث في الشارع في التخاطب داخل المجالس العلمية والرسمية ويوجب أن تكون العربية هي اللغة الرئيسية في الإنتاج الفكري والمادي، وفي تسيير مختلف المؤسسات والمرافق الاجتماعية لغة للتعبير عن الرؤى والتصورات للكون والمجتمع والحياة" (السارة، 1989م). ويقصد بالتعريب في أبسط معانيه شمولية استعمال اللغة العربية لغة قومية في الوطن العربي للتعبير عن المفاهيم، واستخدامها في التعليم بجميع مراحلها، والبحث العلمي بمختلف فروعها وتخصصاته، واستخدامها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة (صابر، 1982م، 87).

ويقول محمد السويسي في هذا السياق مؤكداً أهمية التعريب الثقافي "إذ لا يفيد تعريب الألفاظ إذا ما بقيت العجمة هي المسيطرة على العقلية وإذا ما انسلخ الفرد تدريجياً عن المجموعة التي ينتمي إليها" (الحمود، 2005م).

والمقصود بالتعريب الشمولي حسب عبد العزيز العاشوري هو: "إعطاء اللغة العربية في البلاد العربية منزلتها الطبيعية، كلغة قومية تضطلع بمهمة التعبير، بصفة رئيسية أساسية على كافة المضامين والمفاهيم المتداولة في المجتمع كما تعتمد لغة رئيسية أساسية في البحث والتعليم بجميع مراحلها واختصاصاته، وتتخذ لغة عمل في الإدارة والاقتصاد والإعلام وكافة مرافق المجتمع ومؤسساته" (العاشوري، 1981م، 10).

وفي هذا السياق تقول الدكتورة ملك أبيض: "إنّ التعريب لا يقتصر على جعل اللغة العربية لغة التعليم والكتب المدرسية والامتحانات فحسب، ولا هو مجرد إعطاء اللغة العربية الأولوية مع إضافة لغة أجنبية أخرى كلغة ثانية. فبالإضافة إلى ذلك يشمل

التعريب تدعيم المقومات الأخرى... [للأمة العربية]. وذلك بدراسة الوطن العربي من حيث جغرافيته وتاريخه وأحواله السكانية والاجتماعية والاقتصادية، وبدراسة التراث العربي في مجالات الفلسفة والآداب والفنون والعلوم على أن تكون الأجهزة العاملة في التعليم من مسؤولين ومفتشين إداريين معلمين من المواطنين العرب" (أبيض، 1982م، 120).

وفي سياق آخر يعني التعريب في رؤية أكثر شمولية وإجرائية "تحويل الفكر غير العربي إلى فكر عربي، وتعريب المصطلحات وصياغتها صياغة صوتية وصرفية مقبولة في اللغة العربية، وترجمة علوم ومعارف الآخرين حتى يتم التفكير والكتابة والتأليف والمحاضرة والتعلم والبحوث والإنتاج العلمي باللغة العربية، وهذا يتطلب إتقان اللغة العربية من منابعها الأساسية" (علي، 2005م، 64).

### التعريب الأكاديمي

تكمن العقدة الأساسية للتعريب في المستويات الأكاديمية والجامعية، وذلك لأن منطلق التعريب وحركته الفعلية تولد وتتطور في أتون الحياة الأكاديمية وفي مستوى التعليم الجامعي، فالتعليم الجامعي يشكل اليوم منطلق التعريب أو التعريب وذلك نظراً لما تمارسه هذه المؤسسات في هيمنة الرؤى والتصورات والقيم والممارسات في مختلف أوجه الحياة الفكرية والسياسية في المجتمع.

ويمكن القول في هذا السياق: إن الأصل في التعليم الجامعي أن يكون عربياً معرباً ولا ثمة حاجة للتعريب في جوهره. ولكن من يتأمل في واقع التعليم الجامعي سيجد أن هذا التعليم يعيش حالة اغترابية ضاربة الجذور، حيث تم الفصل بين التعليم الأكاديمي واللغة الأم فصلاً تدميراً يهدف إلى استلاب الثقافة العربية والعقل العربي وتهميش اللسان العربي الذي يعني في جوهر الأمر تهميش العقل العربي ووضعه خارج دائرة العصر بعيداً عن كل فعاليات البناء الحضاري الذي يقوم على الإبداع باللغة الوطنية الأم التي لطالما كانت أسس الحضارة العربية الإسلامية التي امتازت بشمولها وعظمتها.

وتظهر الحالة الاغترابية للغة العربية في الجامعات العربية مع مختلف أشكال الغزو الاستعماري الفكري والسياسي والعسكري، حيث فرض هذا الاستعمار نوعاً من التبعية الشاملة للغرب، وارتسمت هذه التبعية في أغلب الجامعات العربية بعد

الاستقلال وتفاقت خطورته مع استطلاات الزمن، وقد ظهر مفهوم تعريب التعليم الجامعي لمواجهة هذا الانحسار الذي شهدته اللغة العربية في مختلف مؤسسات التعليم الأكاديمي، ويقصد بالتعريب هنا الحالة التي يمكن إعادة الاعتبار فيها للغة العربية في عرينها الأكاديمي بعد أن أصبحت هجينة مستبعدة قسوة عن كل أشكال الممارسة الأكاديمية، وعلى هذا الأساس يمكن تعريف التعريب الجامعي "بأنه الفعالية التي تجعل من اللغة العربية اللغة الأساسية في مجال التدريس والبحث" (الحمود، 2005م). ويمكن تعريفه أيضاً بأنه: "الفعالية التي تجعل من اللغة العربية لغة التعليم في مرحلة التعليم الجامعي باعتبارها واسطة إيصال تعليمية أساسية في تدريس المقررات الجامعية في الجامعات العربية ووسيلة للتفاهم بين الأستاذ وطلبته في قاعات الدرس وبصفتها لغة الكتاب الجامعي المقرر ولغة الأبحاث والتقارير" (فرج، 1993م).

وضمن هذا السياق يعرف إبراهيم كايد محمود التعريب الجامعي بأنه "تحويل الجامعات والكليات الجامعية والمعاهد العليا من التدريس باللغات الأجنبية إلى التدريس باللغة العربية واعتماد اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي. وهذا يعني التخلص من الثنائية اللغوية التي لا تزال تهيمن على الجامعات والمعاهد العلمية العربية" (محمود، 2009م، 135).

### أبعاد التعريب ومركباته

مفهوم التعريب - كما أوضحنا أعلاه - مفهوم معقد مركب، يغطي عدداً كبيراً من المؤشرات والمتغيرات والدلالات والفعاليات والتوظيفات المتنوعة. ويميز الهوارى بين عدة معانٍ للتعريب، ويبين أن مفهوم "التعريب" وظف في أربعة معانٍ رئيسة (الهوارى، 2005م):

أولاً: يكون التعريب بنقل الكلمة الأجنبية ومعناها إلى اللغة العربية، سواء تمّ هذا النقل دون تغيير في الكلمة، أو تمّ بعد إجراء تغيير وتعديل عليها. وإذا تمّ نقل اللفظ الأجنبي إلى اللغة العربية دون تغيير، سُمّي (دخيلاً)، وإذا وقع عليه التغيير، سُمّي (معرباً). ومن أمثلة الدخيل ألفاظ الأكسجين، والنتروجين والنيترون.

ومن أمثلة المعرَّب: ألفاظ التليفون والتلغراف وقد استُعمل "التعريب" بمعناه الاصطلاحي لأربعة معانٍ رئيسة، يمكن توضيحها فيما يلي (الهوري، 2005م).

**ثانياً:** التعريب بمعنى الترجمة، أو نقل معنى نص من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، وقد يتألف هذا النص من فقرة أو كتاب كامل. والتعريب بهذا المعنى يكون مرادفاً للفظ "الترجمة".

**ثالثاً:** التعريب المعرفي والفكري ويعني استخدام اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة، كلاماً وكتابة ودراسة وتدريساً وترجمةً وتأليفاً، وفي هذا الصدد قامت حكومات الدول العربية بعد استقلالها في العصر الحديث بتعريب الإدارات والمؤسسات الاقتصادية والتعليمية بعد أن كانت فرنسية أو إنجليزية أو إيطالية (الحمود، 2005م).

**رابعاً:** التعريب هو الحالة التي تتبنى فيه الدولة اللغة العربية كلغة حضارية ووطنية، أي تصبح لغة التخاطب والكتابة السائدة فيه (الهوري، 2005م):

ويمكننا في هذا السياق إضافةً بعدين أساسيين في معنى التعريب

**أولاً:** **تعريب الذهنية:** أي تمكين العقل العربي من التفكير بلغته العربية إبداعاً وتأليفاً في مختلف المجالات الإبداعية والعلمية. وهذا النوع من التعريب يأتي من صلب قضية التعريب الذهني والعقلي وحالة الاستلاب الشاملة التي وضعت العقل العربي في زنزانة الاغتراب تحت تأثير القطيعة بين العقل واللسان.

**ثانياً:** **التعريب السيكولوجي:** ويأتي هذا التعريب نتاجاً للحالة النفسية الانهزامية التي نشأت إزاء اللغة العربية، إذ فقد الإنسان العربي ثقته بلغته وإيمانه بقدرتها وحيويتها، فأدى ذلك إلى حالة سيكولوجية سلبية إزاء اللغة العربية قوامها الخجل والازدراء والاستهانة والشعور بالضعف، ومن ثم اتخاذ مواقف عدائية ضد اللغة العربية واتهامها بالضعف والتقصير والهشاشة، وعدم القدرة على مجاراة العصر. ويعد هذا التعريب اليوم أخطر أنواع التعريب وأهمها؛ نظراً لحالة الانكسار والهزيمة التي يعايشها الشباب العربي عندما يستعمل لغته العربية وهي الحالة التي فقد فيها الإنسان حالة الاعتزاز باللغة العربية والشعور بأهميته وقيمتها وعظمتها بوصفها لغة الهوية والحضارة والثقافة.

## فعاليات التعريب

ويمكننا الكشف عن عدد من الفعاليات التي يركز التعريب عليها في أكثر تجلياته شمولاً:

- تتمثل الفعالية الأولى في جعل العربية لغة التعليم الرئيسة في مجال التدريس والبحث العلمي والتخاطب الأكاديمي بوصفها لغة الهوية، والانتماء والوجود والكينونة، والعمل على تكوين السليقة اللغوية لدى الأجيال والمتعلمين من أبناء المجتمع.

- تتمثل الفعالية الثانية في التعريب اللساني القائم على إثراء اللغة العربية وتنمية كينونتها اللسانية. وتنطوي هذه الفعالية على تزويد اللغة العربية بطاقة جديدة من المفردات العلمية والفكرية والثقافية وفق آليات التعريب المعروفة بتطويعها لقواعد اللغة العربية على نحو يتميز بالجاذبية والتشويق والمرونة.

- تأخذ الفعالية الثالثة طابع النهوض بعملية الترجمة من اللغة العربية، وإليها وهي الجهود المبذولة لتعريب المعرفة عبر ترجمة الكتب والأبحاث والدراسات من أجل توطين المعرفة باللغة العربية وتأصيل اللغة العربية بمعطيات الفكر العالمي في مختلف المجالات ومن كل اللغات.

- تتمثل الفعالية الرابعة في التأصيل الوجداني للغة العربية وتعزيز حضورها الخلاق في مختلف أنماط الوجود السيكولوجي والعقلي والأخلاقي للإنسان العربي، والإيمان بها قوة حضارية خلاقة يمكن التأسيس عليها في عملية النهضة الحضارية الشاملة.

- تتمثل الفعالية الخامسة في تدمير الاتجاهات السلبية نحو اللغة العربية وبناء اتجاهات إيجابية قوامها الشعور بالانتماء إلى العروبة بوصفها الجوهر الحقيقي لهويتنا القومية.

وباختصار، التعريب هو العملية الشاملة التي تجعل من اللغة العربية الفصحى اللغة الأساسية والرئيسية في مستويات التدريس وبناء المناهج والبحث العلمي والتداول الأكاديمي والتخاطب اليومي والتداول المعرفي والتواصل الاجتماعي في داخل المؤسسات التعليمية والجامعية وخارجها.

## الخلاصة

يعبر يحيى الرخاوي في مقالة له حول الاغتراب اللغوي عن جوهر الاغتراب اللساني عند العرب عندما يقول: "في حين أن الإنسان المعاصر في الدول المتقدمة قد صنع له صنم إلهاً جديداً من التكنولوجيا الحديثة مع احتفاظه بحق ممارسة حريته من خلال تغيير هذه الأصنام وتطويرها وتطويرها بشكل يكاد يكون مستمراً، نجد أن إنسان الدول المتخلفة يستورد أصنامهم وصانعيها: آلهة سابقة التجهيز والبرمجة، بلا مفتاح شفرة أو كلمة سر لفتحها أصلاً" (الرخاوي، 2003). وعلى هذا النحو جعلنا من اللغات الأجنبية المستوردة صنم عبادة في جامعاتنا وحياتنا الاجتماعية فأسقطنا لغتنا الأم التي هي رمز هويتنا ووجودنا وكياننا ودخلنا في زنانات اغتراب لسانية غريبة الصناعة محكمة الصنع شديدة الانغلاق.

والسؤال الكبير الذي يرسم هنا إلى أي حد ترتسم حالة التغريب والاغتراب الحضاري في حياتنا الثقافية والاجتماعية؟ ومن صلب هذا السؤال ينفجر السؤال الحيوي لهذه الدراسة وهو: إلى أي حد تعيش جامعاتنا ومؤسساتنا الجامعية حالة اغتراب واستلاب لسانية؟ وضمن المحاولة الافتراضية للإجابة عن هذين السؤالين الكبيرين، يمكننا القول: إننا نعيش اليوم حالة اغتراب لساني عميقة الأغوار، فاللغة العربية تعاني حالة تراجع وانحسار وانكسار في مختلف المستويات الثقافية والفكرية في العالم العربي، وهي توغل وتتوغل في رحلة اغترابها واستلابها وتغريبها.

والكارثة الكبرى أن هذه اللغة الجميلة النبيلة تلقى صدود أهلها وعزوفهم عن التأمل في أهميتها وعظمة الدور الذي أدته في مختلف دورة الحضارات الإنسانية بإبداعاتها الأدبية والعلمية. والطامة الكبرى أن المؤسسات العلمية والتربوية تنأى عن فهم المقاصد الحضارية للغة العربية؛ فالجامعات العربية تمعن في وضع اللغة العربية في دائرة التهميش والهامشة، بل تعمل على تقزيم دورها وتصر على أن تلحق بها مختلف ضروب الهزيمة والانكسار رفضاً لها ومصارحة بالعداوة لوجودها، وهي لا تتوقف عن إقصائها لصالح اللغة الإنجليزية تارة والعامية تارة أخرى، حتى أصبحت اللغة العربية غريبة في ديارها مقفرة في عقول أبنائها. وتبلغ هذه الصورة المساوية حالة الصدمة الوجودية الكبرى عندما يغفل أبناء اللغة العربية أنه في هزيمة لغتهم تكمن هزيمة أرواحهم وسقوط هويتهم واندثار حضارتهم إلى الأبد.

## الفصل الثالث

### حضارة التعريب: لمحة تاريخية

"ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد، وإن اختلفنا عنهم في الزمان والسجاي والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبين ما وراءه إلا بصعوبة".

(المستشرق الألماني فرناغ)

يرى الباحثون في تاريخ الحضارات الإنسانية أن اللغة العربية كانت في مرحلة الازدهار الحضاري أصلاً في العلم، وروحاً في المعرفة، وشغفاً في الثقافة، ومنطلقاً للنهوض الحضاري. وفي هذه المرحلة استطاعت العربية أن تكون وطناً للعلوم الطبيعية والإنسانية في مجالات الهندسة والجبر والفلك والطب والفلسفة. وكانت اللغة العربية وثيقة الصلة بالوضع الحضارية للأمة، والتعريب كان دائماً هو الوجه الآخر للتعبير عن الحضارة العربية حضوراً وانحساراً نهوضاً وانكساراً.

فلكل حضارة لسان تعبر به عن ذاتها ووجودها ولسان الحضارة العربية لم يكن سوى العربية التي ازدهرت في مراحل النمو الحضاري وامتدت لتعبر عن مختلف خلجات الحضارة العربية في مختلف العصور. وبقينا أنه عندما تضعف الحضارة يضعف لسان حالها وتذوي لغتها وتنحدر ثم تنحسر.

ويمكن أن نميز حالتين حضاريتين أساسيتين في تاريخ التعريب: التعريب في حالة الازدهار الحضاري، والتعريب في حالة الانحسار الحضاري. حيث يأخذ الأول صورة المد الحضاري الشامل، بينما يأخذ الثاني صورة المحافظة على الهوية الحضارية وممانعة الذوبان الحضاري في عصر الركود الحضاري الذي تشهده الأمة العربية اليوم.

بدأت حركة التعريب فعلياً مع بداية الدعوة الإسلامية، حيث جمع الإسلام بلغته القرآنية لهجات العرب في لغة واحدة سامية هي لغة القرآن الكريم. فانطلق التعريب مع بداية الخلافة الإسلامية وتجسد ذلك في الاهتمام السياسي الذي أبداه الخلفاء الراشدون باللغة العربية فعملوا على تمكينها في قلوب الناطقين فيها وفي عقولهم وعلى ألسنتهم. ويرى الباحثون أن أولى محاولات التعريب بدأت بـ(تعريب النقود) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ ضرب الدراهم على أسماء عربية فجعل نقش بعضها (الحمد لله) ونقش بعضها الآخر (محمد رسول الله) أو (لا إله إلا الله وحده) وقد نهج على نهج الخلفاء الذي جاؤوا من بعده.

وقاد الخليفة الأموي<sup>(2)</sup> عبد الملك بن مروان أكبر عملية تعريب حضارية في تاريخ العرب شملت جميع مناحي الحياة الفكرية والعلمية والسياسية والعسكرية، إذ قام بتعريب دواوين الدولة برمتها، ثم عرّب عملة الدولة المتداولة بين الناس، وقد أدت هذه العملية إلى نشر اللغة العربية في مختلف أصقاع الدولة الإسلامية، وأتاحت للعرب فرصة الوصول إلى أرفع المناصب الإدارية وأهمها شأنًا، بعد أن كان ذلك يقتصر على غير العرب، الأمر الذي كان يضعف تكوين الدولة القومي، ويتناقض مع سياسة الدولة العامة، ويوهن الثقة بين الدولة والإدارة، ولا يمكن أن تقوى هذه الثقة ما دام موظفوها ليسوا عرباً، وما دامت لغتها غير عربية. لهذا فقد كان لفكرة التعريب أثرها العظيم في رفع شأن اللغة العربية، حتى غدت اللغة الرئيسية بعد أن كانت في عداد اللغات الأجنبية كسواها بالنسبة لأهل البلاد المفتوحة. وقد سار على نهج ابنه الوليد بن عبد الملك، وسائر الخلفاء الأمويين فعملوا على ترسيخ اللغة العربية الواحدة لغة الدولة والثقافة والمعرفة والمصير.

فالحضارة العربية الإسلامية انطلقت عبر حركة تعريب واسعة في مختلف المدن والمقاطعات والبلدان التي فتحها العرب والمسلمون في مختلف أرجاء الأرض. وقد عمل العرب على نشر لغتهم في مختلف أصقاع الدولة حتى شمل التعريب كل مناحي الحياة والوجود. وكان على سكان البلاد المفتوحة أن يتعلموا العربية وأن يستفيدوا منها لدينهم ودينهم حتى اضطروا أن يتعلموا النحو لإصلاح لغتهم. ثم أقبل الناس

(2) العصر الأموي: بدأ هذا العصر في سنة 40 هـ / 661م وانتهى في سنة 132 هـ / 750م

على تعلم العربية فنقلوا إليها علومهم وحتى كتبهم المقدسة وذلك لإظهار تراثهم الحضاري والثقافي للفاتحين ونتيجة لشعورهم برغبة المسلمين للإطلاع على ما عند الأمم الأخرى من علوم ومعارف كما أن إقبال البعض من أهل البلاد المفتوحة على ذلك تحقيقاً لمكاسب مادية ومعنوية (اليوزبكي، 2008م). وقد شهدت الحضارة العربية الإسلامية - كنتيجة طبيعية لهذه الفعالية التعريبية - نشاطاً علمياً يندر مثيله في تاريخ العصور العلماء؛ إذ ظهرت طائفة من العلماء والمفكرين والعباقرة في مختلف الميادين العلمية مثل: البيروني، والكندي، والرازي، وابن سينا، والإدرسي، وابن باجة، وعمر الخيام، وابن زهر، وابن طفيل، وابن رشد، وابن حزم الأندلسي، وكان عدد العلماء والمفكرين يفوق التعداد والعصر، ولم تكن هذه الظاهرة حالة خاصة بل كان هذا هو الحال العام في الحضارة الإسلامية. وبقيت هذه الحالة قائمة حتى مرحلة تراجع الحضارة العربية وانحسارها السياسي، حيث بدأت اللغة العربية تتراجع وتنحسر وتذوي وتغيب تدريجياً حتى آلت إلى ما هي عليه من انحدار وتصدع في مختلف البلدان العربية والإسلامية.

ومن ثم استمرت حركة التعريب على أشدها في العهد العباسي<sup>(3)</sup>، ولاسيما في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين أي: في مرحلة الازدهار الحضاري، أي: في عهد الخليفة هارون الرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم بالله. وكان المأمون الخليفة العباسي العالم المستنير (ت833هـ) يتفانى في خدمة العلم والمعرفة ويحث العلماء على طلب العلم ويضع المكافآت الثنية لهم، وقد أنشأ لهم بيت الحكمة ليكون أكاديمية البحث العلمي ببغداد تحت رعايته الشخصية. وأقام به مرصداً ومكتبة ضخمة. كما أقام مرصداً ثانياً في سهل تدمر بالشام. وجمع المخطوطات من كل الدنيا لترجم علومها.

ويروي المؤرخون أن بيت المال أيام المأمون كادت تنفذ خزائنه من كثرة ما كان يدفع أجراً للمترجمين. ويروي الثقافة من أهل العلم أن حنين بن إسحاق كان يتقاضى وزن ما يترجم ذهباً، ولما كان الرجل نحيلاً وحريصاً على نمو ثروته، فقد كان يكتب

(3) العصر العباسي الذهبي: بدأ هذا العصر سنة 132 هـ / 750م، وانتهى في سنة 247 هـ / 848م. وسقطت بغداد في عهد المعتصم بالله على يد المغول عام 1258 وهو آخر عهد الخلافة العباسية.

بخط كبير الحجم، كما كان يكتب على لوحات ثقيلة، ولا غرابة في هذا المسلك فيما وصلت إليه أمة الإسلام في ذلك العصر من عز ومجد حضاري وثقافي واجتماعي كان نتاجاً طبيعياً لحصيلة العلم والرغبة في المعرفة (الموسوعة العربية الحرة، ويكيديا).

وفي عهد المأمون شهدت الدولة الإسلامية أعظم نهضة علمية حضارية في تاريخ الأمة؛ فظهرت الجامعات الإسلامية لأول مرة بالعالم الإسلامي قبل أوروبا بقرنين. وكانت جامعة بيت الحكمة أول جامعة أنشئت في بغداد سنة (830م)، ثم تلاها جامعة القرويين سنة (859م) في فاس، ثم جامعة الأزهر سنة (970م) في القاهرة. وبالمقارنة فإن أول جامعة في أوروبا أنشئت في "سالرنو" بصقلية سنة (1090م) على عهد ملك صقلية روجر الثاني. وقد أخذ فكرتها عن العرب هناك. ثم تلاها جامعة بادوفا بإيطاليا (الموسوعة العربية الحرة، ويكيديا).

ومع ضعف الدولة العربية في بغداد وسقوط الدولة العباسية عام (1258م) بدأت اللغة العربية تشهد تراجعاً كبيراً وانحساراً في مختلف مناحي الحياة والوجود، ولاسيما في مجال العلوم والمعارف، ويلاحظ الباحثون أن اللغة العربية بدأت تأفل مع أفول الحضارة العربية وتراجعها.

وفي ظل الدولة العثمانية (1299م - 1923م) تراجعت اللغة العربية وأصبحت اللغة التركية هي لغة الدواوين والإدارة والاقتصاد وبقيت هذه الحالة قرابة أربعة قرون عجاف أدت إلى انحسار كبير في اللغة العربية وتراجعها في مختلف الميادين. وكانت الطامة الكبرى بوصول جمعية الاتحاد والترقي الطورانية إلى السلطة في الدولة العثمانية إذ بدأوا بعملية "تتريك" واسعة شاملة لمختلف مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية في البلدان العربية أو الناطقة بها. وتعد حركة "التتريك" التي تعرضت لها اللغة العربية أولى المحاولات السياسية المنهجية للقضاء على اللغة العربية في ديارها وإحلال اللغة التركية بديلاً عنها، وحدث ذلك في بداية القرن العشرين، إذ قام الأتراك "بتتريك" الدواوين والجيش والتعليم. وتم منع استخدام اللغات غير التركية في الإعلام والتدريس، كما فرض على جميع سكان تركيا تبني أسماء تركية وحولت أسماء الكثير من المدن (ومنها العربية في الجنوب) إلى أسماء تركية. كذلك منعت المطبوعات والأنشطة الثقافية بغير اللغة التركية، وحول الأذان من العربية إلى التركية.

وبرهنت العربية مرة ثانية في العصر الحديث، بأنها صنو العلم، وحاضن المعرفة، وملهم الثقافة، حتى أتى يوم من الدهر أصبحت فيه قصبة مستبعدة، بعدما أُخرجت من عرينها الأكاديمي، فهزمت في عقردارها وفي فضاء أوطانها. وقد جاء هذا البرهان العظيم على يد محمد علي باشا، (والي مصر)، الذي تسلم مقاليد السلطة في مصر عام (1805م)، فأسس دولة عربية حديثة تقوم على العلم والمدينة؛ ثم أرسل البعثات الدراسية إلى أوروبا، وفتح عدداً من المدارس العسكرية والطبية والهندسية، واعتمد اللغة العربية لغة رسمية في مختلف مناحي الحياة العلمية والسياسية والأكاديمية، فعادت اللغة العربية من جديد لغة الدولة الرسمية، وغدت لغة التدريس في جميع المدارس الجديدة والمؤسسات التعليمية الناهضة.

وفي هذه المرحلة الجديدة، من حكم محمد علي باشا استطاعت اللغة العربية أن تثبت جدارتها، ولاسيما عندما أنشأ محمد علي باشا أول كلية للطب في أبي زعبل بمصر عام (1826م)، فجعل من العربية لغة التدريس والبحث العلمي فيها، وكانت هذه الكلية أعظم مؤشر على مظاهر النهضة العلمية التي انطلقت في عهده، حيث برهنت اللغة العربية قدرتها الهائلة على احتواء العلوم وقدرتها على أن تكون لغة التدريس والحوار والإبداع طيلة سبعين عاماً برز خلالها الكثير من الأساتذة والمترجمين الذين خدموا العربية خدمات جليلة.

ويروي الثقة أن محمد علي استقدم الأساتذة الأجانب للتدريس في الكلية بداية وجعل لهم مترجمين يقومون بترجمة الدروس في قاعات المحاضرات، وخلال هذه الفترة ألف الأطباء والباحثون في الطب في هذه الكلية 53 كتاباً مرجعياً في الطب.

وهكذا انطلقت اللغة العربية لتأخذ طريقها إلى دنيا العلوم والحضارة الحديثة، ولم يكتف محمد علي بتأسيس كلية الطب فحسب بل أسس مدارس ومؤسسات ومعاهد في الطب والهندسة والزراعة والعسكريات، وكانت اللغة العربية في كل هذه المؤسسات لغة التعليم والخطابة والتأليف والنشر.

ومن أعظم ما قدمه محمد علي للعربية هو افتتاحه مدرسة الألسن عام (1836م) التي شكلت معلماً بارزاً من معالم النهوض باللغة العربية الفصحى وتطويعها لاستيعاب العلوم الحديثة واحتواء مصطلحاتها بعد ذلك الانقطاع الطويل بين الفصحى والعلم عصوراً متتابعة. ولا بد من الإشارة في هذا السياق إلى تلك

الحماسة التي كانت تملأ النفوس، والإخلاص الذي كان يعمر القلوب لدى أولئك العلماء الذين عملوا بطريقة عبقرية فذة على نقل العلوم الحديثة وترجمتها إلى اللغة العربية.

ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى المصلح الكبير رفاعة الطهطاوي الذي اشتغل بالترجمة في مدرسة الطب، فعمل على تطوير مناهج الدراسة بالعربية في العلوم الطبيعية، وإليه يعود الفضل في افتتاح مدرسة الترجمة عام (1935م) التي صارت فيما بعد مدرسة الألسن، وعُيِّن مديراً لها، إلى جانب عمله مدرساً بها. وفي هذه الفترة تجلّى المشروع الثقافي الكبير لرفاعة الطهطاوي؛ ووضع الأساس لحركة النهضة باللغة العربية، إذ قام بمساعدة فريق من العلماء والمفكرين بترجمة متون الفلسفة والعلوم والتاريخ الغربي، ونصوص العلم الأوروبي المتقدّم إلى اللغة العربية.

وقد أنشأ الطهطاوي أقساماً متخصصة للترجمة في مجالات الرياضيات والطبيعات والإنسانيات، وكان من أعظم ما قدمه للغة العربية استصدار قرار تدرّس العلوم والمعارف باللغة العربية (وهي العلوم والمعارف التي تدرّس اليوم في بلادنا باللغات الأجنبية)، وكان قد أصدر جريدة "الوقائع المصرية" بالعربية بدلاً من التركية؛ هذا إلى جانب عشرين كتاباً من ترجمته، وعشرات غيرها أشرف على ترجمتها. ويرى الباحثون في هذا السياق أن المدارس الطبية والهندسية والعلمية نجحت في التدرّس باللغة العربية مدة ستين عاماً متصلة وخُرّجت لنا أفضل العلماء والباحثين والمفكرين.

غير أن الإنجليز، حين احتلوا مصر عام (1883م)، سارعوا إلى جعل التدرّس في كلية الطب باللغة الإنجليزية؛ وكان ذلك انتكاساً أصاب العربية وأهلها في عرين العروبة من جديد. وهكذا، وبعد ستين عاماً من التدرّس والبحث العلمي، اتخذت الحكومة المصرية تحت ضغط السلطات الاستعمارية قراراً بإقصاء العربية وتبني اللغة الإنجليزية فيها عام (1887م) بعد أن كانت حركة التعريب للعلوم المختلفة قد سارت بخطى ثابتة فأبدع عدد من العلماء والمفكرين وألّفوا كتباً حيّة أصيلة في مجال علوم النبات والحيوان والفيزياء والجيولوجيا والرياضيات والصيدلة والنجوم والفلك. وهكذا عمل الاستعمار البريطاني على قهر اللغة العربية وأخرجها من عقر دارها ليجعل من اللغة الإنجليزية لغة التعليم الطبي في الجامعات والمؤسسات العلمية.

أما في بلاد الشام، فقد عملت الإرساليات التبشيرية للدول الأجنبية في القرن التاسع عشر على تدريس اللغة العربية، وسعت إلى نشرها؛ مدفوعة بدوافع سياسية تهدف إلى تقويض الخلافة العثمانية التي بالغت في أواخر عهدها في تترك العرب وإجبارهم على التخلي عن لغتهم.

وقد تمّ إنشاء الكلية السورية الإنجيلية في بيروت التي سميت فيما بعد بالجامعة الأمريكية ببيروت عام (1866م)، وأنشئت بعدها عام (1883م) مدرسة الطب اليسوعية، وكان الطب يعلم فيها باللغة العربية حتى اللحظة التي وقعت فيها لبنان وسوريا تحت الاستعمار الفرنسي فتحول تعليم الطب في هاتين الكليتين إلى الإنجليزية والفرنسية. وشهدت هذه الحركة التعريبية نشاطها الكبير في هذه الكلية، فظهرت مؤلفات المستشرقين الأمريكيين، من أمثال: كرفيلوس فاندك، ويوحنا، وجورج بوست، بمعاونة أساتذتهم العرب من أمثال بطرس البستاني، واليازجيين ومنهم: ناصيف وإبراهيم، ويوسف الأسير، وأحمد فارس الشدياق، تغطي برامج الدراسة في علوم الطب والفيزياء والكيمياء والصيدلة والرياضيات والفلك وسواها بلغة عربية سليمة ومستوى علمي جيد، ولم يخطر ببال رواد النهضة الحديثة، عرباً أو أجنبياً من المخلصين التدريس بغير العربية، تطبيقاً لمنطق علمي براغماتي (مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل هو المعيار الوحيد للحقيقة) بسيط ما زال هو المنطق العملي الصحيح اليوم.

وفي سوريا أسست كلية الطب في دمشق عام (1919م)، وكانت تدرس الطب باللغة العربية واستمرت فيه حتى اليوم مع محاولات الانتداب الفرنسي لفرض اللغة الفرنسية فيها (السباعي وعثمان، 1996م).

ويمكن القول في هذا السياق إن الجهود العربية في المجال العلمي التي بدأت في عهد النهضة تعد حلقة من سلسلة متواصلة لدعم التراث العلمي العربي وتطويره، "وقد واجهت هجمة استعمارية شرسة، عصفت بتلك الجهود إثر استعمار الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، هذا الاستعمار أدى بدوره إلى قتل روح الإبداع، ومنها البذرة الأولى وهي التدريس باللغة العربية في المجالات العلمية في مناطق

الشام ومصر وتونس؛ مما أدى إلى النزوح عن اللغة العربية وهجرها كلغة تدريس، والتدريس بلغة المستعمر الأجنبي الإنجليزية في المشرق والفرنسية في المغرب العربي" (خريوش، 1997م).

وكذلك فعلت الجامعة الأمريكية في بيروت مدة ثماني عشرة سنة في مطلع عملها وما فعلته جامعة دمشق في سوريا العربية منذ مطلع القرن العشرين، ولا تزال حتى الآن، حيث قامت هذه الجامعة بتعريب عملية التدريس بشكل شبه كامل وخرج إلى النور عددٌ لا يُستهان به من الكتب التي تُشكل قواميس للمواد العلمية التي تُدرّس في الجامعات وخاصة الطبية منها. (الحمود، 2005م).

بدأت حركة التعريب في العالم العربي في عصر النهضة العربية الحديثة في أوائل القرن التاسع عشر، وساهمت في إحياء الثقافة العربية بعد زمن طويل من الركود اللغوي والفكري، وكان لها إسهامات كبيرة في مسيرة التحرر من الاستعمار وآثاره اللغوية وغيرها، إضافة إلى الدور الفاعل لمجامع اللغة العربية في بعض الدول العربية، والإسهامات الكبيرة لبعض علماء اللغة والعاملين بالترجمة مثل: أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني.

ولكن حركة التعريب في الوقت الحاضر تعاني ركوداً، مقارنةً بغيرها من دول العالم المتقدم وغير المتقدم غير الناطقة باللغة الإنجليزية مثل: أرمينيا واليونان وتركيا وكوريا والصين وإندونيسيا واليابان وألمانيا ممن تستخدم اللغة القومية في التعليم الجامعي.

مع انحسار الاستعمار الغربي في البلدان العربية، وظهور ملامح الدولة الوطنية القومية، بادرت الحكومات العربية إلى مواجهة قضية التعريب من جديد، وبدأت الجهود العربية تتعاظم في مجال تعريب الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. وجاء التعبير عن هذه المرحلة من جديد بعدد كبير من القرارات السياسية التي أرادت أن تعيد للعربية أمجادها بوصفها لغة الحياة والوجود. وقد ترافقت هذه الجهود السياسية بولادة مجامع اللغة العربية في مختلف الأقطار وتقاطر الجهود والقرارات التي أرادت للعربية أن تكون لغة الأمة والدولة والوطن.

## الخلاصة

شهدت اللغة العربية نهضتها العظيمة ووحدتها الكبرى في التجليات القرآنية للحضارة الإنسانية فاتحدت لهجات العرب العديدة في لغة عربية فصيحة واحدة هي لغة القرآن الكريم. وشهدت هذه اللغة تأكيداً لحضورها وتفانياً في تأصيل قوتها ووجودها في العهد الراشدي العظيم. ثم كان العصر الأموي الذي كان عصر العروبة والتعريب بامتياز. واستمرت العربية في تقدمها في العصر العباسي الأول عصر الازدهار العظيم فتحوّلت العربية إلى لغة الدنيا والحضارة والناس في مشرق الدنيا ومغاربها.

وبدأ عصر الانحسار مع ضعف الدولة العربية وانهارها، ومن ثم سقوطها على يد المغول والتتار في عام (258م) فكانت المأساة التي تعاضت مع الخلافة العثمانية واشتدت مخاطرها مع الهجمة على اللغة العربية في العهد الطوراني، حيث تعرضت اللغة العربية لعملية تترك شاملة. وهكذا بقيت اللغة العربية أسيرة الضعف والانحلال والإقصاء على مدى أربعمئة سنة من عهد العثمانيين والأتراك.

وفي عصر النهضة انتفضت العربية من جديد بجهود النهضويين العرب والمفكرين وكانت مرحلة محمد علي هي مرحلة النهوض العظيم للغة العربية ولكن هذه المرحلة لم تستمر طويلاً فجاء الاستعمار الغربي ليقرب الموازين ليقصي اللغة العربية عن التعليم والحياة العلمية ومن ثم لينادي باللغات الأجنبية والإنجليزية لغات للمعرفة والعلم والتدريس. وما يؤسف له أن تأثير الاستعمار الغربي ما زال قائماً وما زالت اللغة العربية قصة نئيّة عن مقاصدها الحضارية والثقافية باستمرار هذا الاستعمار في صورة الاستعمار الخفي الذي يأخذ صورة علمية جارفة ضاربة لا تقيم اللغة العربية وزناً أو أهمية.





## الفصل الرابع

### تجارب عالمية في تبني اللغات الوطنية في التعليم الجامعي

"إن اللغة هي الهوية الوطنية، إنها الوطن الحي المتدفق الذي  
يسكن قلب كل واحد منا".

(جلبير كونت)

#### مقدمة

إن أغلب دول العالم وأممها ترفع من شأن لغاتها الوطنية وترعاها وتحافظ على مقومات وجودها بوصفها لغة مقدسة ثم تضعها في المركز الأول في سلم اهتماماتها وأولوياتها. فاللغات الوطنية القومية تأخذ في مختلف دول العالم طابعاً مقدساً بوصفه المعيار الأول للهوية والانتماء والوجود. واللغات الوطنية غالباً ما تحاط بخطوط حمراء لتأخذ صورة (تابو) قومي لا يسمح أبداً بملامسته أو استهجانه أو تجاوزه، وضمن هذه الرؤية تقوم معظم بلدان العالم باعتماد لغاتها القومية لغة للتدريس والحياة والوجود ورمزاً للوجود الوطني والهوية الوطنية والانتماء القومي ويجعلون منها أمراً مقدساً يدافعون عنه ويذودون عن حياضه.

وتبين الدراسات الجارية في ميدان اللغة أن معظم الأمم تدرس الطب والعلوم التطبيقية بلغاتها الأصلية مع ضعف لغاتها وقلة المتحدثين بها، مثل الدانمارك، وفنلندا، وهذه اللغات لم تكن يوماً لغة حضارة كما كانت اللغة العربية، بل هي لغات صغيرة مغمورة حضارياً ومن هذه الدول يمكن الإشارة إلى: السويد، والنرويج، وإندونيسيا، فيتنام، بلغاريا، تشيكوسلوفاكيا، وألمانيا، والنمسا، وإسبانيا، والدانمرك، فنلندا، اليونان، أيسلندا، إيران، إسرائيل، إيطاليا، اليابان، منغوليا (الحميد، 2008م).

وفي الوقت الذي تُدرّس فيه هذه الدول الصغيرة نسبياً الطب بلغاتها، نجد أن الدول العربية - وعدد سكانها أكثر من 300 مليون نسمة، وفيها أكثر من 90 كلية طب - تدرس الطب بلغات أجنبية هي الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، ما عدا خمس كليات في سوريا والسودان. (السباعي وعثمان، 1996م).

وها "هي ذي" فنلندا - وهي دولة صغيرة جداً - تدرس الطب باللغة الفنلندية، على حين ندرسه في أغلب جامعاتنا بالإنجليزية، وأين الفنلندية من العربية؟! وهل لها الرصيد الثقافي والحضاري العربي العريق؟ وهل لها ما للعربية من تراث طبي مجيد؟ نحن الذين علموا الطليان الطب في عصر النهضة وها هم أولاء يدرسون الطب بلغتهم الطليانية، وأسأتدتهم العرب يدرسونه بلغة أجنبية" (خلوصي، 1982م، 4).

إن أكثر الشعوب، سواء من هي من الدول العظمى، أو التي هي أقل منها مستوى، لا ترتضي لها عزتها وكرامتها أن يكون التعليم عندها بغير لغتها القومية. ولو ألقينا نظرة على الدول المستقلة سياسياً مثل: الأمريكتين الشمالية، والجنوبية وأوروبا وأستراليا جميعها تدرس الطب بلغاتها في حين أن الدول التي خاضت تجربة الاستعمار وتقع أكثرها في قارتي آسيا وإفريقيا يدرس الطب فيها بلغة المستعمر، وأقرب مثال لذلك نجده في عالمنا العربي، فالطب في المغرب العربي يدرّس باللغة الفرنسية، وفي مصر والعراق والسودان بالإنجليزية، وفي الصومال بالإيطالية، وكلها لغات المستعمر الذي ساد البلاد لفترة من الزمن.

## 1. الكيان الصهيوني

ومن المساوي بمكان أنه في الوقت الذي يتخلى فيه العرب عن لغتهم نجد بعض الأمم تحيي لغاتها الميتة وتبعث فيها الحياة استنهاضاً لكيانها ووجودها، كما هو حال الكيان الصهيوني الذي أحيا لغته من القبور، فجعلها لغة التدريس والبحث العلمي والتداول العام، وقد وصل هذا الاهتمام إلى درجة جعل فيها الصهاينة من العبرية البائدة لغة العلوم والفنون والهوية القومية، وهي اللغة التي يعتمدها اليوم مركز الأبحاث الذرية في معهد وايزمان في إسرائيل.

لقد مرّ زمنٌ والعبرية في عداد الأموات، فجاء هؤلاء الصهاينة لإحياء هذه اللغة، بعد موت وفناء استمر أكثر من ألفي سنة، إيماناً منهم بأن بناء دولتهم المغتصبة،

ودولتهم الجائرة لا يمكن أن يتم ما لم يتم إحياء لغتهم البائدة، وجعلها لغة وطنية قومية للدولة المغتصبة. ولم يقف الجهد الصهيوني عند إحياء هذه اللغة وتبنيها بل جعلوا منها لغة الحضارة والتقانة والتعليم لديهم في مختلف العلوم والفنون (الحميد، 2008م). وفي الوقت الذي تقوم فيه إسرائيل (الكيان الدخيل المصطنع) بإحياء اللغة العبرية بعد موت سريري دام ألفي عام، نجد أن العرب يميّتون لغتهم الحية التي كانت من أعظم لغات الحضارة الإنسانية في العصر الوسيط، وشتان بين اللغتين في مسيرة الحضارة الإنسانية.

ومن المفارقة بمكان أن علماء العبرية في إسرائيل لجأوا إلى استخدام الجذور الاشتقاقية العربية لسك المصطلحات العلمية الجديدة مستفيدين من الصلة الاشتقاقية بين العربية والعبرية (السعدي، 1984م)، وذلك في الوقت الذي لا يزال المفكرون العرب منشغليين تماماً في مشاحناتهم حول مدى صلاحية اللغة العربية للعلوم الحديثة.

ومن أكثر المفارقات التاريخية أن اللغة العبرية فرضت نفسها على تركيبة متنوعة وخليط إثني لغوي عجيب من المهاجرين اليهود القادمين من مختلف أنحاء العالم والذين يتكلمون لغات البلدان الأصل التي قدموا أو هاجروا منها لغات عديدة. هذا ومع تعدد التركيبات الاجتماعية لليهود الوافدين إلى الكيان المصطنع وتعدد اللغات الأصلية للمهاجرين، فإن اللغة العبرية أريد لها أن تكون اللغة الرسمية الحكومية الوطنية وهي اليوم اللغة التي يستخدمها اليهود الصهاينة في إسرائيل دون منازع.

وفي الجامعات الإسرائيلية تُدرّس جميع المواد العلمية باللغة العبرية منذ تأسيس الجامعة العبرية في القدس عام (1925م). والجدير بالذكر أن اللغة العبرية كانت لغة مكتوبة فقط غير محكية، على مرّ سبعة عشر قرناً من الزمان، من القرن الثاني للميلاد وحتى أواخر القرن التاسع عشر، حين بدأت تُستعمل كلغة محكية إثر جهود إحيائها من قبل زمرة من المثقفين وعلى رأسهم إليعزر بن يهودا.

فالجامعات الإسرائيلية تدرس الطب باللغة العبرية بينما تدرسه مصر وبقية البلدان العربية باللغة الانجليزية والفرنسية. وما زالت نخبة من مفكرينا العرب المأخوذون بالغرب والمسحورين بلغاته يعتقدون بأن العربية ليست صالحة إلا في مجال الآداب والإنسانيات والعلوم القرآنية وكليات الشريعة. ويتأثير هذه الرؤية فإن معظم

الجامعات العربية ما عدا جامعة دمشق وأربع كليات أخرى تدرس الطب وبقية العلوم الطبيعية باللغات الأجنبية. بل وحتى العلوم الإنسانية أصبحوا يدرسونها بالانجليزية أو بالفرنسية فيما يخص الدراسات العليا وشهادات الدكتوراه.

## 2. الصين

عرف الصينيون بحدسهم وحكمتهم منذ القدم أن اللغة تشكل عماد الوجود والهوية، وغالباً ما يعزي المؤرخون وحدة الصين وقوتها المنيعه إلى وحدة لغتها ومنعتها اللسانية. لقد آمن الصينيون أبداً بأن اللغة الصينية هي العنصر الأساسي في وحدة الصين وقوتها فحافظوا على لغتهم حفاظاً على دولتهم وقوتهم وحضارتهم. وقد آمن "كونفوشيوس" حكيم الصين وفيلسوفها بأن اللغة الصينية هي الحامل القومي والوطني للصين وقد عرف عنه غيرته الشديدة على اللغة الصينية باعتبارها مدخلا حضاريا وقوميا وثقافياً لأمة الصين العظيمة وها هو ينصح الإمبراطور عندما يستشيريه في السبيل الأقوم إلى إصلاح الإمبراطورية قائلاً: "ابدأ باللغة، ولم يقل له ابدأ بالاقتصاد" (بلعيد، 1998م، 109).

فالصين على غرار الاتحاد السوفييتي سابقاً استطاعت أن تترجم معظم الإنتاج العلمي والمعرفي للغرب في فترة قصيرة واستطاعت أن تستلم التجربة العلمية للغرب حتى أتت عليها وتمثلتها ومن ثم وظفتها وأصلتها على نحو مبين في مختلف مناحي الحياة العلمية الصينية، ومن ثم استطاعت أن ترسخ حضورها العلمي وإشعاعها المعرفي في مختلف ميادين العلم والمعرفة وأن تحقق أعظم الإنجازات التي تضاهي الغرب وتفوقه أحياناً. وضمن هذه الفعالية الحضارية الإبداعية تحولت اللغة الصينية رغم ما تنطوي عليه من صعوبات وتعقيدات أبجدية وصوتية أن تكون مركز إشعاع فكري ومنازة حضارية يقبل عليها طلاب الغرب في فرنسا وبريطانيا وأمريكا ومختلف أنحاء العالم، وهذا ما نلاحظه حيث انتشرت المعاهد اللغوية في مختلف أنحاء العالم وجامعاته لتدريس اللغة الصينية كلغة علمية واقتصادية تضاهي إلى حد كبير اللغة الإنجليزية. وهذا يعني أن نهوض حضارة لا يمكن أن يكون إلا بنهضة اللغة وقوتها التي لا تكون إلا بقوة أهلها وقدرتهم.

ومن المهم في هذا السياق معرفة أن جميع الجامعات والمعاهد الطبية وكليات الطب في الصين تدرس باللغة الصينية دون غيرها أبداً. ونظراً لاهتمام الصينيين بلغتهم وحرصهم على تطويرها استطاعت اللغة الصينية اليوم - رغم صعوبتها وتعقيديها - أن تكون في مصاف اللغات العالمية الكبرى في مختلف المستويات الحضارية والثقافية. وتحولت اليوم بفضل جهود أبنائها إلى لغة تجارية تضاهي اللغة الإنجليزية في كثير من مناحي الفعل والوجود. كما أنها أصبحت لغة علمية تقبل عليها المعاهد والمؤسسات والجامعات في فرنسا وأمريكا وبريطانيا ومختلف أصقاع العالم المتقدم (سروري، 2009م، 200).

### 3. كوريا وفيتنام

تعتمد كوريا لغتها الوطنية أساساً للتنمية البشرية، وهي التي تحتل مرتبة متقدمة في مجال التنمية البشرية في العالم. وفي كوريا يجري التعليم في مختلف مراحلها باللغة الكورية الفصحى، مع العلم أن اللغة الكورية كانت قد مُنعت في المدارس الكورية وحلت محلها اليابانية أثناء الاحتلال الياباني لكوريا الذي انتهى في الحرب العالمية الثانية. وتوجد في كوريا حالياً 110 قناة تليفزيونية كلها خاصة إلا قناة حكومية واحدة، وجميعها تبث باللغة الكورية الفصحى السليمة (القاسمي، 2007).

وقد عرف الشعب الفيتنامي بغيرته على لغته وتفانيه في تسييدها بعد مرحلة استعمارية قاسية وشديدة الوطأة. والجامعات الفيتنامية تدرس اليوم جميع الاختصاصات باللغة الفيتنامية وتسود اللغة الفيتنامية في مختلف قطاعات الوجود والحياة الثقافية والفكرية والعلمية في فيتنام دون منازع.

ويعود الفضل في "فتنة" الحياة والجامعات إلى جهود القائد التاريخي "هوشي منه" (متوفي 1969م) الذي أصدر أمره بالفتنة الشاملة وذلك في الوقت الذي اقتحمت فيه الفرنسية معازل الوجود الثقافي والعلمي في فيتنام عبر مرحلة استعمارية استمرت أكثر من ثمانين سنة وأصبحت اللغة السائدة بلا منازع. وعندما أصدر هوشي منه قراره الشامل بالفتنة طلب أساتذة كلية الطب في جامعة هانوي مقابلته ليخبروه بأن "فتنة" الدراسات الطبية عملية مستحيلة، بسبب جهل أساتذة

كلية الطب وطلبتها للغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو إمهال تطبيق الفتنمة على كلية الطب، و استمع القائد الفيتنامي لهم ساعات مطولة، وأخيراً رفض أي تباطؤ في عملية الفتنمة ثم حسم المقابلة قائلاً لهم: "يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط، مع ضرورة تعلمكم وطلبتكم اللغة الفيتنامية الوطنية خلال أشهر الدراسة التسعة، على أن تُجرى الامتحانات في سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية" (غنيم، 1989م، 99).

ونجحت التجربة الفيتنامية أخيراً في تحقيق سيادتها وحضورها بعد تغييب استمر ثمانين عاماً من "الفرنسة" وتخلصت فيتنام من اللغة الأجنبية في نهضتها العلمية المعاصرة وأصبحت تجربتها في ميدان السيادة اللغوية من أغنى التجارب وأعمقها وأكثرها أصالة.

لقد آمن هوشي منه كما يقول: "بأنه لا انتصار على العدو إلا بالعودة إلى اللغة والثقافة القومية"، ويؤثر عنه قوله المشهور في إحدى خطبه إلى الشعب الفيتنامي: "حافظوا على صفاء اللغة الفيتنامية كما تحافظون على صفاء أعينكم. تجنبوا وبعناد أن تستعملوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا كلمة فيتنامية" (السعدي، 1985م، 2).

والدرس الذي يمكن أن نصطفيه من التجربة الفيتنامية أننا في أمس الحاجة إلى قائد تاريخي يلهم العرب تعريب مؤسساتهم العلمية والفكرية والمحافظة على اللغة العربية بوصفها حاضناً تاريخياً للهوية والوجود والانتماء.

#### 4. الاتحاد السوفيتي (سابقاً)

تعد التجربة الروسية (الاتحاد السوفيتي سابقاً) من أكثر تجارب الاعتماد على اللغة الوطنية نجاحاً وأهمية في تاريخ الحضارات الإنسانية. وتتميز هذه التجربة بعمقها وشمولها وأصالتها. فلقد تبنى المفكر الماركسي الكبير لينين وزعيم الحزب الشيوعي الرؤى بعد قيام الثورة البلشفية في أكتوبر عام 1917م في الدعوة إلى تثوير الحياة العلمية والثقافية باللغة الروسية، فأسس أكبر مؤسسة للترجمة في العالم ووظف فيها أكثر من مائة ألف مترجم لنقل العلوم الغربية إلى اللغة الروسية، وكان

لينين يشرف بنفسه على هذا الجهاز الذي حقق معجزة علمية لغوية جعلت من الاتحاد السوفيتي موطناً للإنجاز العلمي، وتطورت اللغة الروسية لتكون لغة العصر والعلم والمعرفة والثقافة، وكانت أجهزة الدولة السوفيتية آنذاك تستخدم أكثر من مليوني مترجم يقومون بالترجمة ونقل العلوم من جميع لغات العالم (غنيم، 1989م، ص 98 - 99).

وقد عمل الساسة الروس على تنقية اللغة الروسية من الألفاظ الأجنبية وفرضوا استخدام اللغة الروسية في مختلف أوجه العلوم والتكنولوجيا الحديثة، وضمن هذه الرؤية الاستراتيجية "لروسنة" حدثت ثورة علمية هائلة في الاتحاد السوفيتي سابقاً في جميع مجالات التقدم العلمي وظهرت روسيا بوصفها الدولة العظمى التي تنافس الغرب في مجال العلوم والتكنولوجيا والذرة وصناعة الفضاء وفي مختلف العلوم الإنسانية حتى تحولت إلى إمبراطورية للعلم والثقافة والتكنولوجيا، وبدأ العلماء الروس يحققون قصب السبق في كل ميدان لينافسوا نظراءهم في مختلف دول العالم، ولعل بحوثهم التي ينشرونها باللغة الروسية دليل على إصرارهم على نشر لغتهم وتبنيها لغة وطنية قومية للعلم والمعرفة والتعليم.

## 5. اليابان

يأخذ اليابانيون منذ القدم بالحكمة التي تقول: "شعب من دون لغة وطنية سيحتكم الآخرون في مستقبله"، وضمن هذا التصور كسب اليابانيون رهان النهضة فحققوا معجزة التقدم العلمي مع المحافظة على قدسية لغتهم بوصفها مقدساً وطنياً وقومياً لا يجب المساس به أبداً. وقد آمن اليابانيون على أن المجتمع الذي لا تحتل فيه اللغة الوطنية مكانتها المميّزة سيصبح عاجزاً عن النهوض في سلم الحضارة وسيكون غير قادر على امتلاك العلم والمعرفة في مسيرة الانطلاق الحضاري المظفر.

انفتحت اليابان على أوروبا وشرعت أبوابها للفكر والحضارة الغربية دون أن تتخلى عن أصلاتها اللغوية؛ فمع الانفتاح الشديد على الغرب ولغاته وعلومه، حافظ اليابانيون على صفاء لغتهم ونقائهم وقدسيتها وسيادتها، فبقيت مع الانفتاح اللغة الرسمية للدولة والمجتمع في مختلف المجالات والميادين العلمية والفكرية وقد أصرّ اليابانيون على نشر أبحاثهم وعلومهم بلغتهم دون إهمال اللغات الأجنبية أو التقليل من شأنها في مجال الترجمة والاكتساب والسيطرة (غنيم، 1989م، ص 98-97).

وضمن هذا التوجه استطاع المصلح الكبير "الميجي" بتجاربه النهضوية الإصلاحية أن يحافظ على الهوية اليابانية ولغتها ضمن خبرته الكبيرة في ميدان التوفيق ما بين القديم والحديث واستطاع ضمن مشاريعه الإصلاحية الكبرى أن يوفر للغة اليابانية حضورها المتميز مع التدفق الهائل في معطيات الحضارة والثقافة الغربية (شريف، 1993م، ص:16، 17).

وتعد التجربة اليابانية من أنجح التجارب العالمية في مجال تحقيق التوازن بين التحديث ونقل المعرفة الغربية مع المحافظة على اللغة اليابانية في موقع السيادة الوطنية. وضمن هذه المعادلة الحضارية أخذ اليابانيون علم الغرب دون لغته، واستوردوا المعارف العلمية دون أن تخل بشروط السيادة الوطنية والقومية للغة اليابانية. وكان اليابانيون حذرين في التعامل مع اللغات الغربية فاقترضوا على ما هو ضروري وما يتعلق بالمضمون العلمي دون أن يسمحوا لهذه اللغات بالحضور في الميدان الثقافي والروحي للثقافة اليابانية وجعلوا من الثقافة اليابانية وطناً للغتهم القومية، لا يسمحون لأية لغة أخرى بمنافستها أو اعتراضها أو التأثير فيها. ومع صعوبة لغتهم (عدد الحروف في اللغة اليابانية يربو على عشرة آلاف حرف) استطاع اليابانيون المحافظة عليها وتطويرها وتمكينها في الوقت الذي كانوا ينقلون فيه حضارة الغرب برمتها.

اعتمد اليابانيون الترجمة لنقل كل جديد في التقدم العلمي والتقني وكل ما يصدر عن أية لغة في العالم إلى اللغة اليابانية في زمن قصير جداً، ومن ثم كانت هذه الترجمات توضع بين في متناول الباحثين والدارسين، وهكذا استطاعت اليابان أن تستورد العلوم الغربية وتوطنها في أرض ثقافتها، وفي صلب حضارتها وأن ترسخها في جامعاتها ومؤسساتها العلمية، وهي اليوم - كما يعلم القاصي والداني - تتسنم أعظم موقع في الحضارة الإنسانية المعاصرة دون أن تتخلى عن أي من مقومات هويتها اللسانية والثقافية، وبقيت اللغة اليابانية شامخة في السماء راسخة في الأرض كالجبال العاتية تعبيراً عن هوية اليابان الحضارية والثقافية (قاسم، 1994م، ص:44).

## 6. أندونيسيا

تولي السلطات الأندونيسية اهتماماً كبيراً بلغتها الوطنية وقد تناقلت الأنباء أن الرئيس الأندونيسي "سوهارتو" ناشد شعبه يوم الخميس في (28 أكتوبر 1993م)

بعدم الخلط بين اللغة الأم واللغات الأجنبية الأخرى في إطار التخاطب والتواصل اللغوي اليومي. ونقلت رويتر عن سوهارتو قوله في خطاب له بمناسبة يوم الشبيبة الأندونيسية: "إن الكثير من العبارات والكلمات الأجنبية أصبح يشكل تهديداً للغة الباهاما، وهي اللغة الأصلية والرسمية للبلاد، مشيراً إلى أن ذلك يشكل تهديداً للهوية الوطنية للشعب الأندونيسي"، وأضاف: "إن التقدم في العلوم والتقانة (التكنولوجيا) يتطلب من الأندونيسيين إتقان لغات أجنبية، ولكن ذلك يجب ألا يتم على حساب اللغة الأندونيسية الأم". كما أن أندونيسيا خصت شهر أكتوبر ليكون شهراً قومياً للغة الأندونيسية من كل عام.

## الخلاصة

تقدم لنا بعض التجارب العالمية التي أبرزناها صورة واضحة عن اهتمام الأمم بلغاتها القومية وتعكس إلى حد كبير الدور الحضاري للغات القومية والوطنية في بناء الهوية القومية لمختلف البلدان. فمعظم دول العالم تحافظ على كيانها الثقافي بالمحافظة على هويتها اللغوية مهما يكن شأن اللغة القومية. وضمن هذا التوجه نرى إن الجامعات في مختلف أنحاء العالم تدرس وتعلم بلغاتها الوطنية وهي تحقق تقدمها ونجاحها في مختلف ميادين الوجود باللغات الوطنية والقومية. ولو أن الدول العربية قررت فعليا تدريس العلوم والطب والتقنية باللغة العربية لاستطاعت أن تجد الحلول المناسبة لكل المشكلات التي تواجهها كما فعلت اليابان وكوريا والصين وإسرائيل (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1990م: 302)

ومن المحزن اليوم ضمن هذه التجارب العالمية التي سقناها أن نجد معظم بلدان العالم مهما بلغ حجمها من الصغر ووضع لغتها من التعقيد قد حققت نهضتها الحضارية بلغاتها القومية في الوقت الذي ما زال فيه العرب لا يستطيعون امتلاك لغتهم والتدريس فيها مع دورها الحضاري، ومع عظمة هذه الأمة حضارياً وإنسانياً وبشراً. فاللغة اليابانية استطاعت أن تنهض بجميع المنجزات العلمية والتقنية كع صعوبة أبجديتها والتعقيد في طريقة كتابتها، واستطاعت اللغة الصينية أن تكون لغة الانجاز الحضاري والتقدم العلمي، وكذلك هو حال اللغة العبرية التي خرجت من متحف التاريخ لتتحول إلى لغة العلم والدين والسياسة، وكذلك هو حال معظم دول العالم، وفي الوقت الذي تلح فيه الأمم على النهوض بلغاتها، والمحافظة على هوياتها

اللسانية في مجال الوجود والحياة والتعليم، تنحسر فيه اللغة العربية وتنكسر وتراجع لتخرج من ساحة المعرفة العلمية والحضارية وتتهياً للانغلاق في متحف التاريخ. وفي الوقت الذي تتخذ فيه معظم الدول إجراءات الحماية الوطنية لتحسين لغاتها القومية وتشرع القوانين الصارمة بحق كل من يقلل من شأن هذه اللغات وأهميتها وحضورها في الحياة العامة فإن الدول العربية تجرد اللغة العربية من أية حصانة وتتركها عرضة لكل التأثيرات المدمرة، ونهباً لكل من يريد النيل منها وتجريدها من مقومات وجودها وعوامل استمرارها. لقد أصدرت فرنسا تشريعات كثيرة لحماية اللغة الفرنسية وتحسينها بصورة مستمرة، وضمن هذا التوجه أصدرت الحكومة الفرنسية تشريعاً في (مايو 1994م) ينزل عقوبة ضد كل من يستخدم غير الفرنسية في الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية، وكافة مكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسية، وبوجه خاص المحلات التجارية، والأفلام الدعائية التي تبث عبر الإذاعة والتلفزيون، وأوصت بعقوبة السجن أو الغرامة المالية التي تصل إلى ما يعادل ألفي دولار، وهذا القرار جاء في مواجهة الهجمة الإنجليزية التي أوصلت الأعمار الصناعية إلى بيوت الفرنسيين في محاولة لاستنقاذ التراث الفرنسي المههد بالإغراق اللغوي. وعند النظر إلى أغلب لغات العالم نجد أن أهل كل لغة مهما صغرت لا يفرطون بها، بل يقفون أمام أي تغيير يُضعف لغتهم، لأنهم يدركون صلة اللغة بالحفاظ على الهوية القومية، وما يتبع ذلك من الحفاظ على المبادئ التي يؤمنون بها، فكيف بنا نحن مع ما لدينا من مبادئ ذات صلة بدين الله؟ إن أقل ما يمكن أن نكون عليه أن نقندي بتلك الشعوب الصغيرة في اعتزازها بلغاتها (الحميد، 2008م).

ولم تقف جهود الدول لحماية لغاتها القومية عند سن التشريعات بل عملت على تخصيص ميزانيات كبيرة لحماية لغاتها وتحسين وجودها وتعزيز حضورها وتمكينها في الحياة العامة. وفي هذا الاتجاه تبين الدراسات والإحصاءات في العالم أن مسألة حفظ ونشر وتطوير اللغات الوطنية والقومية تنصدر لأئحة أولويات وميزانيات الدول الكبيرة والصغيرة على حد سواء. وتكفي الإشارة في هذا الخصوص إلى الجهود الكبيرة التي بذلتها أيرلندا، وهي دولة فقيرة جداً مقارنة بدول أوروبا الغربية، حيث أنشأت وكالة للغة الأيرلندية وخصصت لها ميزانية كبيرة وأنفقت أموالاً طائلة في مجال المحافظة على لغتها وتمكينها.

وتبين الإحصائيات الجارية أن ألمانيا قد أنفقت خمسمائة مليون مارك ألماني في مجال تمكين اللغة الألمانية وتعزيز مسارات وجودها. وتبين هذه الإحصائيات أيضاً أن فرنسا أنفقت عام (1977م) بليون فرنك فرنسي لحماية اللغة الفرنسية والتمكين لها. وتستخدم الولايات المتحدة خمس هيئات دولية على الأقل لترويج اللغة الإنجليزية. وتبلغ الميزانية السنوية البريطانية للإنفاق على اللغة الإنجليزية مئتي مليون جنيه إسترليني. أما أسبانيا فقد خصصت عام (1991م) خمسة وسبعين مليون دولار لخدمة اللغة لتمكين اللغة الأسبانية (كولاس، 2000م).

تقوم الحكومات العربية على بذل المال والجهد في سبيل حماية اللغة العربية، وكذلك تحديد استخدام اللغات الأجنبية داخل مؤسساتها وجامعاتها بسن القوانين التي تعزز حضور اللغة العربية في الحياة العامة والعلمية، وهي مأخوذة بمشاعر الفخر والاعتزاز بلغتها العربية وتأكيد لكل مقومات وجودها واستمرارها.





## الفصل الخامس

### إخفاق التعريب في البلدان العربية

" إن الناس الذين يغيرون لغتهم العربية يغيرون روحهم

كما يغيرون تصورهم عن الكون".

(أحمد طالب الإبراهيمي)

#### مقدمة

تنص معظم المنطلقات الدستورية في العالم العربي على أهمية اللغة العربية وتتضمن معظم الدساتير في الدول العربية إن لم يكن جميعها على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدول العربية في مختلف مجالات الوجود والحياة. وتأسيساً على هذا التصور الدستوري تنادي معظم المؤسسات العلمية والسياسية في العالم العربي بتعريب التعليم الجامعي والعالي، وقد عقدت من أجل هذه الغاية الندوات والمؤتمرات على مدى النصف الثاني من القرن العشرين، وما يؤسف له أن هذه الفعاليات السياسية والتربوية المتعددة لم تؤد إلى تكوين رؤية مشتركة استراتيجية فعالة لتعريب التعليم في الجامعات والمؤسسات التربوية العليا، ويبرهن على ذلك الواقع المتردي للغة العربية في مختلف مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي الذي انتهج اللغة الإنجليزية في الغالب لغة للتدريس والتفاعل العلمي ولاسيما في الكليات العلمية وفي التعليم المتخصص بالطب والعلوم الطبية.

بالنسبة لدور الجامعة العربية والمنظمات المرتبطة بها فقد نظمت كثيراً من المؤتمرات والندوات واللقاءات التي تدعو إلى التعريب وتحض عليه، وكان موضوع التعريب حاضراً بقوة في اجتماعات اتحاد الجامعات العربية، واجتماعات الوزراء المسؤولين عن الثقافة في البلاد العربية، والندوات التي تناولت وضع اللغة العربية.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى بعض الجهود الحديثة التي قامت بها جامعة الدول العربية عبر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) في مجال تعريب العلوم والثقافة في العالم العربي.

ففي عام (1945م) دعا مجلس الجامعة العربية إلى توحيد المصطلحات العلمية باللغة العربية. وبعد عقد من الزمن صدر ميثاق الوحدة الثقافية العربية (بغداد، 1964م) الذي أعلنت فيه الدول العربية الأعضاء موافقتها على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحث في كل المراحل التعليمية وتعلمها. وينص هذا الميثاق على الآتي: «توافق الدول الأعضاء على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحث في مراحل التعليم كلها، وفي الوقت نفسه تعمل الدول العربية على توثيق صلة طلابها بالثقافة الأدبية والعلمية والفنية الحديثة، ومساعدتهم على إتقان الوسائل اللغوية التي تمكنهم من استيعاب هذه الثقافة». وفي عام (1970م) دعا دستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى التمكين للوحدة الفكرية بين الأقطار العربية عن طريق التربية والثقافة والعلوم وتنسيق جهود البلاد العربية في تطوير مناهج التعليم وأساليب تعليم اللغة العربية (ميلودي، 2010م، 31-33).

ومن ثم أصدر المؤتمر الثالث لوزراء الصحة العرب المنعقد في القاهرة عام (1974م)، القرار رقم (4) المتضمن ضرورة استعمال اللغة العربية في التعليم الطبي.

وقد بدأت الدول العربية جهودها في مجال التعريب الطبي قبل تأسيس مجلس وزراء الصحة العرب. ففي سنة (1975م)، طلبت الدول العربية استخدام اللغة العربية كلغة عمل في جمعية الصحة العالمية، والمجلس التنفيذي، وفي اتصالات منظمة الصحة العالمية بالدول العربية. وتكلفت الدول العربية بتغطية نفقات التنفيذ خلال السنوات الثلاث الأولى. ووافقت جمعية الصحة العالمية على ذلك بقرارها، ومنذ ذلك الحين أنشئ البرنامج العربي للمطبوعات والمنشورات في منظمة الصحة العالمية.

وقد أوصت الدورة العادية الثانية لمجلس وزراء الصحة العرب المنعقدة في مدينة طرابلس، بالجماهيرية العربية الليبية، خلال المدة من (20 إلى 24 شباط فبراير 1977م)، بتعزيز أعمال الترجمة إلى اللغة العربية. ويشكل مؤتمر بغداد في عام (1978م) محطة أساسية في الانطلاق العربي في الاهتمام

بالتعريب اللساني، ومن ثم تلاحت المؤتمرات والندوات التي تناولت قضية التعريب، وتقاطرت البحوث والدراسات التي أكدت على أهمية تعريب التعليم الجامعي وتطوير التعليم باللغة العربية، وقد بينت معظم هذه البحوث أن التدريس باللغة العربية يشكل ضرورة تاريخية حضارية في جوهرها وغايتها.

وفي الدورة العادية الثالثة لمجلس وزراء الصحة العرب التي عقدت في الكويت في شباط/ فبراير عام (1978م) تقرر تشكيل لجنة من ممثلي كليات الطب لوضع ورقة عمل بشأن ترجمة بعض الكتب الطبية إلى اللغة العربية دعماً لتعريب التعليم الطبي. كما صدر القرار (20) الذي تمت بموجبه الموافقة على مشروع تأسيس المجلس العربي للاختصاصات الطبية. وقد ركزت استراتيجية تطوير التربية العربية في نسختها الأصلية عام (1978م) على أهمية التعريب، واعتباره اختياراً استراتيجياً للتطوير والتجديد. وقد اعترف المعنيون بالأمر في اتحاد الجامعات العربية في مؤتمهم الرابع في مايو (1982م) أن تعريب التعليم الجامعي قد تأخر كثيراً من الأقطار العربية ولا بد من قرار سياسي وخطوة حازمة تتجاوز عوامل التردد والقصور. وفي وثيقة السياسات الثقافية في البلاد العربية المقدمة للمؤتمر العالمي للسياسات الثقافية في المكسيك عام (1982م) جاء ما يأتي: «إن الثقافة العربية تتألق بلغتها، هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والتي تبرهن باستمرار على قدرة فائقة في التطور والنمو، واستيعاب المبدعات الإنسانية في مجالات العلم والتقنيات والفنون والآداب». وجاء في الخطة الشاملة للثقافة العربية التي أعدتها الجامعة العربية عام (1985م) ما يأتي: «إن امتلاك السيادة الثقافية داخليا وخارجيا يتوقف في الأساس على سيادة اللغة العربية في وطنها وبين أبنائها أولاً»، وتبعاً لتلك الخطة الموضوعية، فقد تم ما يلي:

- في عام (1987م)، صدرت الطبعة الثالثة للمعجم الطبي الموحد باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية من قبل مجلس وزراء الصحة العرب، ومنظمة الصحة العالمية، واتحاد الأطباء العرب، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ويعتبر هذا المعجم خطوة هامة جداً على طريق توحيد المصطلحات الطبية العربية.
- في آذار/ مارس (1987م)، تقرر في اجتماع مجلس وزراء الصحة العرب بالخرطوم تعريب تدريس العلوم الطبية.

في كانون الثاني/ يناير (1988م)، عقد مؤتمر اتحاد الأطباء العرب في القاهرة، فأكد تأييده لقرارات مجلس وزراء الصحة العرب، وأصدر توصيته العمل على تعليم الطب باللغة العربية.

وجاء في بيان الرباط الصادر عن الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية عام (1989م) ما يأتي: «إن اعتماد اللغة العربية في التعليم بجميع مراحلها واختصاصاته، وفي مختلف أجهزة العمل والإدارة والإعلام وفي التأليف والإبداع هو السبيل الأمثل لاستعادة اللغة القومية وظائفها الطبيعية، وهو الشرط اللازم لإثراء الثقافة العربية ولممارسة حقنا المشروع في الإسهام الإيجابي في الحضارة الإنسانية».

وقد ركزت خطة تطوير التعليم في الوطن العربي المعتمدة في مؤتمر القمة العربية (دمشق 2008م) على أهمية اعتماد اللغة العربية كأداة للتفكير والتواصل، ووسيلة لتعزيز قدرات التعلم، كما أبرزت ضرورة إثراء اللغة العربية وتطويرها لاستيعاب الجديد من المفاهيم والمصطلحات... والاهتمام بتدريسها من خلال توحيد مناهجها في مرحلة التعليم الأساسي ووضع المعاجم الموحدة.

وتضمن إعلان دمشق (2008م) عزم القادة العرب على الاهتمام باللغة العربية باعتبارها وعاء للفكر والثقافة العربية، وتعزيزها لتكون مواكبة للتطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات، ولتصبح أداة تحديث في مواجهة محاولات التخريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا العربية.

ووافق قرار مجلس الجامعة العربية في مستوى القمة (دمشق 2008م) على مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة مؤكداً ضرورة تطوير مناهج تعليم اللغة العربية، واستخدام تقانة المعلومات والاتصال والنهوض بأساليب استخدامات هذه اللغة في مجالات الإعلام والإدارة والتعليم العالي. وأوصى مجلس الجامعة العربية بتكليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) بتنفيذ هذا المشروع.

وتم تصنيف هذا المشروع ضمن المرجعيات الأساسية لخطة العمل المستقبلية للمنظمة (2011م - 2015م) كما تم تحديد الأهداف التي تسعى المنظمة

إلى تحقيقها ضمن البرامج المشتركة بين الإدارات والمراكز الخارجية في المستويات التالية (ميلودي، 2010م، 31-33)، وهي:

1. تجديد مناهج اللغة العربية.
2. إعداد برمجيات لتعليم اللغة العربية باستخدام تقانة الاتصال.
3. دعم التعاون والتنسيق مع مجامع اللغة العربية، واستكمال الذخيرة اللغوية المعجمية المتوافرة لدى المنظمة وتحديثها، وإتاحتها عبر الشبكة (الإنترنت).
4. تشجيع مراكز البحوث والتطوير العاملة في مجال بحوث اللغة العربية للاستجابة لمتطلبات التوجه نحو مجتمع المعرفة.
5. ترجمة ونشر أهم الكتب المرجعية في مجالات العلوم والثقافة التي تساهم في دعم التعريب العالي.
6. دعم جهود التوسع في استخدام اللغة العربية على شبكة الإنترنت.
7. إحداث شهادة التمكن من اللغة العربية في نهاية مختلف المراحل التعليمية.

ولا تكتمل صورة الجهود العربية في مجال التعريب وتأصيل اللغة العربية من غير الإشارة إلى مجامع اللغة العربية ودورها الكبير في دعم اللغة العربية وحمايتها، حيث قامت الدول العربية بإنشاء المجامع اللغوية ضمن مهمة التعريب المنظم للمعارف والعلوم وما يستجد من المصطلحات العلمية في الثقافة والفكر العالمي. لقد تأسست مجامع اللغة العربية في كل من دمشق (1919م)، والقاهرة (1932م)، وبغداد (1947م)، ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط (1960م)، وعمّان بالأردن (1977م)، والخرطوم (1993م)، وتونس (1993م).

وفي عام (1967م) عهدت الجامعة العربية إلى مكتب التعريب بالرباط القيام بمهمة تنسيق المساعي الرامية إلى إثراء اللغة العربية بالمستجدات من المصطلحات العلمية والعمل على توحيد تعريبها على الصعيد العربي. وبعد تأسيس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ألحق بها في عام (1997م) "مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي" بوصفه أحد أجهزتها المتخصصة (عبد الرحيم، 1999م، 567).

وقد عملت هذه المجامع اللغوية على التعريب المستمر والدائم للمصطلحات والعلوم. ومع أهمية الانتقادات التي وجهت إلى هذه المجامع وطبيعة عملها فإنه تشكل قاعدة مهمة لعملية تعريب العلوم والفنون في العالم العربي بصورة عامة.

والسؤال الذي يطرح نفسه في النهاية هو: إلى أي حد أثمرت هذه الجهود في تحقيق نقلة نوعية في التعريب؟ وما واقع التعريب بعد هذه الجهود العربية الكبيرة التي بذلت من أجل هذه الغاية؟

### تعثر التعريب

ومع الجهود العربية التي بذلت في مجال التعريب إلا إن العربية ما زالت تعيش حالة مأساوية في مختلف أنحاء العالم العربي ثقافياً ومعرفياً وتعليمياً. فاللغة الإنجليزية تزداد سطوة وهيمنة وحضوراً في مختلف جوانب الحياة والوجود الثقافي العربي، واللغة العربية تشهد تراجعاً مستمراً وانحساراً متزايداً وتضييق عليها آفاق التطور والحضور بصورة مستمرة. فمع الجهود والدعوات والشعارات والمؤتمرات وقرارات مجامع التعريب وإصدارات المجلات والنداءات المستمرة والبيانات والتصريحات ومع ذلك كله ما زالت اللغة العربية تنحسر وتتراجع في مختلف المستويات الفكرية والثقافية، ويكفي أن نلقي نظرة واحدة لنرى حالة التفكك والضعف والانحدار الذي تعانيه العربية في مستوى التخاطب والكتابة والنشر والإعلام والتربية والتعليم.

ومن يلقي نظرة متأملّة في الجامعات العربية وحولها سيجد أن معظم الكليات العلمية تدرس العلوم باللغات الأجنبية إذا استثنينا سوريا والسودان وبعض أقسام الكليات في جامعة العراق (خريوش، 1997م).

لقد تعثرت برامج التعريب في أغلبها ولم تعط ما كان منها متوقّعا، وما زال تدريس اللغة نفسها مادة في البرامج التعليمية يكاد يكون مهملاً، وتعليمات وقرارات المجامع اللغوية لا تؤخذ بعين الاعتبار في التعليم والتداول، وعمليات الاقتراض من اللغات الأخرى تتم بفوضوية مطلقة ولا تنسجم وآليات اللغة نفسها في التوليد والتوسع (ابن البراء، 2004م). وعملية التعريب تسير على استحياء فثمة ثقافة لغوية مغيبة، وتعريب متعثر، ومجامع لغوية تعمل ببطء في ظل العولة، مما أثقل كاهل العربية، ومؤسسات التعريب (حمدان، 2004م).

يصف شكري فيصل التعريب في الثمانينيات من القرن الماضي قائلاً: " كنا نتحدث عن التعريب، عن إقراره أو إنكاره، عن قبوله أو رفضه، ولكن الجهد الأقل كان منصباً على التعريب ذاته، وكنا نتحدث عن قدرة العربية وعبقريتها دون أن نستثمر على مقياس واسع هذه القدرة وهذه العبقرية، وإن الذي نلحظه في الحياة السياسية من التنوع الذي يقترب من التخالف، والتكثُر الذي يقترب من التكرار هو الذي نلحظه في هذا اللون من العمل الثقافي العربي". (السيد، 1997م). وهذه الصورة التي قدمها شكري فيصل للتعريب أصبحت اليوم أكثر قتامة وسوداوية مع الجهود العربية والثقافية والسياسية التي يزعم أنها تبذل في هذا المضمار.

ويلاحظ الباحثون في هذا السياق أن المؤتمرات والندوات العربية حول التعريب تبدأ دائماً من الصفر دون أن تأخذ بعين الاعتبار نتائج المؤتمرات السابقة، ودون أن تلقي أي اهتمام على النتائج والجهود السابقة في هذا المضمار. وضمن هذه الآلية للعمل كانت الجهود العربية في مجال التعريب مشتتة وضائعة في مآهات المؤتمرات التي هي على كثرتها لم تنفع هذا إذا لم تلحق أحياناً الضرر بالعربية وحضورها في دائرة الفعل والحياة. وغالباً ما تكون نتائج هذه المؤتمرات من الضالة والبؤس بما لا يتجاوب مع الطموحات التي عقدت عليها في تمكين العربية وتأسيس مسارها وتعميق حضورها في الحياة السياسية والعلمية للأمة.

## معوقات التعريب

لا يمكن للباحث في أمر اللغة العربية أن يغض الطرف عن منظومة من العوامل والمتغيرات التي تجعل من التعريب عملية شائكة معقدة. فالعوامل التي تمنع التعريب كثيرة والمتغيرات أكثر. وضمن شبكة المتغيرات الممانعة للتعريب تتجلى العوامل التربوية التي تتقاطع مع عوامل شتى وتتفاعل مع متغيرات ثقافية وممانعات نفسية وحضارية.

ففي مقدمة العوامل الحضارية التاريخية يبرز المد الاستعماري الكبير منذ المرحلة العثمانية مقروناً بالاستعمار الغربي وصولاً إلى الاستعمار الحديث الذي يأخذ أشكالاً ثقافية ونفسية وأخلاقية. فالمجتمعات العربية تعاني قهر التآتات الثلاث

المعروفة بالتخلف والتجزئة والتبعية. وقد لعبت ثلاثية القهر دوراً كبيراً في ترسيخ رواسب هائلة انعكست على اللغة العربية والقدرة على التعريب في مختلف معالم الحياة الثقافية. وتأخذ هذه الرواسب صورة عقبات وصعوبات تمنع عملية التعريب وتصدها عن غايتها.

ويتصدر هذه العوائق الحاجز النفسي والمواقف السلبية للمفكرين والمثقفين العرب "الذين يرون في اللغات الأوروبية صورة متأققة للحضارة وفي اللغة العربية نموذجاً للتخلف، وابتعاداً عن ركب التقدم العلمي والحضاري والانقطاع عن مجرى البحث العلمي في العالم" (السارة، 1989م، 230).

**وفي المستوى العلمي،** يطالعا الضعف الكبير في البحث العلمي العربي الذي تخلف عن ركب الحركة العلمية في العالم. ومن المعروف أن البحث العلمي يشكل قاطرة التعريب والتربة الحقيقية لازدهار اللغة وتقدمها. ويشكل هذا الغياب للبحث العلمي بيئة كارثية ضد العربية وقضايا التعريب في المجتمعات العربية.

**وفي المستوى اللساني** الذي يتعلق ببنية اللغة العربية فإن اللغة العربية تعيش أزمته اللغوية الصرفة الناجمة عن التعقيد الكبير في نحوها وصرفها وبنيتها اللغوية. فاللغة العربية الفصحى ما زالت تأخذ صورة اللغة العربية القديمة التي كانت سائدة في العصور الوسطى، وهي بصورتها هذه لا تلائم متطلبات العصر والمتغيرات الدينامية المتجددة للحضارة والتطور. ونجد أفضل تعبير عن هذه القضية لدى الباحث اللساني حبيب عبد الرب سروري بقوله: "لم تعرف اللغة العربية التي كانت لغة الحضارة الكونية في القرون الوسطى (مثل: الإغريقية قبل الميلاد، ثم اللاتينية بعد ذلك، والإنجليزية اليوم)، مثلها مثل التعليم العربي، أي إصلاحات أو ثورات حقيقية تُحررها من تشبثها العنيف بقيود الماضي، وتجعلها تواكب حاجة العصر! فاللغة العربية بقيت جامدة فلم تعرف أي تحديثات في بنيتها أو تغييرات في قواميسها تعكس تطورات علاقتها بالعصر" (سروري، 2009م).

**وفي المستوى المعجمي،** يلاحظ الباحثون اتساع الفجوة بين القواميس القديمة واللغة السائدة حيث اندثرت معظم كلمات قواميسها اليوم كتاباً ونطقاً، وأصبحت معظم كلماتها واستخداماتها الجديدة غائبة عن القواميس! (سروري، 2009م).

وما يزيد الأمر تعقيداً أن الجامعات اللغوية العربية تعتمد منهجيات غريبة وجامدة وقديمة في عملية التعريب إلى الحد الذي أصبحت فيه هذه المجمعات عائقاً ممانعاً لتطور العربية بدلاً من أن تكون رافعة حقيقية للتعريب. ويضاف إلى ذلك أيضاً عدم التنسيق بين مجامع اللغة العربية والمتخصصين في مجال المعرفة العلمية التي تتطور بطريقة ومضية، بينما يجري التعريب على إيقاعات بطيئة سلخية، ولذا يصبح من الاستحالة بمكان التنسيق بين علماء اللغة ورجال العلم والفكر والثقافة.

وضمن هذا السياق يلاحظ وجود صعوبة هائلة في تعريب التدفق الكبير في المصطلحات العلمية المعاصرة الناجمة عن التقدم العلمي الذي يشهده العالم اليوم، وعدم القدرة على احتواء هذه المصطلحات في اللغة العربية. وضمن هذا السياق يلاحظ ازدواجية استخدام المصطلحات والكلمات بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية، وهذا ينسحب على كل بلد عربي منفرداً ومقارنة مع غيره من البلدان العربية.

**وفي المستوى الإعلامي،** غالباً ما تلعب وسائل الإعلام العربية دوراً مضاداً للعربية والتعريب عبر الاستخدام الواسع للعامية على حساب الفصحى، ويزيد الأمر صعوبة وتعقيداً أن استخدام العربية الفصحى دائماً ما يكون مشوباً بدرجة كبيرة من الركافة والضعف وإهمال القواعد والأصول النحوية ونطق الكلمات والحروف بعجمة كبيرة.

**وفي المستوى البشري،** نجد تراجعاً كبيراً في مستوى الكفاءات اللغوية في المستويات التربوية. ويؤكد الباحثون هذا "النقص الكبير في العناصر البشرية القادرة على النهوض بأعباء التعريب، عدداً وكفاءة، بسبب قلة الاهتمام باللغة العربية وبتدريسها في مراحل التعليم المختلفة، وخاصة في مراحل التعليم العالي والبحث العلمي" (السارة، 1989م، 230).

**وفي المستوى الجامعي،** يواجه التعريب نسقاً مركزاً من التحديات التي تضع التعريب في دائرة الاختناق المنهجي. فالممانعة تبلغ درجتها العليا في المراحل الجامعية العربية؛ لأن تقاليد هذه الجامعات قد تكاثفت رفضاً للعربية وإحياء للغات الأجنبية الفرنسية والإنجليزية منها. فالكتب والمراجع والمناهج تتحرك على محور

اللغة الإنجليزية، وهناك جيل من المدرسين تتلمذوا على الغرب وامتزجوا بلغاتهم إلى درجة الذوبان والانصهار في الثقافة الغربية، وهم اليوم يمانعون أي تعريب ويعتقدون أن تعريب التعليم سيؤدي إلى تفرغ التعليم الجامعي من دلالته ومحتواه. وقد أقر المجلس الدولي للغة العربية في وثيقة بيروت وضمن هذه الوضعية من حيث صعوبة التعريب في الوسط الجامعي كنتيجة طبيعية للتدريس المستمر باللغة الأجنبية وعدم توافر المراجع العلمية باللغة العربية، ونظراً للضغوط التي يفرضها سوق العمل حيث تكون معرفة اللغة الأجنبية ضرورية لشغل الوظائف والأعمال (المجلس الدولي للغة العربية، 2012م).

## الخلاصة

وباختصار يمكن القول: إن عملية التعريب متعثرة جداً في العالم العربي، والتحديات التي تواجهها كثيرة جداً، ويكفي أن نذكر أن مراكز البحوث ودور النشر لا تولي ما يكفي من الاهتمام لعملية الترجمة، وهي ضحلة في مجال الإبداع الفكري. ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى ضعف التنسيق والتكامل بين المراكز والمنظمات المعنية بقضية التعريب على مستوى الوطن العربي، وعدم توحيدها لسياسات التعريب. كذلك ضعف أو غياب مراكز لجان التعريب على المستويات المحلية. ويضاف إلى ذلك كله غرابة بعض المصطلحات العربية التي أصدرتها بعض الجامعات اللغوية، واستعمال أكثر من مصطلح تبعاً لما يصدر عن كل مجمع لغوي أو مركز بحث، وصعوبة فهم بعض هذه المصطلحات.

ويمكن القول أيضاً: إن معلمي اللغة العربية لا يمتلكون ناصية اللغة في مجال طرائق التدريس، وضعف تأهيلهم لاستخدام الوسائل الحديثة والطرق المشوقة أثناء التدريس.

وفي النهاية لا نستطيع أن نتحدث عن تجارب عربية حقيقية ومتقدمة في مجال التعريب، فالعربية تعاني بصورة عامة حتى في أفضل الدول اهتماماً من الانحسار والتراجع أمام العامية واللغات الأجنبية بصورة عامة.

## الفصل السادس

### أزمة التعريب في العالم العربي

" استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواءً كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية أو وصف المشاهدات أو خيالات النفس وأسرارها"

(المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون)

#### مقدمة

يوغل العالم العربي في رحلة اغتراب حضارية تتسم بطابع العمق والشمول، وفي عمق هذا الاغتراب الحضاري الشامل يتغول الاغتراب اللساني في أكثر أشكاله ضراوة وفي أعظم تجلياته همجية وجنوناً. فالعربية تنحسر في مختلف أنحاء العالم العربي، وتغور في مختلف مناحي حياته العلمية والفكرية والتربوية، وتنكسر على أعتاب هزيمة ثقافية شاملة لم يبق فيها من العربية إلا مظاهر التزييف الحضاري. ومن الواضح أن هذه الحالة من التراجع والانحسار اللساني تتم في غفلة من أهل اللغة وفي ذروة إهمال الناطقين بحرفها والقائلين بأبجديتها، ويشكل هذا من الانحسار والتراجع والإقصاء والتهميش للغة العربية صورة مأساوية لحالة الثقافة العربية وانتكاسة حضارية صادمة تأخذ صورة مأساة يعيشها العرب المعاصرون ويشاركون في تعظيم حوادثها وتكثيف مآسيها.

لقد أعلن المشاركون في المؤتمر الدولي السنوي الأول للمجلس الدولي للغة العربية المنعقد في بيروت عام (2012م) أن اللغة العربية في خطر، وأنه يتوجب على القيادات العربية وصناع القرار في العالم العربي تحمل مسؤولياتهم التاريخية لحماية

اللغة العربية وتعريب الحياة الفكرية والثقافية في العالم العربي. وقد أجمعت نتائج البحوث وأوراق العمل المقدمة للمؤتمر، البالغة 256 بحث، أن اللغة العربية تواجه أزمة كبيرة مزمنة وخطيرة، وأن هذه الأزمة تزداد حدة وتفاقماً مع الزمن تحت تأثير متغيرات الحداثة والعولمة والتطور الفكري والثورات العلمية والرقمية المتفجرة في مختلف أنحاء المعمورة (المجلس الدولي للغة العربية، 2012م).

فكثير من مؤسسات التعليم في العالم العربي يعتمد اللغات الأجنبية منهاجاً في تعليم الأطفال والناشئة ولاسيما في المدارس الأهلية والجامعات الخاصة. وتعمق هذه الظاهرة عندما نعلم أن الحصول على وظيفة بعد التخرج من الجامعات مرهون بمدى إتقان الطالب للغة الإنجليزية في المشرق، أو الفرنسية في المغرب العربي، وهذا الواقع الجديد فرض على الأهالي والمؤسسات التعليمية زيادة الاهتمام باللغات الأجنبية على حساب العربية. ويزداد الأمر تعقيداً عندما تكون الأفضلية في شغل الوظائف للطلاب المتخرجين من الجامعات الأجنبية أو هذه التي تدرس مناهجها بلغة أجنبية وروح أجنبية. وتبين الوقائع أن الطلاب الذي تخرجوا من جامعات أجنبية كان لهم الأفضلية دائماً في حصد الوظائف والحصول على مراكز وظيفية في سوق العمل ويضاف إلى ذلك أن الطالب المتخرج في جامعة أجنبية له الأفضلية في التعيين مقارنة بزميله المتخرج في جامعة عربية.

وتكفي اليوم نظرة خاطفة سريعة حول التعليم العالي والجامعي العربي ليتضح أن أغلب الجامعات العربية يعتمد اللغات الأجنبية لغة التدريس والبحث والتفاعل في مختلف الكليات العلمية، وفي كثير من الكليات الإنسانية. وهذه الصورة قد تكون أشد وقعاً إذا علمنا بأن الجامعات الخاصة تتبنى اللغة الإنجليزية لغة للتدريس فيها وهذا ينسحب على بعض الجامعات الحكومية التي ترفض التعليم كلية باللغة العربية.

وتبين إحصائيات اتحاد الجامعات العربية أن عدد الجامعات العربية لم يتجاوز 14 جامعة في عام (1953م). ولكن هذا العدد ارتفع ليصل إلى 233 جامعة عام (2003م)، ومن ثم ازداد هذا العدد ليصل إلى 286 جامعة في عام (2006م)، واستمر هذا الارتفاع ليصل عدد الجامعات العربية إلى 500 جامعة في (2012م) (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2014م، 98).

ومع هذا العدد المهول فقد أثبتت المشاهدة أن وجود اللغة العربية داخل الجامعات ضعيف في أغلب من الدول العربية حتى في تلك الدول التي تتمتع اللغة فيها باهتمام كبير (كوش، 2010م). وتبين الإحصائيات أيضاً أن الغالبية الساحقة من هذه الجامعات تعتمد التدريس باللغة الإنجليزية، ولاسيما في الاختصاصات العلمية والطبية باستثناء الجامعات السورية الحكومية التي تبنت التعريب بصورة كاملة، ويشار أيضاً إلى جامعة سبها في ليبيا وجامعة الجزيرة، وجامعة شنداي في السودان (بركات، 2003م).

فاللغة العربية تعاني الغياب والتغيب المستمر في مؤسسات التعليم العالي العربي. ويمكن رسم صورة هذا التعريب اللساني وفقاً للمعطيات التالية:

1. أصبحت اللغة الإنجليزية متطلباً لالتحاق الطلاب والطالبات بالتخصصات العملية المختلفة في معظم الجامعات العربية، فأكثر الجامعات العربية تفرض على الطلاب اجتياز اختبار التوفل أو غيره في اللغة الإنجليزية كشرط للقبول في الأقسام العلمية مثل الطب والهندسة. وهذا الشرط يشمل القبول في مختلف مراحل الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه).
2. يتم التدريس باللغة الأجنبية في التخصصات العلمية في معظم الجامعات في حين أن أغلب الأساتذة غير مؤهلين للتدريس باللغة الأجنبية التي يعلمون بها، إضافة إلى ضعف إعداد الطلاب والطالبات في اللغة الأجنبية التي يتعلمون بها، الأمر الذي ينعكس سلباً على استيعاب وفهم الطلاب والطالبات في جميع التخصصات بما فيها أقسام اللغات الأجنبية ذاتها وأقسام اللغة العربية، حيث يؤدي ذلك إلى تدني مستوى تحصيلهم العلمي وعدم قدرتهم على الإبداع والإنتاج بالشكل المطلوب (المجلس الدولي للغة العربية، 2012م، 12).
3. يلاحظ أن المراجع الأجنبية أصبحت القاعدة الأساسية في معظم المقررات الرئيسية ولاسيما في الأقسام العلمية، وهذه الوضعية تشكل عقبة كبيرة في مسار تحصيل الطلاب الذين يعانون صعوبة التعامل مع هذه المراجع الأجنبية بسهولة نتيجة لضعف اللغة الأجنبية التي حصلوها خلال مسيرتهم الدراسية.
4. يتم التدريس باللغة الإنجليزية في عدد من التخصصات الإنسانية والاجتماعية في معظم الدول العربية بالإضافة إلى الأقسام العلمية.

5. معظم أساتذة الجامعات أتموا تحصيلهم العلمي في البلدان الغربية وهم لا يجيدون التدريس باللغة العربية، وهذه إحدى أهم المشكلات التي تؤدي إلى تراجع اللغة العربية وانحسارها في هذه الجامعات (المجلس الدولي للغة العربية، 2012م، 14).

6. التزييف الأيديولوجي اللساني الذي يتمثل بوجود اتجاهات سلبية إزاء اللغة العربية فالأساتذة نتيجة تأهيلهم باللغة الإنجليزية أو الفرنسية غالباً ما ينظرون بازدراء إلى اللغة العربية، وغالباً ما يسمونها بأنها لغة غير علمية وغير قادرة على مواكبة العصر وعلومه، وحرى بها أن يقتصر استخدامها في الطقوس الدينية وفي لغة الحياة اليومية.

7. يعاني الطلاب الجامعيون من ضعف كبير في مستوى إتقانهم للعربية نتاجاً لتجربة تراكمية سلبية في تعليم اللغة العربية في المراحل الدراسية ما قبل الجامعة. وهو تعليم يجعل من اللغة العربية صعبة المنال، حيث تدرس العربية بأساليب تقليدية جامدة مغرقة في القدم وتقدم في قوالب لغوية غير عصرية في مستوى النحو والممارسة والفعالية المنهجية. وعلى خلاف ذلك يقبل الطلاب على تعلم اللغة الإنجليزية بوصفها لغة عصرية تتكيف مع العصر وتعتبر عن متطلبات الوجود الوظيفي والاجتماعي.

### التعريب بين النظرية والتطبيق

في البداية يجب أن نعلن عن المفارقة الكبيرة ما بين القول والعمل، أو ما بين النظرية والتطبيق في عملية التعريب، فالمؤتمرات والمجمعات والإدارات وأصحاب القرار يؤكدون على موضوع التعريب الذي نرجو أن يجد طريقه الصحيح في مجتمعاتنا، وهذا لا يمنع من الإشارة إلى جهود التعريب. فالمؤتمرات وسجال والقرارات كانت إيجابية في هذا الموضوع. ويمكن أن نذكر بعض القرارات والتوصيات التي تحض على التعريب في بلدان الخليج العربي، من مثل القرار الصادر عن مؤتمر قمة مجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورته السادسة عام 1985م الذي يقضي بتعريب التعليم العالي والجامعي بكل فروع تخصصاته "كلما كان ذلك ممكناً".

كما صدر قرار رؤساء ومديري الجامعات ومؤسسات التعليم العالي بدول مجلس التعاون في اجتماعه الأول عام 1986م يؤكد الالتزام بتنفيذ قرار المجلس الأعلى بتعريب التعليم الجامعي، وكلف الأمانة العامة بمتابعة الخطوات والبرامج التنفيذية الزمنية المحددة لذلك. وتم بعد ذلك تشكيل فريق عمل خاص، لوضع برنامج زمني مفصل للتعريب في جامعات مجلس التعاون طالب بتعريب تدريس العلوم الأساسية، كمرحلة أولى ووضع مقررًا إجباريًا في اللغة العربية العلمية لطلبة الكليات التي تدرس باللغة الأجنبية. وكلف هذا الفريق بمتابعة التخطيط والتنفيذ... ولكن هذا المشروع لم ينفذ حتى الآن، وبقي تعليم العلوم بالجامعات باللغة الإنجليزية، إلا في بعض الفروع والمواضيع المحدودة.

وقد أكدت وثيقة استشراف العمل التربوي لدول مجلس التعاون ما يحض على تمكين اللغة العربية وتعميم أمرها وترسيخ وجودها بوصفها لغة الهوية والانتماء وقد جاء فيها: "تعمل دول مجلس التعاون على تنمية الشعور بالهوية العربية للوطن تاريخاً وثقافة ومصيراً، بما يؤدي إلى حب إنقان اللغة العربية وتقدير تراثها الأدبي والمحافظة على التقاليد العربية الرفيعة والتعريف بها، واستثمارها في إثراء حياة الأجيال القادمة" (وظفة وآخرون، 2003م).

وقد أكدت وثيقة الأهداف العامة للتربية لدول الخليج العربي على الهوية واللغة بالمعنى الحضاري وجاء فيها: "أن التربية في دول الخليج ترتكز على مبدأ العناية بتنشئة الأفراد على الاعتراز بهويتهم الخليجية، والانتماء إليها والتمسك بمكوناتها المتمثلة أساساً في الدين الإسلامي، واللغة العربية، والتاريخ المشترك، والقيم والعادات الخليجية الأصيلة وينطلق اهتمام التربية بهذا الجانب في تكوين الشخصية الخليجية من ضرورة تحصين الناشئة من المؤثرات الحضارية والثقافية الوافدة غير المتففة وثوابت الهوية الحضارية للمجتمع الخليجي التي يزداد تأثيرها باطراد تقدم وسائل الاتصال، وسرعة انتقال المعلومات وتبادلها. غير أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال الدعوة إلى الانغلاق والتفوق على الذات بل على عكس ذلك حيث يتوجب على التربية في دول الخليج العربية أن تدرك حتمية التفاعل الإيجابي مع حضارات الأمم الأخرى وثقافات والتعايش معها، تحقيقاً للمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، والاستفادة من تجارب الآخرين الناجحة في مضمار التنمية والتقدم" (وظفة وآخرون، 2003م).

وتسعى التربية في دول الخليج العربية وفق الأهداف التربوية العامة إلى تعزيز سمات العروبة والانتماء إلى العربية، وقد جاء الانتماء العربي في المرتبة الثانية من الأهداف التربوية العامة وتضمن هذا البند أربعة مؤشرات من أصل سبعة مؤكدة على أهمية اللغة العربية في التربية، وهذه المؤشرات هي:

1. تعزيز الانتماء إلى الأمة العربية الإسلامية، لغة، وحضارة، وتاريخاً، ومصيراً مشتركاً.

2. التمكن من اللغة العربية والتمسك بها، أداة اتصال، وثقافة، وتفكير.

3. إدراك قدرة اللغة العربية على استيعاب المستجدات والوفاء بمتطلبات العصر الحديث.

4. الاعتزاز باللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ووعاء التراث العربي والإسلامي (وظيفة وآخرون، 2003م).

وجاء الهدف الثالث من الأهداف التعليمية للمرحلة الابتدائية ليؤكد أهمية تعليم العربية، أي: اكتساب مهارات اللغة العربية الأساسية (قراءة، وكتابة، وتحدث، واستماع) وإتقانها.

إن الدارس لهذا الواقع في أقطارنا العربية، يستشعر مخاطر التعليم بغير العربية والتي من أبرزها خلق شعور الغربة والضياع عند المتلقي، وتطبيع فكره وثقافته بطابع اللغة الأجنبية، وبمدها الثقافي، وتأثيراتها الذهنية والنفسية التي لا يستطيع الطالب في المدرسة، أو الجامعة أن يتخلص منها أو يقاومها حتى لو حاول ذلك هذا في الوقت الذي ندرك تماماً أن نظريات التعليم والدراسات النفسية والاجتماعية تؤكد مخاطر التعليم بغير اللغة الأم، وخاصة في المراحل الأولى من التعليم. ولقد اكتشفت منظمة اليونسكو أيضاً مشكلات التعليم بغير اللغات الوطنية، فأصدرت بياناً تؤكد فيه أهمية استخدام اللغة الوطنية في التعليم إلى أقصى مرحلة ممكنة. فأين نحن من هذه التوصيات الدولية ونتائج الدراسات البحثية في مجالات التعليم واللغة والفكر والمعرفة، خصوصاً وأن العالم يعيش عصراً تتنافس فيه اللغات، وتتوغل الثقافات بسلبياتها وإيجابياتها، وتسعى الأمم لحفظ لغاتها من خلال إصدارها للتشريعات الملزمة باستعمالات اللغات الوطنية في التعليم والتراسل والثقافة وغيرها.

إن واقعنا اللغوي هذا لا يسعدنا كثيراً ما دمنّا نُعلّم أبناءنا بلغة أجنبية، ونُقدّم الحوافز والوظائف في أسبقية مكشوفة تحدد أن كل من يتخرج من الجامعات الأجنبية له الأفضلية على غيره من خريجي الجامعات العربية، لذلك ليس بمستغرب أن يتعلم أبناؤنا باللغة الأجنبية في أكثر من 90% من كليات الطب العربية التي تُعلم أو تُدرّس بالأجنبية، وينطبق هذا الواقع على كليات العلوم والاقتصاد والإدارة والمعلومات والصناعة والتكنولوجيا.

هذا، وقد أشار إعلان الرياض الصادر عن القمة العربية (التي عقدت يومي 28 و 29 مارس من عام 2007م) إلى مجموعة كبيرة من القضايا المفصلية التي أولها القادة أهمية بالغة في الدورة التاسعة عشرة لمجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة في الرياض. ومن هذه القضايا المهمة الإجماع على النهوض باللغة العربية. فالقادة أكدوا على استعادة روح التضامن العربي، وحماية الأمن العربي الجماعي، ونبذ أشكال الغلو والتطرف كلها، وعدم تمييع الهوية العربية، وتقويض الروابط التي تجمع الدول العربية (الشراح، 1998م).

وقد أعلن المؤتمرون في القمة عزمهم العمل على تحصين الهوية العربية ودعم مقوماتها ومركزاتها وترسيخ الانتماء إليها في قلوب الأطفال والناشئة الشباب وعقولهم، باعتبار أن العروبة ليست مفهوماً عرقياً عنصرياً، بل هي هوية ثقافية موحدة تلعب اللغة العربية فيها دور المعبر عنها والحافظ لتراثها، وإطار حضاري مشترك قائم على القيم الروحية الأخلاقية والإنسانية يثريه التنوع والتعدد، والانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى، ومواكبة التطورات العلمية والتقنية المتسارعة دون الذوبان أو التفتت أو فقدان التمايز" هذا العزم الذي أبداه القادة عزم يحتاج إلى تفعيل، لأنه يجسد الواقع المرزى الذي تعيشه اللغة العربية حالياً في العالم العربي الذي انقسم على نفسه فأصبح عالماً يدين أكثر إلى الثقافة الأجنبية، لغة وتراثاً وقيماً وعلماً ومعرفة وصناعة واستهلاكاً لدرجة الانصهار في حضارة لا تمت أو تتصل بأي شيء لها علاقة بحضارته وثقافته التي يتحدث عنها (الشراح، 1998م).

ويمكن القول في هذا السياق: إن الخطب الرنانة، والشعارات النارية، لا تجدي في مواجهة إشكالية التعريب والتغريب، وهي لن تكون مجدية أبداً ما لم تستند إلى إرادة قومية شاملة تشترك فيها مختلف الإدارات السياسية والثقافية الجماهيرية،

وهنا، وفي هذا المقام، تبرز أهمية البحث العلمي الرصين وأوليته؛ إذ يجب أن تبنى هذه الإيرادات على لغة علمية رصينة تحيط بأبعاد هذه المشكلة وتستكشف أبعادها وتحدياتها على نحو موضوعي نأياً عن الارتجال والعفوية ومنطق المصادفات.

فالمؤتمرات والندوات وحلقات البحث والتفكير ما زالت تعقد، والخطب ما زالت تدوي، والكلمات ما فتئت تدبج، والآمال ما برمت ترسم، والطموحات ما زالت تتشكل، ولكن الشيء الوحيد الغائب خارج هذا التداول لمحافل التعريب هو التطبيق الفعلي لهذه الممارسات الرمزية الاحتفائية التي تختزل التعريب إلى مجرد كلمات ترسم، وطموحات تطحن الذاكرة في معترك أحلامها الوردية المفعمة بأريج المواطنة والهوية والتعريب.

ويصبح السؤال مشروعاً عن المفارقة الكبيرة بين قرارات القمم العربية الداعية إلى التعريب وتمكين العربية، وبين الممارسة الواقعية للجامعات التي تستمر في التعليم باللغات الأجنبية وتتوسع؟ "وهذا الداء لم يعد منقشياً في التعليم الجامعي، بل أصبح منتشرًا أيضاً في مختلف مظاهر الحياة التربوية وتجلياتها الإنسانية والباحث في هذه الظاهرة "يستغرب من التناقض الحاصل بين قرارات القمم العربية وواقع الحال، فبينما يطالب رؤساء الدول بالاهتمام بالعربية وتنميتها واستخدامها في شتى مناحي الحياة - ومنها التعليم وفي كل المراحل التعليمية - يختلف الوضع في أرض الواقع، حيث نجد إهمال اللغة العربية وعدم الاهتمام بها، وزيادة الاهتمام بالتدريس باللغات الأجنبية، وإحلال المناهج غير العربية في مؤسسات التعليم العربية، والضغط نحو الاتجاه لنشر التعليم بغير العربية في المدارس!" (الشراح، 2010م).

## الخلاصة

اللغة العربية مصدر إلهام العرب وسر حضارتهم وأيقونة تاريخهم، وإليها وجودنا يبدأ وينتهي وإليها هويتنا تنتسب، ومن هذا المنطلق فإنه يجب على أبناء الأمة المحافظة على اللغة العربية وتأصيل مقومات وجودها. فاللغة العربية لغة مقدسة إذ هي لغة القرآن الكريم والدعوة الإسلامية السمحاء. وعدا ذلك كله فإن الأمم لا تنهض حضارياً إلا بلغاتها. وقد أوضحنا بأن جميع الأمم تفاخر بلغاتها القومية وتعظم مآثرها وتجعلها العروة الوثقى والرابط المقدس بين أفراد الأمة. وحري بنا أن نكون

نحن أكثر الأمم تَعْظيماً للغة العربية واهتماماً بها، وتمجيذاً بقديسيّتها الناجمة عن قدسية القرآن الكريم ومن هنا يجب أن نجعلها لغة العمل والدراسة والحياة، وأن نعمل على صونها وحمايتها والذود عنها وأن نجعلها منارة للثقافة وأيقونة للعلم والمعرفة هذا إذا كنا قد نريد حقاً أن نكون أمة لها مكانتها الحضارية بين الحضارات ومقام يذكر بين الأمم والشعوب.





## الفصل السابع

### الازدواجية اللغوية في العالم العربي

#### التضافر والتنافر بين العامية والفصحى

" من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرُّحْل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقّة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم يُعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كل شائبة "

(المستشرق الفرنسي رينان)

#### مقدمة

فرضت الازدواجية في اللغة العربية نفسها على نحو إشكالي في صيغ وتجليات مختلفة تباينت بتباين العصور والمراحل التاريخية للأمة. فالازدواجية اللغوية بين العامية والفصحى في العصر العباسي ليست مثلها في العهد العثماني، وليست كحالتها في مرحلة الركود الحضاري الشامل الذي نعيشه اليوم. ففي مراحل الازدهار كانت الازدواجية اللسانية تعبيراً عن حالة تقدم حضاري، حيث فرض حضور اللغة العربية المظفر وتوسعها في البلدان الإسلامية ظهور مستويات لغوية تتباعد أو تتقارب من اللغة العربية الفصيحة. أما اليوم فإن هذه الازدواجية تبدو أكثر عمقاً وخطورة، وهي تعبر عن حالة انكسار حضاري شامل يفرض ثقله على الأمة العربية ليشكل أحد أكبر التحديات الممانعة لحدثة الأمة ونهضتها.

وإذا كانت الازدواجية اللغوية تشكل حالة طبيعية في مختلف لغات العالم، فإن هذه الازدواجية تشكل ظاهرة مرضية في مجتمعاتنا العربية، وتعبّر عن حالة التردّي والهزيمة الحضارية التي تعيشها هذه الأمة في حاضرها، نظراً لاختلال العلاقة بين الفصحى والعامية<sup>(4)</sup>. لقد فرض الانكسار الحضاري الذي تعيشه الأمة حالة من التردّي اللساني، وأدى إلى اهتزاز العلاقة بين اللغة والحضارة، ففقدت العلاقة بين الفصحى والعامية ذلك التوازن الخلاق الذي كان يتميز بقوته وخصوبته، وتحولت تلك العلاقة إلى ظاهرة مرضية خانقة تفرض نفسها اجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً في مختلف طبقات الحياة والوجود في المجتمعات العربية المعاصرة.

ونظراً لخطورة هذه القضية وعمق ارتباطها بالإشكالية الحضارية للأمة تناول الباحثون والمفكرون العرب هذه الظاهرة بالدراسة والبحث والتحليل، وفي سياق هذا التناول اختلفوا في رؤيتهم لهذه القضية، فعكست مواقفهم منظومة الاتجاهات الأيديولوجية والفكرية السائدة في المنطقة العربية بين الاتجاهات الليبرالية والأصولية والقومية والتعريبية والانفصالية.

وتشكل تلك المواقف والاتجاهات الفكرية من إشكالية الفصحى والعامية بدورها قضية تستحق الاهتمام والتفكير، فهذه التيارات الأيديولوجية المتغلبة تعبر في ذاتها عن واقع التخلف الحضاري الذي تعانيه الأمة. فالبلدان التي حققت أحداثها تركت خلفها - منذ أمد بعيد - مثل هذه الصراعات والخلافات الأيديولوجية حول إشكاليات الازدواجية في اللغة، وبدأت تتجه إلى خلافات من نوع جديد تتعلق بالفاعلية الحضارية اللسانية لهذه الأمم والدول. وتتمثل هذه القضية في الدول المتقدمة في فرنسا وبريطانيا وغيرها من البلدان في استراتيجيات لسانية تهدف إلى وضع اللغات القومية في مركز المنافسة والهيمنة والسيطرة، وتحقيق أكبر نفوذ لساني في العالم المعاصر. ونحن اليوم ما زلنا في طور الصراع والانقسام بين مؤيد للفصحى ومناصر للعامية. ويدرك جميع المهتمين بقضايا اللغة العربية حالياً أن الصراع الفكري ما زال على أشده بين فقهاء اللغة وعلماء اللسانيات حول طبيعة العلاقة بين الفصحى

(4) الفصحى هنا بوصفها اسماً للغة العربية وليست صفة كما هو الحال في القول اللغة الفصيحة. وعندما نقول الفصحى نعني بها اللغة العربية السليمة أي: اللغة التي تستوفي شروط وقوانين البلاغة والفصاحة تمييزاً لها عن العامية التي لا تلتزم بالإعراب.

والعامية. فقد دأب علماء الأمة على افتعال الصراع في كل صغيرة وكبيرة، وغفلوا عن المقاصد الموضوعية للبحث العقلاني النقدي الذي لا يترك للأيديولوجيا مكاناً في هذا الصراع والخلاف الدائر.

ولا تزال المواقف الفكرية من ازدواجية اللغة العربية متضاربة متداخلة متراكبة، تبدأ من التناقض الكلي إلى التوافقات الجزئية، فهناك من يرفض العامية رفضاً مطلقاً، ويعلي شعار الفصحى والفصيحة، وهناك من ينتصر للعامية ويدعو إلى إلغاء الفصحى ووضعها في متاحف التاريخ، وهناك من يرى ضرورة تفصيح العامية بتعميم الفصحى، أو تعميم الفصحى بتفصيح العامية، وهناك من يريد الارتقاء بالعامية وتقعيدها على منوال الفصحى. وهذه المواقف المتناقضة والمتضاربة تدل في جوهرها على البعد الأخلاقي والإنساني والسياسي والحضاري لإشكالية الازدواجية اللغوية في ثقافتنا المعاصرة.

### الازدواجية في اللغة العربية

تعدّ ازدواجية اللغة العربية من أهم المشكلات التي تواجه فقهاء اللغة وعلماء البيان. ولا تختلف دلالة الازدواجية في العربية عن غيرها من اللغات من حيث المبدأ الذي يعتمد التقسيم العام بين لغة الكتابة ولغة المحادثة. فالازدواجية في اللغة العربية تعني " وجود العربية العامية (المنطوقة أساساً) إلى جانب العربية الفصيحة (المكتوبة أساساً) التي هي اللغة القومية والدينية والحضارية للأمة" (عبيد وسويس، 1995م، 123).

ويرى بعض المفكرين أن وجود الازدواجية اللغوية أمر طبيعي وضروري في كل اللغات. ووفقاً لهذا التصور فإن لكل لغة رسمية فصحي لغة عامية تسير معها كظلالها ولا ضرر أو ضرار بين الشيء وظله أو بين الروح وجسدها، فكل لغة فصحي مكتوبة ترافقها لغة محكية شعبية عامة غير مكتوبة تضافرها وتناظرها في دورة من التفاعل اللغوي الضروري للحياة الاجتماعية والفكرية.

ويؤكد العقاد في هذا السياق أهمية التجاور والتضافر بين العامية والفصحى فيقول: " في كل أمة لغة كتابة ولغة حديث، وفي كل أمة لهجة تهذيب ولهجة ابتذال، وفي كل أمة كلام له قواعد وأصول، وكلام لا قواعد له ولا أصول. وسيظل الحال على هذا ما بقيت لغة، وما بقي ناس يتمايزون في المدارك والأذواق. إذ لم يكن ممكناً

أبداً للكاتب الإنجليزي "جون ملتون" أن يسيطر ملحمته الشعرية "الفردوس المفقود" (Lost Paradise) بلغة العامل الإنجليزي، ولم يكن أبداً ممكناً أن تُكتب فلسفة "كانت" بلغة الفلاح الألماني، ولن يأتي اليوم الذي تستوعب فيه قوالب السوق كل ما يخطر على قرائح العبقريين، ويختلج في ضمائر النفوس، ويتردد في نوابع الأذهان، فالفصيحة باقية والعامية باقية مدى الزمان!" (الزغلول، 2000م، 83).

فاللهجات العامية كانت موجودة في الجاهلية والإسلام من قبل، ثم جاء الإسلام فوحدها في البيان القرآني. وكانت هذه اللهجات حاضرة بقوة حتى في أزهى عصور اللغة العربية، ولم تشكل خطراً حقيقياً على الفصحى التي أخذت مكانتها العالية في مختلف ميادين الفكر والمعرفة المتقدمة. ويعبر الضبيب عن هذا الحضور للهجات العربية العامية إلى جانب الفصحى بقوله: "إن اللغة العامية كانت موجودة منذ العصور التاريخية القديمة، في صورة لهجات يستعملها العامة في بيئات مختلفة، وهم يعرفون أنهم باستعمالهم إياها لا يبلغون المستوى الرفيع الذي يبلغونه بالفصحى. ولذلك كانت العامية محصورة في بيئات التخاطب الضيقة التي كانت بيئات منعزلة. لم تكن العامية ترقى لتكون لغة الأدب أو الثقافة أو الدواوين الرسمية، ولم تكن الدروس تلقى بها في حلقات العلم، ولذلك لم يكن لها خطر على الفصحى في تلك الأيام (الضبيب، 2009م).

وفي هذا المقام يؤكد عدد كبير من الباحثين اللغويين أن الازدواجية اللغوية ظاهرة طبيعية في اللغة، فيرى محمد حسين أنها ليست حالة طارئة على اللغة العربية، وأنه لا يضير اللغة العربية الفصحى كثيراً قيام لهجات محلية أو لغة خطاب يومي دارجة، يتداولها العامة، وتقضى بها شؤون الحياة اليومية، وأن هذه الظاهرة ظاهرة بشرية طبيعية تشمل كل اللغات: قديمها وحديثها، فلها جميعاً لغة متأنقة دقيقة للفكر وللأدب، ولها لغة أخرى أقل دقة وجمالاً، وأدنى درجة ووقاراً للتعامل اليومي، وهي لغة متحولة متغيرة، لم تحظ بعناية العلماء والأدباء إلا في أيامنا هذه التي كثر فيها التهريج في التمسح باسم الشعب، والتشديق بالفنون الشعبية (حسين، 1981، 214م).

وتبين الحياة الثقافية في العالم العربي أن الازدواجية اللغوية تفرض نفسها بقوة في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، وضمن هذا الوجود " ما زالت الفصحى

تستخدم في مختلف مظاهر الحياة الأدبية والعلمية والرسمية، كما هو الحال في الإدارة والقضاء والتعليم، الخطاب السياسي والديني والثقافي؛ فيما تستعمل العامية، أو بالأحرى العاميات واللهجات في مختلف تجليات الحياة الاجتماعية للحياة اليومية العادية (بلاو، 2000م، 186).

وهكذا نجد أن الفصحى تفرض حضورها الفعلي والرسمي في مختلف أوجه الحياة الثقافية في مجال الآداب والفنون والتعليم والعلوم والإعلام، وفي المقابل نجد العامية تحتكر مجال الحياة اليومية وامتداداتها المباشرة وتنافس الفصحى منافسة تتباين قوتها من مجال إلى آخر. ولا يعني هذا بحال من الأحوال أن العامية أحرزت قصب السبق وصارت اللغة السائدة. فالحقيقة أن الأيديولوجية السائدة لا تزال تحكم على العامية بوضع اللغة المضطهدة وضع لغة من الدرجة الثانية تتسلل من النافذة ولا تدخل من الباب (كلفت، 2012).

وتتميز الازدواجية اللغوية في اللغة العربية بالعمق والشمول، إذ تأخذ طابعاً انقسامياً يهدد اللغة في كليتها، وفي هذا الأمر يقول أحد الكتاب واصفاً عمق هذا الانقسام بين جناحي اللغة: "يصدمننا واقع وعمق الازدواجية اللغوية العربية على كل مستوى وفي كل مكان. وتتمثل هذه الظاهرة في هذا الوجود المتجاور، أو المتزامن، أو المتداخل، أو المزدوج، أو المنشطر بين اللغة المسماة بالعربية الفصحى، واللغة أو اللغات المسماة بالعامية، أو العاميات العربية" (كلفت، 2012).

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو: إذا كانت ظاهرة الازدواجية اللغوية ظاهرة طبيعية في جميع لغات العالم فلماذا تأخذ هذه الظاهرة طابعاً مرضياً في اللغة العربية؟ وهذا هو السؤال عينه الذي يطرحه محمد راجي الزغلول إذ يقول: "إذا كان وضع الازدواجية طبيعياً في معظم لغات العالم، فلماذا يكون هذا الوضع إشكالياً أو عائقاً للتقدم في البلدان العربية؟" وعلى الأثر يقدم الزغلول تصوره حول هذه المسألة فيقول: "باعتمادنا أن ذلك يعود لسببين رئيسيين: أولهما، ازدياد الفجوة بين العامية والفصحى واللهجات نتيجة لعوامل تاريخية حتى أصبحتا وكأنهما لغتان مختلفتان في أعين الكثير من الباحثين. وثانيهما، أنه مع استقلال الدول العربية وتبني اللغة العربية رسمياً وشعبياً، فإن الاعتماد على اللغات الأجنبية ما زال واسعاً وممتداً".

(الزغلول، 2000م، 78). ويتابع الزغلول في تحليل العلاقة بين العامية والفصحى فيقول: "إن من أهم مسببات اتساع الفجوة بين العامية والفصحى، بل من أهم أسباب ازدياد العامية، هو ارتفاع نسبة الأمية في مجتمع ما، والرقم في مجتمعاتنا معيب إذ يقارب إن لم يتجاوز 70% في بعض الدول، وبالعكس ما أشار إليه بعض المستشرقين فإن ارتفاع نسبة الأمية هو الذي زاد الفجوة اتساعاً بين العامية والفصحى. (الزغلول، 2000م، 79). ونعتقد أن الزغلول قد أصاب بعض الحق في تحليله هذا، ويبقى علينا أن نحلل عدداً كبيراً من المتغيرات والأسباب المتداخلة في هذه القضية.

وقد ترتب فعلياً على وجود الازدواجية اللغوية في العالم العربي ولادة ازدواجية في الموقف الفكري من هذه الظاهرة؛ حيث انقسم الباحثون إلى فريقين: فريق يرى في الازدواجية أزمة لغوية وخطراً داهماً يتحدى اللغة العربية ولاسيما الفصحى في وجودها وكيانها، وفريق آخر يرى أن هذه الازدواجية طبيعية ولها ما يماثلها في جميع لغات العالم ولا خوف منها على الإطلاق.

والحقيقة أننا لا نزال بعيدين عن التوصل إلى تصور يمكن الاطمئنان إليه فيما يتعلق بإشكاليات هذه الازدواجية. وما برح الجدل محتدماً بين الباحثين العرب في طبيعة العلاقة بين مفهومي الفصحى والعامية، ولاسيما حول تأثير كل منهما في الأخرى سلباً وإيجاباً. وما زال البحث في حدود هذه العلاقة يثير حماسة الباحثين للدرس والفحص والقياس والتعميم. والأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الخصوص كثيرة متعددة منها: هل تشكل العامية في امتدادها وتوسعها خطراً حقيقياً على الفصيحة والفصحى؟ هل يمكن تفصيح العامية وإثراء الفصحى بعاميتها؟ أم هل يمكن أن تكون العلاقة بينهما علاقة تكامل وإثراء؟ هل يمكن للعامية في المستقبل أن تحل مكان الفصحى وتقصيها؟ أم هل يمكن تععيد العامية على صورة الفصحى وتبنيها لغة وطنية؟ وهذه الأسئلة جميعها تطرح إشكاليات في تضاريس مختلفة للعلاقة بين الفصحى والعامية. والمهم في هذا كله أن الباحثين ما زالوا في طور دراسة هذه القضية المعقدة الشائكة يدفعهم طموح كبير إلى إيجاد الحدود الفاصلة بين المفهومين وتحديد طبيعة العلاقة بينهما على نحو موضوعي.

## أيدولوجيا الصراع بين الفصحى والعامية

يحتدم الصراع الأيدولوجي بين أنصار الفصحى والعامية يوماً بعد يوم، ويأخذ هذا الصراع مداه تحت مظلة الهجوم الذي غالباً ما يتجاوز حدود الطابع العقلاني للصراع الأيدولوجي. ويأخذ هذا الخلاف الأيدولوجي طابع الصراع الفكري المتوتر بين المقدس والوضعي. فأصحاب الفقه اللغوي ذوو التوجهات الإسلامية ينظرون إلى الفصحى بوصفها لغة دينية مقدسة اختارها الله لمخاطبة البشر، ويرون أن هذه اللغة بلغت كمالها المقدس في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، وينبني على ذلك أن أية محاولة لتطوير اللغة والتغيير فيها يعدّ بمثابة التطاول على المقدس اللغوي. ومن هذه الزاوية يهاجم أصحاب هذا التيار العامية ويرون فيها تهديداً للمقدس اللغوي؛ فاللغة العربية لأصحاب هذا التيار ليست مجرد لغة عادية، بل هي لغة كونية قدسية إدراكية من حيث المضامين ومن حيث التجليات الإنسانية.

ويتضافر رأي هؤلاء المتشددون أصحاب المقدس مع تيار من الفقهاء القوميون الذين يصفون على اللغة العربية طابعاً قدسياً من منظور الهوية القومية، فاللغة الفصحى كما ينظرون إليها تشكل عمق الهوية والوجود، وأي تغيير أو تعديل يمكن أن يشكل خطراً على هذه الهوية. ومن هذا المنطلق يرون بضرورة المحافظة على الفصحى بوصفها اللغة التي تمكن ناطقيها من اكتناه العالم والتعبير عن ماهية وجودهم.

وعلى خلاف هذه الرؤية يرى فريق من الباحثين الوضعيين أن اللغة العربية لغة وضعية تخضع لقوانين التطور والتجديد، وهم يعبرون عن شكوكهم في مصداقية الطابع الكوني للغة العربية. ومع اعترافهم بأهمية العربية وتقديرهم لعلاقتها السامية بالدين الإسلامي، إلا أنه يصعب عليهم الاعتقاد بالأهمية المطلقة التي تنسب إليها.

ويوجد فريق اغترابي أو حداشي آخر يرى أن اللغة العربية بأصولها الدينية أصبحت لغة جامدة تعاند التطور وتناهض التغيير وتقف في وجه الإبداع العلمي والفكري في مختلف أوجه الحياة والعمل. وهم من هذا المنطلق يرسلون الدعوة إلى تبني اللغة العامية ورفض اللغة الفصحى على نحو كلي لأنها غير صالحة للعصر بما يتطلبه من نهوض حضاري شامل.

ومما لا شك فيه أن الساحة تشهد تيارات معتدلة ترى إمكانية تطوير العامية والفصحى في اتجاه حضاري جديد يمكنهما من تطوير الحالة الحضارية للأمة

العربية وتفجير الطاقة الإبداعية للشعوب العربية، فالفصحى يجب أن تخرج من دائرة جمودها وتحجرها، والعامية يجب أن تنطلق من أجل تقليص المسافة البنيوية بينها وبين الفصحى. ويرى أصحاب هذا التيار أن تطوير الفصحى والعامية باتجاه التفاعل والتخاصب يشكل منطلقاً للنهوض الفكري والإبداعي في العالم العربي. ويبدو أن أصحاب التيار المعتدل أقل أهمية وشأناً في عملية الصراع الذي يحدث بين المتشددين الداعين إلى إلغاء العامية وأولئك الداعين إلى رفض الفصحى بقضها وقضيضها (أي: جميعها).

ومن البدهة بمكان أن هذا الصراع المحتدم بين أنصار العامية وأنصار الفصحى يفعل فعله في إبقاء حالة الجمود في اللغة العربية بصورة عامة. فلا الفصحى تشهد تغيراً ولا العامية تلقى قبولاً، وتبقى الوضعية أشبه بحالة انفصامية انشطارية تمنع أي تطور أو تقدم في مسألة اللغة العربية التي تشهد حالة من التردّي والانحدار في مختلف مستويات الوجود والتفاعل الفكري والثقافي.

وشكل هذا الجمود الحضاري الأيديولوجي للغة العربية موضوعاً جديداً للمفكرين والباحثين بحثاً عن مخرج حضاري يضع اللغة العربية في مسارها الحضاري الصحيح. وفي هذا السياق يصف العجمي حالة الانغلاق الحضاري الناجم عن جمود اللغة العربية وانغلاقها، فيرجع هذا الخلل إلى الانغلاق اللساني في مرحلة تاريخية محددة من دون السماح للغة بالخروج منها وتوسيع آلياتها للقيام بوظائفها المتجددة. وتأسيساً على هذا الانغلاق "تحول مستخدمو هذه اللغة إلى فريقين: فريق تكوّنت لديه القناعة بأن لغته الرسمية دخلت أرشيف التاريخ، فهي ليست في حالة وهن أو مرض - بل في حالة ميؤوس منها، وليست لغة قابلة للحياة، ولذا فإن الاهتمام بها يعد تخلفاً وتعلقاً بأشياء ليست من العصر، ولا تفيد في شيء من السمعة الحسنة لدى المجتمع، ولا الفائدة المرجوة في عمل أو معاش. وفريق آخر وضع اللغة العربية في أقفاس الجمود لتكون منيعة على كل محاولات التجديد والتغيير" (العجمي، 2005م، 35-36).

ويرى العجمي في هذا السياق أن الفريق الذي يؤمن بقدسية اللغة وممانعتها للتغير وضع شروطاً تجعل من التغيير والتجديد في بنية اللغة العربية ضرباً من

المستحيل، وأصحاب هذا الاتجاه يضعون شروط الاستحالة الأربعة لإحداث أي تغيير أو تجديد في اللغة العربية، وهي:

1. التجميد التاريخي.
2. التعليب وجاهزية القوالب.
3. الإقفال وعدم السماح بالإضافة.
4. المصادقة بالختم من الجهات المخولة. فما يتصف بهذه الصفات الأربع، فهو سليم ومقبول، وما ينقصه شرط من شروط المشروعية الأربعة فهو فاسد وغير مقبول (العجمي، 2005م، 36).

ويرى أصحاب التوجه المتشدد أن اللغة يجب أن تبقى على حالها، وهذا يعني أنه يجب عليها أن تموت؛ لأن المصرح لهم بالختم هم من الأموات مثل: الجوهري أو ابن منظور أو الفيروز آبادي أو الزبيدي. ووفقاً لهذه الرؤية فإن التراكم لا تكون عربية إلا إذا أجازها سيبويه، أو الفراء، أو الزمخشري، أو غيرهم من أهل الحل والربط (العجمي، 2005م، 36).

وضمن هذه الرؤية يبدو واضحاً أن الصراع يدخل في دائرة الانغلاق الفكري، فالفريق الأول الذي تحدث عنه العجمي ينظر إلى اللغة على أنها جيفة نتنة يجب تجاوزها، والثاني يرى أنها تابو مقدس يجب تقديسه والحفاظ عليه بهيئته التي لا تمس. فيمتلك الأول الخجل من استخدامها ويمتلك الآخر الخوف عليها ومنها في أشكالها المتطورة والمتجددة مع تجدد الحياة (العجمي، 2005م، 36).

وقد شكل هذا الفراق الأيديولوجي والفكري مقدمة موضوعية يستند إليها كل فريق بالتناوب في الهجوم على الفصحى تارة وعلى العامية تارة أخرى، فأصحاب النزعة الجمودية يهاجمون العامية وأصحاب النزعة الوضعية يهاجمون الفصحى. فريق يريد أن يحافظ على الفصحى في حلتها الدينية النقية، وفريق يريد تغيير الفصحى باتجاه التجديد والتغيير بما يتناسب مع معطيات الحضارة والعصر.

### الهجوم على الفصحى

شكلت الفصحى هدفاً كبيراً للهجوم والنقد وما زالت تواجه ذلك، وتأرجحت فعاليات هذا الهجوم بين الدعوة إلى إصلاحها والدعوة إلى نبذها وإقصائها وإحلال

العامية بديلاً عنها. ويلاحظ في هذا السياق أن الهجمة على اللغة العربية الفصحى وإضعافها جاءت بداية بإيعازات استشراقية غربية التوجه استعمارية الطابع. فالعربية عنوان قوة العرب وعنفوانهم في مجموعهم القومي، أو في توزعهم البشري مهما صغرت أو كبرت المجموعات البشرية التي ينتمون إليها. واللغة العربية - كما يعلم أهل الفكر والاختصاص - تشكل العمق الاستراتيجي للهوية العربية من وجهة نظر حضارية، وهي القوة الحيوية الكبرى للتعبير عن هوية العرب وانتمائهم الحضاري الإسلامي. وقد أدرك المستعمر الغربي ومن قبله التركي هذه الحقيقة، وعلموا علم اليقين أن كسر شوكة العرب والهيمنة على مقدرات وجودهم لا يكون إلا بتدمير لغتهم عنوان وحدتهم وعرين هويتهم ومعين نظرتهم الثقافية إلى الكون والوجود، ويمكن لنا في هذا السياق أن نميز بين ثلاثة اتجاهات نحو الفصحى (ابن البراء، 2004م):

أ - اتجاه يرى أصحابه أن الفصحى النموذجية قادرة على الوفاء باحتياجات أبنائها في مختلف قطاعات الحياة الاجتماعية والسياسية، وذلك لما تمتاز به من حيوية ومرونة. ويطالب بالتشبيب باللغة العربية لأنها الضمان الوحيد للحفاظ على الهوية.

ب - يرى أصحاب الاتجاه الثاني أن دور الفصحى يجب أن يقتصر على أمور الدين والمراسيم الاجتماعية، لأنها لا تستطيع بحكم طبيعتها الجامدة أن تفي باحتياجات العصر العلمية والتكنولوجية ولا سيما في مجال المصطلحات العلمية. ويبالغ أصحاب هذا الاتجاه في موقفهم ضد الفصحى إذ يرون أن استخدام الفصحى في التعليم قد يؤدي إلى قطيعة بين الطلاب وتحصيلهم العلمي الحديث ويحرمهم من إتقان اللغات الأجنبية. ويشير أصحاب هذا الاتجاه إلى عدم قدرة اللغة العربية على مواكبة التطور السريع للعلوم والمعارف، ويرون أن العربية تجعل الوفاء بما يحتاجه الطالب والمدرس من مصطلحات أمراً غير ميسور، وهم يغمزون من طرف عدم القدرة على تعريب المصطلحات العلمية، نظراً للاختلاف بين الباحثين العرب وبين الأقطار العربية في عملية تعريب المصطلحات (ابن البراء، 2004م).

ج - يرى أصحاب الاتجاه الثالث أن العربية تحتاج إلى التطور والتنظيم والتخطيط، وهي تستطيع عندما تطور نفسها أن تلبي مختلف التطلعات العلمية وأن تفي بمختلف احتياجات العصر الحضارية والعلمية. وهذا الموقف يتضمن كثيراً من الحكمة والحصافة والموضوعية (ابن البراء، 2004م).

وقد تركّزت الهجمات على العربية الفصحى المستعملة في الجرائد والترجمات في ثلاثة محاور: الدعوة إلى العامية، ثم الدعوة إلى استبدال الحروف العربية من أجل التيسير، والدعوة إلى تيسير قواعد النحو والبلاغة والبيان. ويجب علينا في هذا المسار أن نميز بين الدعوة إلى إصلاح اللغة العربية وتطويرها وتطوير أدائها وتفجير إمكاناتها الحضارية وبين الاتجاهات التي تتجاوز هذه الدعوة إلى إبطال اللغة العربية الفصحى، وإقصائها وإحلال اللهجات المحلية أو الأجنبية مكانها. فطه حسين - عميد الأدب العربي - كان قد دعا إلى تطوير الفصحى وتطويع قواعدها لمعطيات العصر الجديد بمتطلباته الحضارية الجديدة. وفي هذا يقول: "من الحق أن اللغة العربية عسيرة، لأن نحوها ما زال قديماً عسيراً، ولأن كتابتها ما زالت قديمة عسيرة، ولأن مناهجها ما زالت بعيدة عن ملاءمة حاجة الصبي وطاقته، ولأن معلمها لم يتهيأ بعد ليكون رفيقاً بها وبالتمليذ، وقادراً عليها وعلى التلميذ" (حسين، 1973م، 247).

فطه حسين في هذا الموقف يبدو عقلانياً وموضوعياً، وهو يريد خيراً باللغة العربية كي تكون أكثر قدرة على مواكبة العصر وتفجير الطاقات العربية في مجال العطاء العلمي والفكري. وما زالت الساحة العربية تعج بعدد كبير من المفكرين والأدباء والباحثين وفقهاء اللغة الذين يريدون في حقيقة الأمر تطوير اللغة العربية دون المساس بجوهرها وقوتها وهويتها ونحوها.

لقد أدركت الدول المستعمرة أبعاد هذه القوة الحضارية الهائلة المكتنزة في العربية الفصحى، وأدركت أيضاً أن السيطرة والهيمنة الثقافية والسياسية لا يمكن أن تكتمل ما بقيت اللغة العربية رابطة هوية وثقافة ودين وشعور بالقوة والإرادة، فالعربية الفصحى تشكل في جوهر الأمر الطاقة الحيوية للكينونة الحضارية العربية، فعمل على تفجير اللغة العربية الفصحى، وتفكيكها أو إصراع وجودها، وما انفك منذ بداية القرن الماضي يعمل على تفكيك الفصحى وتهديم بنيتها وعزلها عن متكلميها. ومن أجل هذه الغاية فرض المستعمر لغته، فقام بفرنسة المغرب العربي وفرض اللغة الإنجليزية في المشرق العربي، والإيطالية في ليبيا مقصياً اللغة العربية، ومبعداً إياها عن مختلف الميادين الثقافية والفكرية. ومن أجل إقصاء اللغة الفصحى وكسر شوكتها وتفكيك مقومات وجودها عمل المستعمر على إحياء اللهجات المحلية منطلقاً من الزعم القائل إن الفصحى العربية لغة كلاسيكية قديمة ضعيفة قاصرة عن الأخذ بأسباب الحضارة، وإنها فقدت مبررات وجودها التاريخي كقوة حضارية وثقافية.

يقول الزغلول بهذا الصدد: "بعد ثورة (1919م) في مصر برزت مجموعة من الكتاب يدعون لما نسميه الفرعونية المصرية، أو الإقليمية الضيقة. ولم يكن الاستعمار البريطاني مشجعاً على الفكرة فحسب بل متمنياً لها. وقد علق محمد حسين على هذه الحركة بأنها حركة استعمارية انفصالية كان وراءها الإنجليز. وقد دعت هذه الحركة إلى "مصرنة أو تمصير" اللغة والفن والأدب. واستعمال العامية المصرية بدلاً من الفصحى. وفي هذه الفترة دعا أحمد لطفي السيد إلى ما أسماه التسامح اللغوي وما قصده بذلك هو إصلاح الفصحى باستعمال الألفاظ العامية" (الزغلول، 2000م، 72).

واتخذ الهجوم الاستعماري على العربية الفصحى طابعاً ثقافياً استشراقياً، حيث هاجم المستشرقون الغربيون العربية الفصحى واتهموها بالضعف والانحلال والتخلف ورموها بعدم قدرتها على مسايرة ومجاراة الحضارة الحديثة. ومن أبرز المستشرقين الذين هاجموا اللغة العربية يمكن الإشارة إلى المستشرق الأسكتلندي المعروف إلياس جون جب (Elias John Wilkinson Gibb) (1857م - 1901م) الذي كان له قصب السبق في إدانته للعربية الفصحى. وفي دائرة الهجوم على العربية يرى "جب" أن مشكلة العربية تكمن في عدم قدرتها على التجاوب مع متطلبات الحضارة المدنية المعاصرة زاعماً أن العربية غير قادرة على الوفاء بحاجات الحياة المدنية في العلم، والفن، والصناعة، والاقتصاد" (بركات، 2003م، 114). وهكذا اتهم المستشرقون الفصحى بضعف كفايتها العلمية؛ نظراً لعدم قدرتها على مسايرة التطور العلمي الحديث، بحجة عدم وجود المراجع، والكتب العلمية باللغة العربية، حتى يستطيع كل من المعلم، والتلميذ أن يتدارسوها، كما ادعوا أنها "لغة كلاسيكية لا تصلح للحياة العصرية، إنها لغة معقدة صعبة، تضيق عن استيعاب العلوم والمبتكرات، بسبب قلة ألفاظها، ومصطلحاتها". فهذه المزاعم وتلك الاتهامات كانت هي السبب الرئيس في الدعوة إلى العامية، بدلاً من الفصحى، واستبدال حروفها بحروف أجنبية أخرى (بركات، 2003م، 114).

وهناك نزعات للتركيز على اللغات العامية وفصلها عن الفصحى "وتتماشى هذه الرؤية مع تليفق لغة مستقلة خاصة بهذا القطر أو ذاك، مثل التركيز من جانب واحد على "مصرية" ما يسمى بالعامية المصرية، مع تجاهل أو تحذّر أو التقليل من

شأن كونها لغة عربية، أو حتى مع الاعتراف بعربية "العامية المصرية" مع المبالغة في حجم المكوّن المصري أو الفرعوني أو القبطي في هذه اللغة" (الرخاوي، 2003م). وقد شهدت الفصحى أخطر هجوم على يد المستشرق وليم ولكوكس (William Willcocks) (1852م - 1932م) مهندس الري الإنجليزي في مصر. وظهرت ملامح هذا الهجوم الكبير والصريح عندما ألقى ولكوكس محاضرة في نادي الأزبكية بمصر عام (1893م) يدعو فيها إلى رفض العربية واستبدالها باللهجة العامية المصرية. وقد نشر محاضرته المشؤومة هذه في مجلة الأزهر بعنوان "لَمْ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟"، وزعم ولكوكس في هذه المقالة أن التأليف باللغة العربية الفصحى يعيق المصريين عن الاختراع والإبداع، ويرى أن العامية المصرية هي الأفضل والأقدر على تنمية ملكة الإبداع والابتكار والنهضة العلمية، وانطلاقاً من هذه الرؤية دعا المصريين إلى نبذ الفصحى ورفضها واستخدام العامية بدلاً لها (بركات، 2003م، 113). وشدد ولكوكس دعوته عبر مجلته التي سماها (الأزهر) إلى عدم استخدام الفصحى كلغة أساسية للتعليم في المدارس، لأنها تتناقض مع الفكر الحر لدى الطالب، ولا تتجاوب مع متطلبات العقل والتفكير النقدي؛ وفي كثير من إشارات يعن أن الطالب المصري يبذل جهداً كبيراً ضائعاً لترجمة ما يقرأه من الفصحى إلى العامية، وعلى التوالي ترجمة ما يفهمه من العامية إلى الفصحى عند الكتابة مرة أخرى، وعلى هذا الأساس اقترح ولكوكس اعتماد العامية المصرية لغة التعليم والتربية والحياة العلمية والفكرية على امتداد الديار المصرية، وكان يروج أنه يمكن لمثل هذه التجربة أن تحقق نجاحاً خلال عشر سنوات يمكن خلالها نشر العامية والتحرر من المعاناة الحضارية التي تفرضها الفصحى.

ولم تقف دعوة ولكوكس عند حدود التوجهات الفكرية المشروعة في أية قضية من القضايا الفكرية والسياسية، بل تجاوزت حدود الأيديولوجيا إلى الممارسة الفعلية تطبيقاً لدعوته نبذ الفصحى وإقصائها، وتمثلت هذه الممارسة في الوقت الذي أعلن فيه عن مسابقة جوائزها أربعة جنبات إنجليزية لمن يترجم سورة من القرآن الكريم بالعامية المصرية، ثم جعل نفسه قدوة بأن ترجم جزءاً من الإنجيل إلى العامية. وسار على طريقة القاضي (سلدن ولمور)، وآخر ألماني يعمل في دار الكتب، وحذت حذوهم مجلة المقتطف عندما كانت تصدر في بيروت وأسهمت معهم بشيء من الاعتدال «مجلة الهلال» (الجهني، 2009م).

وكانت اللغة العربية إحدى القضايا التي عالجها المجتمعون في لقاء الدول الثماني عام (2004م)، حيث خصص لها المشاركون بنداً يتعرض لمسألة تحديث اللغة العربية وقرر المجتمعون في هذا المجال ما يلي (بن تنباك، 2005م):

1. إن عدم تطوير اللغة العربية، وعدم تحررها من أشكالها القديمة التي ظلت عليها منذ قرون أدّى فعلياً إلى صعوبة في استيعاب أهل الحضارات والأديان الأخرى لهذه اللغة أو تعلمها أو الاقتراب فكرياً ممن يتحدث بها.
  2. إن الإرهابين الذين يتحدثون اللغة العربية، وتتم ترجمة كلماتهم إلى الإنجليزية، أو الفرنسية لا نعرف شعورهم الحقيقي، أو الدوافع الكامنة وراء ارتكابهم لهذه الأحداث، لأن الترجمة العربية إلى اللغات الأخرى يبدو أنها تواجه مشكلات حقيقية نحن غير قادرين على تصنيفها وتبيان أسبابها الحقيقية.
  3. إن العلوم الدولية لا تستطيع أن تعتمد هذه اللغة بسبب تعقد رموزها وصعوبة أشكالها في الوقت الذي يستطيع أهل اللغة العربية ومتحدثوها إتقان اللغات المشتقة من اللغة اللاتينية مثل: الإنجليزية والفرنسية.
  4. إن العرب يتحدثون اللغات الأوروبية مثل أهلها تماماً، مما يؤكد سهولة أشكال وحروف اللاتينية وقدرتها على التأقلم والتطوير تحت أي ظرف.
  5. ندرك أن هناك لغة مشتركة يمكن أن تجمع كل سكان الكرة الأرضية فيما عدا الذين يتحدثون باللغة العربية، وهو مما يجعل من الصعب بنا التواصل معهم أو معرفة دوافعهم النفسية.
  6. إن صعوبة التقاء اللغة العربية مع اللغة الإنجليزية كانت الدافع الرئيسي وراء موجة الكره العربي لأمريكا وإسرائيل والشعور بالبغض والانتقام من الذين يتحدثون الإنجليزية والفرنسية (بن تنباك، 2005م).
- وتشكل هذه التصورات التي اتفق عليها المؤتمر برهاناً قطعياً على أن اللغة العربية تواجه تحديات عدوانية من قبل الدول الغربية، وأن هذه اللغة مستهدفة في جوهرها وفي كيانها.

ولم يقتصر الأمر على اتهام المستشرقين للغة العربية بقصورها وعدم كفايتها العلمية، إذ شهدت الساحة الفكرية ولادة تيار كبير من المستغربين العرب الداعين إلى

نبت الفصحى ورفضها لغةً للعلم والمعرفة والتربية، وذلك لأنها (حسب زعمهم) لغة قاصرة عاجزة عن أداء دورها الحضاري والتجاوب مع الحداثة ومعطيات العصر. ويشار في هذا المضمار إلى محمد حسين هيكل (1888م - 1956م) بوصفه أكثر المفكرين العرب عداوة للعربية الفصحى وأكثرهم حماسة واندفاعاً في الدعوة إلى العامية المصرية تحديداً بديلاً للفصحى (الموسوعة الحرة الإلكترونية، ويكيبيديا). لقد رأى هيكل عدم ملاءمة الفصحى للحضارة الحديثة، وكان يدعو إلى تمصير اللغة العربية وأنه يجب على الكتاب أن يستمدوا موادهم الكتابية من الحاضر بألفاظه وتراكيبه ومعانيه وليس من الماضي. ويقول هيكل بهذا الصدد: "والحق أن اللغة العربية على ما خلفتها حضارة العرب كثيراً ما تستعصي على صور هذه الحضارات الحديثة، وليس عليها من ذلك ذنب، وليس في طبيعتها دون الوصول إليه عجز، ذلك بأن اللغة العربية أداة، وإن لم يدم صقلها علاها الصدا، ثم كان فيها تثاقل عن السير المطمئن إلى حيث يحتاج إليها الذهن الفياض بمعان وصور جديدة، ولقد يبلغ من صدها أن يقبرها" (بركات، 2003م، 126-127). وهكذا رأى هيكل أن الفصحى لا تتماشى مع الحضارة الحديثة؛ لأنها صارت لغة عاجزة تعاني الشيخوخة، وصار يعلوها الصدا، وإن لم تنهض بنفسها فستموت وتقبر وهو بهذا يردد نفس فكرة ولكوكس في ضرورة تطور اللغة وتجديدها؛ لأنها بحالتها تلك تعد متخلفة وعائقاً للتقدم (بركات، 2003م، 126-127).

ولم ينفرد هيكل في دعوته هذه، إذ شهدت الساحة الفكرية تنامي تيار فكري كبير يدعو إلى رفض الفصحى بوصفها عقبة حقيقية في وجه التطور والحياة والحضارة. وإلى هذا التيار ينتسب المفكر المصري يوسف السباعي (1917م - 1978م) الذي دعا إلى تبني العامية ورفض الفصحى إذ يقول مهاجماً الفصحى: "يجب أن نتحلل من هذه القيود السخيفة، لماذا كل هذا التعب الآن العرب منذ ألف سنة رفعوا هذه ونصبوا تلك.... ليكن.... لنحافظ على تراثهم كما هو.... على أن نحلل لغتنا من أثقاله وقيوده، ونقولها بأبسط الطرق، لنسكن آخر كل كلمة، ولنبتل التنوين، ولنقل الجمع بالياء فقط، ولنحرم أدوات الجزم و النصب من سلطاتها، لننتحلل من كل هذا، و لنصرف ممنوع من الصرف، ولننتحدث بلغتنا دون خوف من لحن أو خطأ، يجب أن يزول احتكار اللغة بقيودها وقواعدها ونحوها و صرفها، وعلى أي حال إن لم نحطمها الآن فستحطمها الأجيال القادمة فلنكن شجعاناً ونريحهم نحن منها" (إبراهيم، 2007م).

وقد مهد الهجوم الشديد على الفصحى، واتهامها بالضعف والقصور للدعوة إلى تبني العامية واللهجات المحلية. وفي هذه الأجواء المعادية للعربية الفصحى تنامت الدعوة إلى التخلي عن العربية الفصحى وتبني اللهجات العامية العربية في كل قطر من أقطار العالم العربي. ويؤخذ على المصلح الكبير رفاعة الطهطاوي الذي ترك بصماته الإيجابية على التعريب في مصر أنه خصص فصلاً من كتابه «أنوار توفيق الجليل وتوثيق أخبار بني إسماعيل» للحديث عن اللغة العربية ووجوب إحيائها، لكنه ضمنه دعوة إلى استعمال اللهجة العامية ووضع قواعد لها والاعتناء بها، ورأى أنه لا مانع من أن يكون للعامية قواعد قريبة المأخذ تضبطها، وأصول على حسب الإمكان تربطها، ليتعارفها أهل الإقليم، حيث نفعها بالنسبة إليهم عميم، وكان الطهطاوي أول من أدخل العامية إلى لغة الصحافة، وذلك في صحيفة الوقائع المصرية التي كان يشرف عليها (حسن، 2010م).

ثم بدأت الدعوة إلى تبني العامية تأخذ مداها ويشتد عودها، وبدأ بعض المفكرين يؤلفون بالعامية ويعملون على تقييدها، وضمن هذا التوجه ألف المستشرق الألماني «ولهم سبيتا» الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية في أواخر القرن التاسع عشر كتاباً سماه «قواعد اللغة العامية في مصر» عام (1880م). وضمن هذا الكتاب هجوماً ربط فيه بين العربية الفصحى والتخلف، فقال: "إنه بالتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور، لأن الطبقة المتعلمة قليلة العدد هي وحدها التي يمكن أن يكون الكتاب في متناول يدها". ثم يقول: «لماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة إلى ما هو أحسن؟ ببساطة لأن هناك خوفاً من تهمة التعدي على حرمة الدين إذا تركنا لغة القرآن تركاً كلياً (حسن، 2010م).

وفي نفس الاتجاه صبت دعوة المستشرق الإنجليزي «سلون ولور» الذي تولى القضاء بالحاكم الأهلية بالقاهرة إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر فأصدر كتاباً بعنوان «العربية المحلية في مصر» في عام (1901م) طالب فيه باتخاذ العامية المصرية لغة أدبية بدلاً من الفصحى ووضع قواعد لها. ثم أيد دعوة سابقه إلى كتابتها بالأحرف اللاتينية، مهدداً في حال عدم الاستجابة لدعوته بانقراض لغتي الحديث (العامية)، والأدب (الفصحى) نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم. (حسن، 2010م). وكان "ولور"

يدعو إلى استخدام العامية في وسائل الإعلام، لأن وسائل الإعلام أفضل وسيلة لإعطاء العامية مشروعية وجودها وحضورها. وكان يرى أنه يجب على الصحف أن تتخذ الخطوة الأولى لتعميم العامية وترويج استخدامها، وعلى هذا النحو فإن النشر بالعامية سيؤدي إلى انتشار القراءة والكتابة في مختلف أنحاء البلاد وفي فترة قصيرة نسبياً. وتزعم عبد العزيز فهمي عضو مجمع اللغة العربية الدعوة إلى العامية بديلاً للفصحى، فقدم إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة عام (1943م) مشروعاً تغريبياً يدعو فيه إلى «استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية». ولما رفض تبني «سلامة موسى» هذه الدعوة واصفاً عملية تبني الحروف اللاتينية بأنها "وثبة المستقبل" وأن الحروف اللاتينية ستكون مصدر إلهام حضاري وحدائي (حسن، 2010م).

وفي لبنان تبني الدعوة نفسها الشاعر سعيد عقل الذي هاجم اللغة العربية بأصولها الدينية، إذ يقول: «إن من أراد لغة القرآن فليذهب إلى أرض القرآن (حسن، 2010م). وقد أنشأ عقل أول مطبعة لكتابة المحكية اللبنانية بالحروف اللاتينية مع إضافة بعض الحروف إليها. وفي هذه المطبعة بالذات قام عقل بطبع مجموعة من كتبه ودواوينه الشعرية، كما أصدر صحيفة يومية باللغة عينها (خير الله، 2005م، 54). ووجدت دعوة عقل صداها لدى «أنيس فريحة» الذي كان من أبرز دعاة العامية والحروف اللاتينية في لبنان. وكان فريحة في دعوته هذه يعترض على اعتماد اللغة العربية كلغة للجيل الحاضر، وهو يعترض على ذلك بقوله: "متى كانت لغة الشعر ولغة الأدب والدين مرآة تعكس لغة الناس في معاشهم ومكاسبهم؟" (حسن، 2010م).

يرى محمود محمد شاكر أن جذور الاهتمام الأوروبي بالعامية العربية تعود إلى عامه (1664م)، حيث دعا البارون دي ويتز إلى تأسيس مدرسة جامعية لتعليم لغات الشرق، يناط بها أمر التبشير (شاكر، 184، 1964م). وقد ذكر كثيرون من دعاة العامية في الشرق العربي أمثال: ولهم سبيتا الإنجليزي وكارل فولرس الألماني، والمبشر الإنجليزي (المهندس) وليم ويلكسوس مترجم الإنجيل إلى العامية، والمستشرق سلدنويلمور مؤلف كتاب العربية المحلية في مصر عام (1901م)، إضافة إلى لويس عوض وأمين شميل وسلامة موسى (وعلي، 2017م).

كما كان رفاة الطهطاوي (1801م - 1873م) من بين الدعاة الأوائل إلى العامية، حيث وظفها في كتاباته وفي الترجمة والصحافة، نتيجة إعجابه حد الانبهار بالفكر والثقافة الغربية أثناء مقامه الطويل بفرنسا. كما نهج سلامة موسى صاحب كتاب البلاغة العصرية واللغة العربية الذي دعا فيه إلى فرعنة الثقافة المصرية، وتبني عاميتها. وأيضاً سعيد عقل الذي اشتهر بدعوته إلى لبننة اللغة في لبنان، وفينقة أصولها وثقافتها، حيث أصدر ديوانه الشعري «يارا» بالحرف اللاتيني، واستهله ببعض الحروف الفينيقية، ومن تلامذته الأوفياء والمتحمسين لهذا الطرح نجد فرانك سلامة (الفهري، 2013م، 45).

ويمثل كلٌّ من سعيد عقل، وأنيس فريحة، ولويس عوض وسلامة موسى، والخوري مارون غصن، وطه حسين ولطفي السيد، أبرز دعاة الأخذ بالعامية والدعوة لها على حساب الفصحى، وظهر عدد من الكتب التي عملت على النيل من العربية الفصحى وأهمها:

- كتاب "لغة بيروت العامية" للمستشرق إمانويل مانسين.
- كتاب "لغة مراكش العامية وقواعدها" لابن سحيل.
- كتاب "قواعد العامية الشرقية والمغربية" للمستشرق كوسان دويرسغال.
- كتاب "عامية دمشق" للمستشرق براغستراس.
- كتاب "قواعد العربية العامية في مصر" للمستشرق الألماني ولهم بيتا.
- كتاب "قواعد اللهجة اللبنانية السورية" لرفائيل نخلة.
- كتاب "قواعد العربية العامية في مصر" للمستشرق الألماني ولهم بيتا.

كما ألفت عديد من المصنفات في منطقة الخليج العربي لتخدم الغرض عينه، وخاصةً بعد اكتشاف النفط. (خير الله، 2005م، 53).

ولم يقتصر الهجوم على اللغة العربية على ما رميت به من ضعف في بنيتها وأدائها وفقدان قدرتها على مواكبة العصر، بل تعرضت لنوع آخر من الهجوم أكثر خطورة وتدميراً يرميها في صميم جوهرها وتكوينها، حيث اتهمت بأنها لغة دينية

مغسولة الدماغ غير قادرة على استلهام الحضارة الإنسانية. ويظهر هذا الهجوم في مقالة لعبد الرحمن عبد الهادي بعنوان (الذهنية العربية: منظور لغوي) شن فيها هجوماً على الفصحى في صميم وجودها وهويتها وماهيتها الحضارية فيقول:

"فإن عدنا إلى اللغة العربية التي هي أداة مشكلة ومتشكلة مثلها مثل الإنسان العربي، لوجدنا أنها أداة "مغسولة الدماغ" عاشت في مخزون التبديد عدة قرون، فاللغة العربية انتشرت وسادت في ظل سيطرة دينية، وامتلكت سطوة إيمانية جاهزة المفردات، مكتملة الصياغات ثابتة الدلالات عند حاجز علوي متسام لا يمكن الخوض في أو التساؤل عنده، أي إننا نستطيع القول بأنها تشكلت في إطار المطلق اليقيني المتعالي، وبالتالي أخذت كما هي، ويتم تعليمها كما هي بالمناهج نفسها منذ أكثر من عشرة قرون، وتستطيع أن تفتح كتب اللغة العربية من الابتدائي إلى الجامعة، لتجد أنها لم تتغير منذ مئات السنين، المناهج نفسها والتعبيرات نفسها، والنصوص نفسها، الروح نفسها وكأن العالم واقف لم يبرح مظلة قريش قبل الهجرة وبعد الهجرة، وهي حالة مذهلة قلما نجد لها نظيراً في أية لغة أخرى في العالم، وقد أوحى لنا هذا بملاحظة كثرة الشعراء في وطننا العربي وغلبيتهم على كل مجالات الإبداع المختلفة، علمية وأدبية، وكأنهم يكررون حالة العري القديم ساكن الصحراء المتعني بمجده التليد، أو كأن الشاعر الجاهلي القديم نفسه انبعث من جديد فملاً صحفنا ضجيجاً وأوراقنا طباعةً ونشراً" (عبد الهادي، 1993م، 17).

ويتابع عبد الرحمن عبد الهادي هجومه على العربية متهماً إياها بأنها لغة مجردة غير واقعية غير قادرة على تحقيق فعل التواصل الإبداعي الفلسفي فيقول: "علينا أن نكشف الغطاء عن "البنية المفهومية" العربية، فنُدعي أنها بنية "نظرية تجريدية" أكثر منها بنية "عملية"، وطابع الإبداع فيها طابع كلامي وليس طابعاً علمياً ملموساً يصل إلى حد الكلام المجرد الذي يشبه لغة الجنون بالمعنى النفسي، أي توليد ألفاظ من ألفاظ وصيغ من ألفاظ وصيغ أخرى تمتد وتمتد لتفرق ملة عن أخرى، وفرقة عن فرقة، ويكفي أن تطلع على نصوص مذهبية لفرق مثل: الباطنية، أو المعتزلة، أو الأشاعرة، وحتى الظاهرية والغزالية، لتدرك أن العمل الفكري الذي تمّ قام كلياً على عمليات ذهنية وعلى حجج منطقية" (عبد الهادي، 1993م، 22). فالإعجاز العربي إعجاز

لفظي، فالعربي لا يرى في طلوع الإنسان إلى القمر معجزة، بل أحياناً ما نجد بعض الناس ينكرها، والعربي لا يرى الهاتف والتلفاز والسيارة والقطار والطائرة والصناعة، أو أية أداة جلبها العلم الحديث (عبد الهادي، 1993، 25). وفي هذا السياق يقول أبو علي ياسين مؤكداً على الطابع النظري اللفظي للغة العربية وطابعها المطلق: "الجملة العربية هي إما جملة اسمية أو جملة فعلية، أما الجملة الأوروبية فهي دائماً جملة فعلية، الجملة الاسمية توحى بإطلاقية لا نلاحظها في الجملة الفعلية، لأن الفعل مرتين بالزمان؛ هي بصورة ما سلوكية لا تعبر عن حدث بل عن حالة وعن ديمومة ظاهرية مهما قصرت واقعياً" ويقول أيضاً: "تبدأ الجملة العربية الفعلية بالفعل في حين تبدأ اللغات الأوروبية عادة بالفاعل، هذا يعني أن العرب يهتمون أولاً بالفعل ثم ينظرون إلى الفاعل" (عبد الهادي، 1993م، 21).

ومن جديد يعود عبد الهادي للتأكيد على الطابع النصي المقدس للغة العربية، فيرى أن الفعل الحضاري تمّ تجميده بالمقدس النصي الذي سطا على الفكر والتفكير السائد حتى الآن. وتأسيساً على هذه الرؤية ينادي عبد الرحمن بالابتعاد عن الأصول اللغوية لخلق دلالات جديدة للألفاظ يوسع ويعمق مساحة الحرية العقلية للإنسان، لأن هذه المساحة نفسها تولد الألفاظ الجديدة والدلالات الجديدة، وهي بذاتها كتعبير عن هذه الحرية توسع دائرتها ومداهها كيميائياً وفي الوقت نفسه (عبد الهادي، 1993م، 19). ومن الواضح أن عبد الرحمن ينطلق من وجهة نظر حداثة يرى فيها أن تشبعت اللغة بالماضي والتيارات السلفية الجامدة قد أضعفت اللغة وجعلتها خارج مسارها الحضاري. ولا نحسب في نهاية الأمر، إلا أننا نرى في آراء عبد الرحمن مقدمة ربما للتفكير فيما علق باللغة العربية من شوائب الماضي، وإيجاد المخرج الحيوي من أجل تطوير الأداء الحضاري للغة العربية.

### الهجوم على العامية

غالباً ما صورت العامية بأنها آفة لغوية تهدد اللغة وتدمر مقومات وجودها. وإلى هذا الأمر ذهب بعض المفكرين في اعتقادهم أن العامية أعشاب ضارة في حقل اللغة، وأنه يجب على المعنيين باللغة اجتثاث هذه الأعشاب وتطهير الحقل اللغوي من سمومها وأضرارها. ومن هذه الزاوية واجهت العامية موجة عدائية كبيرة تصدرها

عدد من فرسان الكلام الذين قللوا من شأنها وانتقصوا من قيمتها وبخسوها حقها. وفي هذا المقام يورد الزغلول عدداً من التوصيفات السلبية ضد العامية فيقول: "وقد وصفت العامية بأقبح الألفاظ من قبل الأدباء والكتاب العرب، فهي "مصاحبة للجهل والسوقية"، كما قال زكي عبد الملك، "ولغة السكارى والخدم ... فوضوية ولا قواعد لها"، كما يقول مازن مبارك: "علامة للجهل والإمبريالية"، كما يقول علي ناصيف، "لا تستحق أن تسمى لغة، ولا تلائم أهداف الحياة الثقافية كما يقول طه حسين،" ينشرها ويحبذها الأميون" كما يقول مصطفى فهمي (الزغلول، 2000م، 62).

### ضرورة العامية

وعلى خلاف هذا التصور ينفرد عدد آخر من الباحثين بالقول بضرورة العامية وأهميتها ضمن حدود الحقل الذي تمارس فيه، وإلى هذه الفئة من المفكرين ينتمي الباحث اللغوي يحيى الرخاوي الذي يقول: "أما اللغة (اللغات) العامية فهي لغة لاشك في ذلك، وهي لغة قادرة ومبدعة وفاعلة، ولا يوجد ما ينقص من أحقيتها في ذلك، لهذا لا ينبغي إغفالها أو تهميئتها، وإلا كنا نفتعل مسيرة ضد طبيعة التطور، وضد حركية اللغة، وضد فرص الإبداع، كما أن ما يسمّى "المعرفة الحكائية" إنما يستلهم كثيراً من مصادره من لغة الناس في الحياة الآنية، أو فيما يترتب عليه من تراكم عبر التاريخ في شكل أمثال أو عادات، سواء ظهر ذلك في الفعل اليومي، أو في الإبداع المعرفي أو غيره، كل ما في الأمر أن هذه اللغات (اللهجات) العامية لا ينبغي، ولا تقدر، أن تحل محل العربية الفصحى، وإنما هي تستطيع وينبغي أن تجاورها وتتجاوزها معها وتثريها وتكملها" (الرخاوي، 2003م).

### متى تشكل العامية تهديداً للفصحى؟

يرى بعض المفكرين القوميين والإسلاميين أن وجود العامية وانتشارها الواسع يهدد وجود اللغة الفصحى ويقوض أركانها، وهذا بدوره يؤدي إلى تقويض اللغة في صورتها الكلية. وغالباً ما ينظر أصحاب هذا الاتجاه القومي الإسلامي إلى "العامية"، أو "العاميات" العربية على أنها خطر كبير يهدد الأمة العربية ككيان ثقافي. وينطلق أصحاب هذا الاتجاه من عصبية التمجيد المطلق للفصحى بوصفها لغة الدين والهوية القومية.

ويربط بعض الباحثين رؤيتهم للازدواجية اللغوية بمدى انتشار العامية وبطبيعة التوازن الذي يجب أن يكون بين اللغتين، فاللغة العامية "خطيرة جداً إذا تُرك لها العنان لتسود وتقود" (القرضاوي، 2004م). وهذا يعني أن خطر العامية يكون في جوهر الأمر عندما تتخطى الحدود والحواجز الطبيعية لدورها ووظيفتها الحيوية وعندما تتوغل في المناطق الحيوية للفصحى مثل: التعليم، والإعلام، وفي مجال المراسيم، والطقوس العلمية والأدبية، ووسائل الإعلام، وفي هذه الحالة فإنها تشكل تهديداً حقيقياً، ليس للغة الفصحى فحسب، وإنما للغة العربية في صورتها الكلية.

وتكمن الخطورة الناجمة عن التوسع الكبير للعامية على حساب الفصحى في الحسابات التي تنجم عن هذه الوضعية. فعندما تأخذ العامية مكان الفصحى فإن كل لهجة كما يقول الضبيبي: "سوف تتحول مع مرور الزمن إلى لغة كما حدث عند أمم أخرى. وفي هذه الحالة تصبح كل بيئة لهجية كياناً مستقلاً عن البيئات الأخرى، له لغته التي لا تفهم في البيئات الأخرى، ولا يخفى ما في ذلك من خطر على وحدة الأمة. كما أن هذه اللهجات إذا ما استقلت فسوف يكون لها أدبها ولغتها الرسمية التي تبتعد بها عن لغة التراث العربي الإسلامي المكتوب بالعربية الفصحى. وفي ذلك انقطاع عن الإرث الحضاري والتاريخي لهذه الأمة".

وفي هذا الاتجاه يذهب الجهني بقوله: "تبقى العامية أقل خطراً إذا بقيت في حدود لغة الشارع (إن صح التعبير)، لكنها تصبح خطراً محدقاً بمستقبل الفصحى عندما تصبح مكتوبة أو مذاعة عبر وسائل الإعلام المختلفة، وهو الأمر الذي بلينا به حتى في صحفنا المحلية هنا في الجزيرة العربية مهد الفصحى ومنشأها! (الجهني، 2009م). ويرى معظم الدارسين لهذه القضية أن الخطر يكمن في حدود المسافة الفاصلة بين شعبي العامية والفصحى. فالمسافة بين العامية والفصحى في اللغات الأجنبية غالباً ما تتصف بالاعتدال فيما يتعلق بالبنية والتراكيب والقواعد ونظام الدلالة، وفي هذه المعادلة من التوازن تكون العامية ظلاً للفصحى، ولا يوجد ثمة تهديد للغة المعنية. وهذه هي الحالة التي يرصدها الباحثون في اللغة الإنجليزية والفرنسية.

وفي هذا الأمر يقول خليل كلفت "إن المسافة بين الفصحى والعامية، إن جاز القول، في الإنجليزية أقصر بما لا يقاس منها فيما بين الفصحى والعامية في العربية.

ففي الإنجليزية يسود النسق اللغوي - النحوي الواحد، وبالتالي الانسجام اللغوي، ووحدة اللغة بصرف النظر عن اختلافات اللهجات ومستويات الاستخدام على حين يوجد في قلب اللغة العربية نسقان نحويان متعارضان تماماً، مرحلتان نحويتان في تطور اللغات، وهذا هو الفارق الكيفي الذي يخلق ظاهرة الازدواج اللغوي عندنا" (كلفت، 2012م). وهنا تكمن الإشكالية الكبرى لعملية الصراع بين العامية والفصحى، وفي هذه الوضعية تكون العامية خطراً على الفصحى كما هي خطر على اللغة برمته. وذلك ناجم عن حدة التناقض والمسافة المتباعدة بينهما.

### التضافر بين العامية والفصحى

أخذت مسألة الازدواجية اللغوية طابعاً أيديولوجياً وشكلت مادة خصبة للصراع الأيديولوجي بين فريقين: أحدهما يدعو إلى نبذ الفصحى وتبني العامية، والآخر يدعو إلى تبني الفصحى ومحاربة العامية. وبين هذين الفريقين ظهرت دعوات إلى عقلنة العلاقة بين العامية والفصحى وتحديد ملامح وطبيعة العلاقة الوظيفية القائمة بينهما. ولكل فريق من هذه الفرق الثلاثة أسبابه ومنطلقاته الفكرية والأيديولوجية التي لا تخفى على أصحاب العلم والمعرفة.

ومما لا شك فيه أن الفريق الذي يدعو إلى محاربة الفصحى يتبنى نسقاً فكرياً تغريبياً معادياً للفكرة القومية ونزعاتها العروبية. أما أصحاب الفريق الذي يدعو إلى تبني الفصحى ونبذ العامية فيؤسسون لرؤيتهم من منطلق قومي أو إسلامي يعظم الفصحى وينحو إليها بوصفها قوة حضارية عربية أو إسلامية. أما أصحاب الاعتدال فغالباً ما يشكلون فئة من هؤلاء الذين اتخذوا العقلانية والموضوعية منهجاً أيديولوجياً لهم في الحياة والفكر دون أن يغلبوا الطابع الأيديولوجي على منظورهم اللغوي، وهكذا نجد أنصاراً للفصحى لا يحددون عنها، وأنصاراً للعامية لا يقبلون بغيرها، وبين هذين الاتجاهين نجد بعض المفكرين الذين يرون بضرورة الحضور الازدواجي للفصحى والعامية على أن تكون كل منهما في مجالها الطبيعي انطلاقاً من التسليم في كل الأحوال بأن الازدواج طبيعي بين الفصحى والعامية وأن أحدهما لا يستقيم بغير الآخر.

هذا ويعلن كثير من المفكرين ضرورة تحقيق التوازن والانسجام اللغوي بين العامية والفصحى، لأن هذا التوازن الخلاق يشكل طاقة كبرى في تجاوز الانشطارات الفكرية، وفي تحقيق الانسيابية اللسانية خارج دائرة التوتر والصراع الأيديولوجي بين الاتجاهات المتصلبة. وهذا يعني أنه لا بد من سيادة النسق اللغوي الواحد، وهذا عامل غائب في حالة العرب واللغة العربية على مرّ القرون بسبب الازدواج اللغوي طويل الأمد الذي جعل الاستثناء قاعدة، والذي يصل الآن في العصر الحديث إلى أقصى درجات التفاقم والاستفحال والخطورة. وضمن هذا السياق فإن العامية لا تشكل خطراً على الفصحى عندما تتم عقلنة هذه العلاقة في نسق إيجابي منظم، فالعلاقة المتوازنة بين شقي اللغة يمكن أن تكون منطلقاً لإثراء اللغة الفصحى وتأصيل قدرتها الحضارية. والعامية وفقاً لهذا التصور لا تضير الفصحى ولا تنتقص من قيمتها أو أهميتها ووظيفتها. ومن اللافت أن المركز العربي للتعريب في الجزائر يتبنى هذا التوجه، إذ يرى القائمون على المركز أنه "لا يوجد تنافر بين اللغة العاملة الفصيحة وبين اللغات العامية الشعبية التي تمثل عامل إثراء وغنى، إذا عرف اللغويون وعلماء النحو والبيان كيف يستثمرون هذه المادة الخام لإدخالها في النسيج الحي للغة" (المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، 2010، 23م). فالعاميات المتداولة في مجتمعاتنا يجب أن نهذبها ونقاربها لا كظاهرة مرضية يجب القضاء عليها، ولكن كواقع يمكن الارتقاء به، من خلال تقريب العربية وتحبيبها للناشئة وللناس بواسطة برامج مدروسة (المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، 2010م، 24). وبناء على هذه الرؤية يجب أن تقوم العلاقة بين العامية والفصحى على التوازن والتكامل والتفاعل، فالعامية ترشد الفصحى والفصحى تغتني بالعامية وتستلهم مصادرها، وكذلك فإن العامية تتوازن بنويًا وتمنح أصلاتها من الفصحى. وهذه العلاقة غالباً ما تشكل علاقة توازن خلاق بين المستويين، وقد أدت تاريخياً إلى نوع من التخاصب اللغوي الذي لطالما أثمر وأغنى اللغة في شمولها. وعلى هذا الأساس يدعو كثير من الباحثين اليوم إلى وضع كل واحدة منهما (العربية والفصحى) في إطارها الصحيح في حياتنا، وذلك عن طريق تنظيم العلاقة بهما بحيث لا تطغى أية واحدة منهما على الأخرى، أو تأخذ مكانها السيادي في حياتنا.

وفي دائرة التخاصب بين العامية والفصحى يرى بعض المفكرين أنه يمكن تعميم الفصحى بتفصيح العامة أو تفصيح العامية بتعميم الفصحى. وهذا يعني العمل

على الارتقاء باللغة العامية وتقعيدها على منوال الفصحى، أو إغراق العامية بقوة الفصحى إلى الحد الذي تتطابقان فيه من حيث الجمال والقوة والقدرة.

ويبين أهل العلم والفصاحة أنه إذا تعرضت العلاقة بين الفصحى والعامية للخلل، فإن ذلك قد يؤدي إلى خلل في بنية اللغة ككل، وهو ما قد يؤدي إلى طغيان العامية وانحسار الفصحى. وهذا الطغيان يؤدي إلى تدمير اللغة ذاتها وضياح مكونات هويتها ووجودها. وغالباً ما تكون هذه العلاقة نتاجاً حياً لطبيعة التخلف الثقافي والاجتماعي الذي يعانيه مجتمع ما بعينه.

وتبين الدراسات الجارية اليوم أن الفارق بين العامية والفصحى يجب ألا يكون شديد الاتساع والعمق في الحالة الطبيعية، ويجب ألا يكون ذاك التباين بين المستويين حائلاً دون الفهم. وعندما يصل الفرق بين العامية والفصحى إلى حد امتناع الفهم بين أبناء الأمة الواحدة فهذا يعني حالة مرضية، وأن اللغة قد تعاني حالة انحسار وتراجع ربما يصل إلى حد الانقراض. وضمن هذه المقاربة يلاحظ الباحثون اللغويون أن الفارق بين اللهجات الإنجليزية وبين اللغة الإنجليزية الفصيحة، مثلاً، هو فارق ضئيل جداً لا يحول دون الفهم، على حين أن الفارق بين اللغة العربية الفصحى ولهجاتها فارق كبير جداً.

وفي هذا المقام يبين لنا علي القاسمي في بحث له حول انحسار اللغة العربية وتراجعها أن اللغات الأجنبية اعتمدت سياسات حكيمة من أجل المحافظة على لغاتها من تغول العامية، وتقوم هذه السياسات على استخدام اللغة الفصيحة المشتركة في التعليم والإعلام والإدارة والتجارة وجميع مجالات الحياة، فيعتاد المواطنون على سماعها وقراءتها، ويتمكنون منها وتقترب لغتهم الدارجة من اللغة الفصيحة (القاسمي، 2007م). فاللغة العربية الفصيحة نتاج حضاري تشكل عبر فعاليات حضارية ممتدة لقرون خلت، وهي تشكل عصاره تطور تاريخي ثقافي جمالي، وإنه لمن الجنون بمكان أن يتخلى العرب عن لغتهم التي تميزت بعنفوانها ورقبيتها عبر التاريخ والانتكاس إلى وضعية لسانية تفتقر إلى مقومات اللغة السليمة فكرياً وجمالياً ومعرفياً. فاللغة العامية لن تفي بأغراض الفصحى أبداً، وتحتاج فيما لو تطورت إلى قرون مديدة من الزمن لتصل إلى ما حققه صنوها الفصيح من حضارة لسانية. ومن

هنا فإن تفصيح العامية وتطويرها في ضوء الفصحى ووفقاً لجمالياتها النحوية والأدبية خير وسيلة لتطوير اللغة العربية والارتقاء بها وبقدرتها على التجاوب مع معطيات الواقع والعصر والحضارة. وقد أدرك الرخاوي هذه الحقيقة عندما قال: "إن ما ينبغي علينا أن نبذل فيه قصارى الجهد هو العمل على تحديث الجاهز والممكن والعام، لعلنا نلحق بالركب، بدلاً من الجدل حول تجهيز الفروع الوليدة (اللهجات العامية) التي قد نجد مبرراً مستقبلياً لتجهيزها بما يناسب فيما بعد" (الرخاوي، 2003م). من المؤكد أن الجاهز والممكن والمتطور الذي يقصده الرخاوي هو اللغة العربية الفصحى، وأن العامية يجب أن تبقى في رعاية الأصل الفصحى، وعلى الفصحى أن يهتدي بواقع الحياة الذي يمثل عصب اللغة العامية، أو المحكية التي يجب أن تشكل معينه في رحلة البحث عن الهوية والفكر والحضارة.

## الخلاصة

لا بد للغة العربية أن تخلع رداءها المقدس كي ترى الشمس وتلامس الهواء وتختمر في بوتقة الواقع بما ينطوي عليه من خصوبة فكر وثراء حياة. ويجب على العامية أيضاً أن تخرج من أوكارها ومن ظلام الأرض لتكون على موعد مع الفصحى في ضوء الشمس وحرارة الحياة. فقدر اللغة العربية أن تطير وترفرف بجناحيها في ميادين المعرفة، ثم تحلق في ضوء الشمس وعلى جناح الرياح كقوة حضارية تدفع بالثقافة العربية إلى قدر النهضة والمعرفة العلمية وأحضان المستقبل العربي الواعد.

إن اللغة العربية كيان حي متطور متدفق يجب أن تعارك الحياة، وأن تعترك فيها قوة نهضوية حقيقية لأهلها وأبنائها. ويجب على أهل اللغة العربية إخراج الفصحى من صومعة التاريخ ومن متاحف الزمن المغلقة. وعلى أبناء الأمة أن ينفضوا عنها غبار الزمن الماضي، ويحرروها من صداد التقديس والحرمان. فاللغة لا تكون قوية في غير المغامرة اللسانية التي تدفع بها إلى التدفق الإبداعي الخلاق. وكما يقول المثل: "البحر الهادئ لا يصنع بحاراً ماهراً". وتلك هي حال العربية تحتاج إلى المغامرة في عصر لا يعرف إلا ومضات التغيير والتجديد والتبدل.

وقد حان الوقت الذي يتوجب فيه على الباحثين العرب أن يغمدوا سيوفهم ويضعوا أسننتهم الأيديولوجية، وأن يفكروا بعيداً عن صولة الأيديولوجيا وذهنية

الفتولة والصراع. وعلهم أفضاً أن يحطمو أصفامهم الأيدولوجية وىكسروا ذهنية الانكسار تحت وقع الأيدولوجيات العقيمة. فاللغة العربية - حالها كحال الثقافة - تحتاج إلى رؤية عقلانية موضوعية متحررة من أثقال الماضي بنماذجه المطلقة المغلقة. فاللغة حياة وعراك وصراع، وسنن الحياة تستوجب التغير والتجدد، وما لا يتجدد يذوي ويموت ويتلاشى حتى وإن كانت اللغة العربية لغة الدين والإيمان والهوية.

حان الزمن لكي نأخذ بمعطيات الواقع ونحترم متغيراته ونأخذ بأسباب النظرة العلمية إلى التاريخ والثقافة والحضارة. فاللغة العربية تحتاج إلى حركة تجديد، والعامية إلى تطوير. والجميع يدرك اليوم أن تقليص المسافة بين الفصحى والعامية يشكل ضرورة حضارية لا مندوحة عنها أبداً. فالحل ليس في الهجوم والتعنّت والمغالبة والصراع، بل في رؤية علمية عقلانية عن طبيعة اللغة ومشكلاتها. وهنا يجب علينا أن نأخذ بتاريخ تطور اللغات والتجارب العالمية في انتشارها والبحث في عناصر قوتها وعظمتها.

وإنني لعلى يقين أن كل أشكال الهجوم على الفصحى تارة، والعامية تارة أخرى لم يكن ولن يكون سوى تداعيات وقت ضائع على دروب الإصلاح اللساني، وحن الوقت لتعويض ما فات من زمن التغرب والتهتك والصراع الذي يدل على عقم حضاري يتميز بعمقه وشموله. وعلينا قبل أن نهاجم دعاة العامية أن ننظر في أسبابهم الموضوعية، وأن نتفهمها كذلك، وعلينا ألا نغض الطرف عن الظروف والعوامل التي جعلت من دعاة الفصحى يقعون في دائرة التمجيد والتقدّيس لنماذجها التاريخية القديمة. فاللغة صناعة إبداعية، والشعوب هي التي تصنع اللسان، ومن ينظر في أصول التكوينات اللسانية للغة الإنجليزية سيجد أنها أكثر التكوينات هجانة، ومع ذلك فاللغة الإنجليزية تلتهم العالم بقوتها وطاقاتها وانتشارها واتساعها. وهذا ليس لمزايا في اللغة الإنجليزية ذاتها، بل لأن أهلها أصابوا التقدم العلمي ونالوا كل ضروب القوة الاقتصادية والعسكرية.

إن الضعف اللغوي الذي تشهده العربية اليوم ناجم عن ضعف في قوة العرب وفي إمكاناتهم التاريخية. ومن ثم فإن انحسار العربية وتراجعها مؤشر على تراجع

الفعالية الحضارية للعرب. ولن تكون اللغة العربية قوية أبداً ما لم تجد القوة أسبابها في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية. ولو كان العرب أقوىاء لبلغت العربية أبراج السماء في مستوى حضارتها وتقدمها.

نعم نريد القول مع القائلين إن العربية تحتاج اليوم إلى إصلاح شامل يخرجها من دوائر جمودها وانغلاقها، تحتاج إلى إصلاح يحطم جدران الممانعة ضد التجديد والابتكار. وهكذا فعل الإنجليز والأمريكان الذي طوروا لغتهم وطوعوها لمتطلبات العصر والحداثة فكان من شأنها ما كان من قوة وانطلاق وعزيمة.

نحتاج اليوم إلى إصلاح تربوي تتقاطع فيه السياسة مع الاقتصاد، والثقافة مع المعرفة العلمية والحاضر مع الماضي من أجل إخراج اللغة العربية من عوامل انتكاستها وضعفها وخمولها. ويجب علينا في هذا الإصلاح أن نستفيد من كل التجارب العالمية القديمة والجديدة ومنها التجربة اليهودية في إحياء العبرية التي أصبحت لغة علم ومعرفة بين عشية وضحاها، وعلينا أيضاً أن نضخ الدماء الجديدة في الجسد العملاق للغة العربية لتكون شاهداً على العصر وفاعلاً فيه ومنتجاً للمعرفة العلمية في إطار نهضة فكرية وثقافية شاملة.

ليس العيب في لغتنا بل العيب والضعف في أهلها الذين هجروا البحث العلمي وغادروا محراب الحضارة الفكرية منذ أمد بعيد. والعيب كامن في صراعاتنا التي تبدو مخجلة وسخيفة، وفي أنساقنا الأيديولوجية القاتلة كما هو العيب في تمارسنا وراء حدود الماضي والنماذج القديمة التي لا يمكنها أن توفر أمناً أو استقراراً، أو تقدم لنا حصانة في زمن الومضات والتموجات الحضارية التي تهتك النماذج وتدك الحصون.



## خاتمة الكتاب

"لولم تكن اللغة العربية لغة مدنية و عمران، ولولم تكن لغة متسعة الآفاق غنية بالمفردات و التراكيب، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان و آداب فارس و الهند، ولألزمتمهم الحاجة إلى تلك العلوم تعليم تلك اللغات، ولو فعلوا لأصبحوا عرباً يعقول فارسية و أدمغة يونانية، ولو وقع ذلك لتغير مجرى التاريخ الإسلامي برُمته".

(العلامة الجزائري الشيخ محمد البشير الإبراهيمي)

حاولنا في دائرة هذه الدراسة الواسعة حول إشكاليات العربية والتعريب أن نتحرى أوضاع اللغة العربية، ولاسيما في مختلف أوجه ومدارات الحياة الأكاديمية في التعليم العالي والجامعي في العالم العربي. لقد أبانت هذه الدراسة مجموعة كبيرة من القضايا والإشكاليات التي تواجه العربية دوراً ومصيراً. لقد طرحنا مجموعة من الأسئلة الموضوعية الملحة واستخدمنا مختلف الأدوات والمناهج والإجراءات الإحصائية في معالجة هذه القضية وتحليل معطياتها واتجاهاتها..

وقد توخينا خلال رحلتنا الطويلة هذه في رحاب هذا العمل الموضوعية ما استطعنا إليها سبيلاً، وضمن هذا التوجه أغلقنا الأبواب على منهجية التوجهات الذاتية التي غالباً ما تضعنا ضمن فعالية التمجيد والتهويل والتعظيم باللغة العربية. حاولنا عبر مختلف محطات هذا العمل أن ننأى عن المشاعر الذاتية التي تتمثل في العلاقة الوجدانية مع اللغة العربية التي تمثل جوهر وجودنا وهويتنا وابتعدنا قدر الإمكان عن التعظيم والتقديس الذي نراه غالباً في مختلف الأعمال التي تفقد كثيراً نتيجة هذا التمجيد بعضاً من تآلقها وأهميتها، وقد خرجنا بنتائج توقعناها منذ البداية، وقد تجلّت في تساؤلاتنا وافتراضاتنا وهواجسنا. وليس غريباً، على أحد اليوم، أن يدرك أو أن يعرف درجة الخطر التي تواجه العربية في مسارها ومآلها.

فالعربية، يقيناً، تواجه تحديات كبيرة أكثر مما يدور في خلد الغيورين عليها الخائفين على مصيرها، وهذا لا يفوت نابهة العارفين وذكاء الدارسين.

وإذا كان لهذا العمل من أهمية تذكر فإن هذه الأهمية تنبع من كونه يأتي على مقاييس الفعالية المنهجية التي تضع الأمور في نصابها وترسمها في حركتها المنهجية وفق قانونيات بحثية تتسم بالوضوح والموضوعية. وضمن هذا التصور المنهجي حاولنا أن نحقق في هذه الدراسة هذا التكامل المنهجي ما بين النظرية والواقع ضمن فعالية من التنظيم المنهجي من أجل تقديم صورة متكاملة لمختلف تجليات هذه القضية وملابساتها وإشكالياتها.

لقد أدركنا منذ البداية صعوبة هذه المهمة العلمية ودقتها وما يحف بها من صعوبات وتحديات. ولكننا وجدنا في أنفسنا بعض العزم الذي وظفناه في عملية استجلاء واستقصاء الأبعاد الشائكة والمعقدة لهذه القضية. وفي عمق هذه الفعالية على مدار هذا العمل قدمنا الإجابات المناسبة للأسئلة التي طرحناها، واختبرنا الفرضيات التي شكلناها، وبين هذا وذاك ارتسمت هذه الصورة التراجمية للغة العربية في مختلف جوانب هذا العمل وفي تنوع تجلياته الأكاديمية.

والخلاصة الكبرى لهذه الدراسة أن العربية في انحسار وفي حالة تراجع وانكسار، وهي أشبه بجزيرة مائية تتبخر مياهاً في الأفاق تحت أشعة الشمس الحارقة، وهي في انحسارها وتقلصها تأخذ طابعاً كلياً فهي تذوي وتراجع أطرافها من مختلف الاتجاهات والمدارات تحت مطارق عدد كبير من المآزق والأزمات والتحديات. وضمن هذه الصورة فإنه يتوجب علينا أن نقرع أجراس الخطر وأن ندق نواقيسه، فاللغة العربية في خطر داهم، وهذا الخطر ينمو ويكبر في كل يوم وليلة. والعرب، جميع العرب، أساتذة ومعلمون وساسة وكتاب وطلاب ومفكرون مطالبون اليوم أن يمدوا يدهم لإنقاذ ما تبقى من النور المضيء لهذه اللغة وحمايتها، والغيرة عليها قبل أن تندحر وتندثر وتصبح من اللغات المنسية في عالم الأسنة واللغات الحية.

# المراجع

## References

### أولاً: المراجع العربية

- إبراهيم، أحمد عاشور (2007م). لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ.. الفصحى والعامية، منتديات شبكة الساهر:  
<http://www.al-saher.net/vb/al-saher59910.html>
- ابن البراء، يحيى (2004م). اللغة والهوية وأفاق التنمية، سلطنة عمان: مجلة التسامح العدد الخامس. (ص: 11-39)
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1955م)، لسان العرب، بيروت، دار صادر ودار بيروت.
- أبيض، ملكة (1982م). التربية المقارنة، دمشق: المطبعة التعاونية.
- أحمد، محمد عبد القادر (1991م). اللغة العربية أصلها وأهميتها ووظائفها وتعليمها لطفل المرحلة الابتدائية، مجلة التربية، س 20، ع 96، مارس/ آذار، قطر: اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم. (صص 235 - 251)
- الأسد، ناصر الدين (2004م). مقدمة لدراسة اللغة وهوية الأمة، مجلة ثقافات، العدد 11 و 12 (ص 16 - 22)
- الأعشير، عبد الله آيت (2014م). اللغة العربية الفصحى، نظرات في قوانين تطورها وبلى المهجور من ألفاظها، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطاع الشؤون الثقافية، دولة الكويت.
- الأنصاري، محمد جابر (1988م). التعريب الجامعي وحتمية المقاربة الميدانية أربعة اعتبارات أساسية لحسمها، رسالة الخليج العربي، س 8، ع 24. (ص: 151 - 189)

- الترابي، دفع عبد الله (2010م). علمية اللغة العربية وكفايتها لنقل العلوم ونشرها. ضمن: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، والمجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر (2010م). الندوة الثامنة لاستخدام اللغة العربية في التعليم العالي في الوطن العربي، الجزائر من 11-13 أكتوبر/ تشرين أول.
- الجرجاني، عبد القاهر (2004م) كتاب دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 5.
- الجهني، محمد فالق (2009م). اللغة العربية: عقبات محلية في طريق العالمية، مجلة المعرفة، العدد 65، سبتمبر / أيلول
- ["http://www.almarefh.org"](http://www.almarefh.org).
- الجوهري: الصحاح، 1/191 - ابن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص470 - الزبيدي: التاج، 1/410 - مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، 2/647.
- الحمود، نوال (2005م). واقع التعريب في العالم العربي التعريب مسيرة، ضمن: ندوة اللغات في عصر العولمة جامعة الملك خالد (أبها) 11 - 13/1/1426هـ
- الحميد، عبد العزيز (2008م). واقع اللغة العربية ومستقبلها، مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، العدد الأول - جمادى الآخرة 1429هـ.
- <https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/1817>
- الدجاني، أحمد صدقي (2000م). الفصحى والعامية: العامية اليافاوية. تأملات وتساؤلات، مجلة مجمع اللغة العربية، نوفمبر/ تشرين الثاني
- <https://www.facebook.com/jaffacuisine/photos/a.504896822913721.1073741844.141844452552295/504897029580367/>
- الرخاوي، يحيى (2003م). اللغة العربية وتشكيل الوعي القومي، شبكة العلوم النفسية العربية:
- <http://www.arabpsynet.com/Archives/VP/VP.RakkaouiArabLangage.htm>
- الزغلول، محمد راجي (2000م) ازداوجية اللغة: طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم، ضمن مجموعة مؤلفين: اللغة والتعليم، الكتاب السنوي الثاني، - بيروت: الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية.
- <https://sites.google.com/site/amlabofaris/5>

- السارة، قاسم طه (1989م)، التعريب جهودٌ وأفاق، دمشق - بيروت: دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع.
- السباعي، زهير وعثمان، ماجد (1996م). دفاع عن تعليم الطب باللغة العربية. ورقة علمية تم تقديمها في مؤتمر تعريب التعليم الطبي بدولة الكويت، في أبريل <http://www.acmls.org/Conf/conf14.htm>
- السعدي، عثمان (1984م). كيف نخرج من المأزق الثقافي، مجلة العربي، الكويت، عدد 303، فبراير. (ص:110 - 114)
- السعدي، عثمان (1985م). العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي، ضمن أعمال مؤتمر قسم أصول التربية بجامعة الكويت، الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي مايو/أيار.
- السيد، محمود أحمد (1988م). في طرائق تدريس اللغة العربية، دمشق: مطبعة جامعة دمشق.
- السيد، محمود أحمد (1997م). إشكالية تعريب التعليم العالي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 81، نوفمبر/ تشرين الثاني. (ص:239 - 261).
- الشراح، يعقوب أحمد (1998م). التعريب في مجال التعليم العام والعالي بدولة الكويت، الكويت: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.
- الضامن، حاتم صالح (1989م). علم اللغة، بغداد: جامعة بغداد، كلية الآداب.
- الضبيبي، أحمد (2009م) إن تدرس بالأجنبية معناه أن تتحول إلى (خواجة) غير معترف به (مقابلة مع أحمد الضبيبي) مجلة المعرفة، العدد 65، أغسطس/ آب (ص:112 - 138).
- العاشوري، عبد العزيز (1981م). اللغة العربية والهوية الثقافية وتجارب التعريب"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد، 27. مايو/ إيار، (ص:6 - 23)
- العايد، سليمان بن إبراهيم (1996م). علاقة اللغة المنطوقة باللغة المكتوبة في اللغة العربية، محاضرة أقيمت في نادي مكة الثقافي الأدبي بتاريخ 1417/10/1هـ.

- العجمي، فالح شبيب (2005م). دور اللغة العربية المعاصرة في تشكيل الفكر العربي الحديث"، مجلة حوار العرب، المجلد الأول / العدد 5، أبريل/ نيسان (ص:29 - 42).

<http://m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=21014>

- العلمي، إدريس بن الحسن (2008م) شبكة صوت العربية، يوليو.
- الفهري، عبد القادر الفاسي (2013م). السياسة اللغوية في البلاد العربية، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- القاسمي، علي (2007م). انقراض اللغة العربية خلال القرن الحالي، الشركاء، مارس/ آذار.

["http://www.voltairenet.org/article145997.html"](http://www.voltairenet.org/article145997.html)

- الكور، عبد الجليل (2013م) القرآن بين "الفُصحى" و"الفُسْحَى"!، هسبرس، الاثنين 02 دجنبر 2013 - 12:40.

["https://www.hespress.com/writers/95310.html"](https://www.hespress.com/writers/95310.html)

- المجلس الأعلى للغة العربية (2008م). الفصحى وعاميتها: لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب. أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية (2007م) المنعقدة يومي 4-5 يونيو/ حزيران 2007م. الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
- المجلس الدولي للغة العربية (2012م). وثيقة بيروت - اللغة العربية في خطر: الجميع شركاء في حمايتها، ضمن أعمال المؤتمر الدولي السنوي للمجلس الدولي للغة العربية الذي عقد بالتعاون مع اليونسكو في العاصمة اللبنانية، بيروت في الفترة من 19 إلى 23 مارس 2012م.
- المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، والمجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر (2010م). الندوة الثامنة لاستخدام اللغة العربية في التعليم العالي في الوطن العربي، الجزائر من 11-13 أكتوبر/ تشرين أول.
- المرهون، عبد الجليل زيد (2012م). التشكل التاريخي للهجات الخليجية، المصدر المعرفة، موقع الجزيرة

<http://www.aljazeera.net/analysis/pages/c1885e38-c1a8-4eb3-8006-bb853066534e#0>

- المعهد العالمي للفكر الإسلامي (1990م). المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، الطبعة الأولى، القاهرة.
- الهواري، محمد (2005م) التعريب في اللغة العربية في ضوء تجربة العبرنة في اللغة العبرية، ضمن ندوة اللغات في عصر العولمة... رؤية مستقبلية التي عقدت في جامعة الملك خالد بأبها خلال الفترة 11 - 13 / 1426هـ الموافق 20 - 22 فبراير.
- اليافي، عبد الكريم (1984م). دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتية العربية، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، العدد: 13 و14 - السنة الرابعة - محرم وربيع الثاني 1404 تشرين / أكتوبر الأول ويناير كانون الثاني 1984م.  
<https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/1917>
- أمعشوشو، فريد محمد (2011م) التغريب. مفهوماً وواقعاً، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 553، أغسطس.  
<http://alwaei.gov.kw/volumes/553/studies/Pages/taghreeb.aspx>
- بركات، مصطفى علي السيد (2003م). اتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة المنوفية نحو تعريب تعليم العلوم والتقنية كمدخل لمواجهة التحديات المعاصرة: العولمة وتهديد الهوية القومية - دراسة ميدانية، مقدمة لمؤتمر العلمي الخامس عشر (مناهج التعليم والإعداد للحياة المعاصرة) - مصر، المجلد الثاني (ص: 578 - 610).  
<https://library.ajman.ac.ae/eds/detail?db=edseds&an=edseds.39741&isbn=edseds>
- بركات، هاني محمد يونس (2003م). الاستشراق والتربية، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- بركة، بسام (2005م). اللغة العربية وتحديات العصر الحديث، مجلة حوار العرب، س1، ع 5، ابريل نيسان. (ص 23 - 33).
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (2014م)، تقرير المعرفة العربي للعام (2014م): الشباب وتوطين المعرفة، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات العربية المتحدة، دبي، دار الغرير للطباعة والنشر، (2014م).

- بغول، يوسف (2004م)، مداخلة بعنوان: ما اللغة؟ موقع وقد ورد النص في مقالة خالد يونس خالد، التحقق من آراء المستشرق البريطاني مارجوليوث في اللغة العربية والشعر الجاهلي، نشر على موقع بنت الرافدين: [https://www.brob.org/bohoth/makalat\\_b04/makalat552.htm](https://www.brob.org/bohoth/makalat_b04/makalat552.htm)  
[www.arabicwata.com/forums/24/5/2004](http://www.arabicwata.com/forums/24/5/2004)
- بلاو، جاشوا (2000م). نشأة الازدواجية اللغوية في العربية: دراسة في أصول اللهجات العربية الحديثة، في دراسات في تأريخ اللغة العربية، ترجمة حمزة بن قبالان المزيني، الرياض: دار الفيصل.
- بلعيد، صالح (2005م). اللغة العربية بين الواقع والعملة، مجلة اللغة العربية، الجزائر، مجلس اللغة العربية، العدد 8، يوليو. (ص 1-17).  
[http://www.webreview.dz/IMG/pdf/\\_5-4.pdf](http://www.webreview.dz/IMG/pdf/_5-4.pdf)
- بن تنباك، مرزوق بن صنيطان (2005م). اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين، في المؤسسات التعليمية في المملكة العربية السعودية، الواقع والتحديات واستشراف المستقبل، محاضرة أقيمت في جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية بتاريخ 17 مايو/أيار.
- بن نعمان، أحمد (1998م). التعريب بين المبدأ والتطبيق، ط 2، الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع.
- حجازي، فهمي (1997م). مدخل إلى علم اللغة، القاهرة: دار قباء.
- حسن، عزت (2010م). هل الفصحى ضد التقدم؟ العامية تغزو ساحات كانت مقصورة على الفصحى، شبكة منتديات الوطن الموريتانية: <http://www.alwatanrim.net/vb/showthread.php?t=7424>
- حسين، محمد محمد (1981م). فقه اللغة بين الأصالة والتغريب، مجلة كلية اللغة العربية بالرياض، العدد 11 (ص: 175 - 192)  
<http://shamela.ws/index.php/author/2602>
- حمدان، إبراهيم (2004م). عولة اللغة أم لغة العولة، ندوة العولة وأولويات التربية، الرياض: جامعة الملك سعود.

- خريوش، عبد الرؤوف (1997م). تعريب التعليم الجامعي وأهم المشكلات التي تواجهه، مجلة اللسان العربي، العدد 50، دورية نصف سنوية تصدر عن مكتب تنسيق التعريب - المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (ص:63 - 72).
- خلوصي، صفاء (1982م). تعريب الجامعات إحياء لكيان أكاديمي عربي أصيل، دمشق مطبعة الجامعة، 1982م دمشق.
- خير الله، أسامة (2005م). في الهجمة على لغتنا العربية الجميلة، مجلة حوار العرب، س1، ع 5، أبريل/ نيسان. (ص:88 - 106).
- سروري، حبيب عبد الرب (2009م) اللغة العربية في مهبّ العولة.. مشروع إنهاض.  
[http://my-last-articles-and-texts.blogspot.com/2011/01/blog\\_post\\_5354.html](http://my-last-articles-and-texts.blogspot.com/2011/01/blog_post_5354.html)
- شاكر، محمود محمد (1964م) أباطيل وأسما، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- شريف، حسين (1993م). التحدي الياباني في التسعينيات دراسة تحليلية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في اليابان، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- صابر، محي الدين (1982م). قضايا الثقافة العربية المعاصرة، تونس: الدار العربية للكتاب.
- عبد الرحيم، أحمد كامل (1999م)، قضية المصطلح العلمي الأجنبي والتعريب"، بحث منشور في: ندوة تعميم التعريب وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية، المعقودة في الفترة من 2 - 3 جمادى الآخرة 1419هـ، الموافق 22 - 23 ديسمبر 1998م، الرياض، جامعة الملك سعود (ص:561 - 567).
- عبد العزيز، محمد حسن (1992م). الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الفكر العربي. 1413هـ/ 1992م.
- عبد الهادي، عبد الرحمن (1993م). الذهنية العربية: منظور لغوي، دراسات عربية، عدد 3/4، كانون الثاني/شباط (ص:11 - 30).

- عبد الواحد، علي (1951م). اللغة والمجتمع، القاهرة: دار الكتاب العربية.
- علي، نبيل (2001م). الثقافة العربية وعصر المعلومات، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة.
- عيسى، أحمد بك (2001م). التهذيب في أصول التعريب، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الآفاق العربية.
- غنيم، كارم السيد (1989م)، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع.
- فرج، السيد أحمد (1993م). تعريب التعليم الجامعي ضرورة علمية إسلامية، القاهرة: دار الصحة للنشر والتوزيع.
- قاسم، رياض (1994م). "قومية الفصحى والمجتمع: تحديات الحاضر والمستقبل"، بيروت، مجلة المستقبل العربي، العدد 185 يوليو/تموز. (ص: 212 - 224).
- كلفت، خليل (2012م). الازدواج في اللغة العربية بين الفصحى والعامية، الحوار المتدني، العدد:  
[www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=305504](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=305504). 3712
- كولاس، فلوريان (2000م). اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، دولة الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- محجوب، عباس (2012م). التّعليم باللّغة العربيّة في التّعليم الجامعي، بحث منشور في موسوعة دهشة الإلكترونية،  
<http://www.dahsha.com/old/viewarticle.php?id=28917>
- محمود، إبراهيم كايد (2009م) التعريب، ماهيته، أهميته، معوقات تحقيقه، الثقافة والتنمية، العدد 31، يوليو / تموز (ص: 125 - 138).
- ميلودي، حبيب، (2010م). التعريب وتحديات مجتمع المعرفة، ضمن: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، والمجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر. الندوة الثامنة لاستخدام اللغة العربية في التعليم العالي في الوطن العربي، الجزائر من 11-13 أكتوبر/ تشرين أول.

- هدارة، محمد مصطفى (1994م). التغريب وأثره في الشعر العربي الحديث، مجلة «الأدب الإسلامي»، المجلد الأول، ع.2 (ص:5 - 22).
- وطفة، علي أسعد (2011م). علم الاجتماع التربوي، دولة الكويت: مطبعة الفيصل.
- وطفة، علي أسعد؛ والهمامي، حمد بن يوسف؛ والشبيدي، محمد بن خلفانا؛ ومرزوق، أحمد مرزوق (2003م). وثيقة الأهداف العامة للتربية وأهداف المراحل الدراسية والأسس العامة لبناء المناهج الدراسية في الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- وعلي، بوجمعة (2017م). الدعوة إلى العامية في الوطن العربي: ثبات الأهداف وتحول الأساليب، مجلة المستقبل العربي، العدد 466، كانون/ ديسمبر الأول.
- يعقوب، إميل بديع (1982م). فقه اللغة وخصائص العربية، بيروت: دار العلم للملايين.

## ثانياً : المراجع الأجنبية

- De Saussure, F. (1968) cours de linguistique général, Paris: Payot.
- Grawitz, Madeline (1984). Méthodes des Sciences sociales, Paris: Dalloz.
- Oxford University(1994). Oxford advanced learner's dictionary



# إصدارات المركز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحية أولاً : سلسلة الثقافة الصحية والأعراض المعدية

- 1 - دليل الأطباء العرب (1) إعداد: المركز
- 2 - التنمية الصحية (2) تأليف: د. رمسيس عبد العليم جمعة
- 3 - نظم وخدمات المعلومات الطبية (3) تأليف: د. شوقي سالم وآخرين
- 4 - السرطان المهني (4) تأليف: د. جاسم كاظم العجزان
- 5 - القانون وعلاج الأشخاص المعولين تأليف: د.ك. بورتر وآخرين
- على المخدرات والمسكرات ترجمة: المركز
- (دراسة مقارنة للقوانين السارية) (5)
- 6 - الدور العربي في منظمة الصحة العالمية (6) إعداد: الأمانة الفنية لمجلس وزراء الصحة العرب
- 7 - دليل قرارات المكتب التنفيذي إعداد: الأمانة الفنية لمجلس وزراء الصحة العرب
- لمجلس وزراء الصحة العرب (7)
- 8 - الموجز الإرشادي عن الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي (8) تأليف: د. نيكول ثين
- 9 - السرطان: أنواعه - أسبابه - تشخيصه ترجمة: د. إبراهيم القشلان
- طرق العلاج والوقاية منه (9) تأليف: د. عبد الفتاح عطا الله
- 10 - دليل المستشفيات والمراكز العلاجية إعداد: المركز
- في الوطن العربي (10)
- 11 - زرع الأعضاء بين الحاضر والمستقبل (11) تأليف: د. عبد الفتاح عطا الله
- 12 - الموجز الإرشادي عن الممارسة الطبية العامة (12) تأليف: كونراد. م. هاريس
- 13 - الموجز الإرشادي عن الطب المهني (13) ترجمة: د. عدنان تكريتي
- 14 - الموجز الإرشادي عن التاريخ المرضي تأليف: روبرت تيرنر
- والفحص السريري (15) ترجمة: د. إبراهيم الصياد
- 15 - الموجز الإرشادي عن التخدير (16) تأليف: د. ج.ن. لون
- 16 - الموجز الإرشادي عن أمراض العظام ترجمة: د. سامي حسين
- والكسور (17) تأليف: ت. دكوورت
- ترجمة: د. محمد سالم

- 17 - الموجز الإرشادي عن الغدد الصماء (18) تأليف: د. ر.ف.فلنتشر  
ترجمة: د.نصر الدين محمود
- 18 - دليل طريقة التصوير الشعاعي (19) تأليف: د. ت. هولم وآخرين  
ترجمة: المركز ومنظمة الصحة العالمية
- 19 - دليل الممارس العام لقراءة الصور الشعاعية (20) تحرير: د. ب.م.س بالمر وآخرين  
ترجمة: المركز ومنظمة الصحة العالمية
- 20 - التسمية الدولية للأمراض (مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية) المجلد 2 الجزء 3 الأمراض المعدية (22) ترجمة: المركز ومنظمة الصحة العالمية
- 21 - الداء السكري لدى الطفل (23) تأليف: د. مصطفى خياطي  
ترجمة: د. مروان القنواطي
- 22 - الأدوية النفسانية التأثير: تحسين ممارسات الوصف (24) تحرير: د. عبد الحميد قدس و د. عنایت خان
- 23 - التعليم الصحي المستمر للعاملين في الحقل الصحي : دليل ورشة العمل (25) تحرير: د. ف.ر.أ بات ود. أ. ميخيا  
ترجمة: المركز ومنظمة الصحة العالمية
- 24 - التخدير في مستشفى المنطقة (26) تأليف: د. مايكل ب. دويسون  
ترجمة: د. برهان العابد
- 25 - الموجز الإرشادي عن الطب الشرعي (27) مراجعة: د. هيثم الخياط  
تأليف: د. ج.جي
- 26 - الطب التقليدي والرعاية الصحية (28) ترجمة: د. عاطف بدوي  
تأليف: د. روبرت ه. باترمان وآخرين
- 27 - أدوية الأطفال (29) ترجمة: د. نزيه الحكيم  
مراجعة: أ. عدنان يازجي
- 28 - الموجز الإرشادي عن أمراض العين (30) تأليف: د. ن.د. بارنز وآخرين  
ترجمة: د. لبيبة الخردجي
- 29 - التشخيص الجراحي (31) مراجعة: د. هيثم الخياط  
تأليف: د. ب.د. تريفر - روبر  
ترجمة: د. عبدالرزاق السامرائي  
تأليف: د. محمد عبد اللطيف إبراهيم

- 30 - تقنية المعلومات الصحية (واقع واستخدامات تقنية واتصالات المعلومات البعيدة في المجالات الصحية) (32) ترجمة: د. شوقي سالم
- 31 - الموجز الإرشادي عن طب التوليد (33) تأليف: د. جفري شامبر لين  
ترجمة: د. حافظ والي
- 32 - تدريس الإحصاء الصحي (عشرون مخططاً تمهيدياً لدروس وحلقات دراسية) (34) تحرير: س.ك. لوانجا وتشو - يوك تي  
ترجمة: د. عصمت إبراهيم حمود
- 33 - الموجز الإرشادي عن أمراض الأنف والأذن والحنجرة (35) مراجعة: د. عبد المنعم محمد علي  
تأليف: د. ب.د. بول  
ترجمة: د. زهير عبد الوهاب
- 34 - علم الأجنة السريري (37) تأليف: د. ريتشارد سنل  
ترجمة: د. طليح بشور
- 35 - التشريح السريري (38) تأليف: د. ريتشارد سنل  
ترجمة: د. محمد أحمد سليمان
- 36 - طب الاسنان الجنائي (39) تأليف: د. صاحب القطان  
تأليف: د. أحمد الجمل و د. عبد اللطيف صيام
- 37 - أطلس أمراض العين في الدول العربية سلسلة الأطالس الطبية (40)
- 38 - الموجز الإرشادي عن أمراض النساء (41) تأليف: جوزفين بارنز  
ترجمة: د. حافظ والي
- 39 - التسمية التشريحية (قاموس تشريح) (42) ترجمة: د. حافظ والي
- 40 - الموجز الإرشادي عن توازن السوائل والكهارل (43) تأليف: د. شيبلا وبللاتس  
ترجمة: د. حسن العوضي
- 41 - الموجز الإرشادي عن المسالك البولية (44) تأليف: د. جون بلاندي  
ترجمة: د. محيي الدين صدقي
- 42 - الموجز الإرشادي عن الأمراض النفسية (45) تأليف: د. جيمس و د. يليس و ج.م. ماركس  
ترجمة: د. محمد عماد فضلي
- 43 - دليل الطالب في أمراض العظام والكسور سلسلة المناهج الطبية (46) تأليف: د. فرانك ألويسيو وآخرين  
ترجمة: د. أحمد ذياب وآخرين
- 44 - دليل المؤسسات التعليمية والبحثية إعداد: المركز
- 47 - الصحة في الوطن العربي - 3 أجزاء (47)

- 45 - التدرن السريري (48) تأليف: البروفيسور سير جون كروفتن وآخرين  
ترجمة: د. محمد علي شعبان
- 46 - مدخل إلى الأنتروبولوجيا البيولوجية (49) تأليف: د. علي عبدالعزيز النفيلي
- 47 - الموجز الإرشادي عن التشريح (50) تأليف: د. دي. بي. موفات
- 48 - الموجز الإرشادي عن الطب السريري (51) ترجمة: د. محمد توفيق الرخاوي
- 49 - الموجز الإرشادي عن علم الأورام السريري (52) تأليف: د. باري هانكوك و د. ج. ديشيد برادشو
- 50 - معجم الاختصارات الطبية (53) ترجمة: د. خالد أحمد الصالح
- 51 - الموجز الإرشادي عن طب القلب إعداد: المركز
- 52 - الهستولوجيا الوظيفية (55) سلسلة المناهج الطبية تأليف: د. ج. فليمنج وآخرين
- 53 - المفاهيم الأساسية في علم الأدوية (56) سلسلة المناهج الطبية ترجمة: د. عاطف أحمد بلوي
- 54 - المرجع في الأمراض الجلدية (57) سلسلة المناهج الطبية (58) تأليف: د. م. بوريسنكو و د. ت. بورينجر
- 55 - أطلس الأمراض الجلدية (59) سلسلة الأطالس الطبية ترجمة: أ. عدنان اليازجي
- 56 - معجم مصطلحات الطب النفسي (60) سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (61) تأليف: د. جانيت سترينجر
- 57 - أساسيات طب الأعصاب (62) سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (63) ترجمة: د. عادل نوفل
- 58 - معجم مصطلحات علم الأشعة والأورام (64) سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (65) تأليف: د. عبد الرحمن قادري
- 59 - علم الطفيليات الطبية (66) سلسلة المناهج الطبية (67) تأليف: د. جيفري كالين وآخرين
- 60 - الموجز الإرشادي عن فيزيولوجيا الإنسان (68) سلسلة المناهج الطبية (69) ترجمة: د. حجاب العجمي
- 61 - أساسيات طب الأعصاب (70) سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (71) إعداد: د. لطفى الشربيني
- 62 - معجم مصطلحات علم الأشعة والأورام (72) سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (73) مراجعة: د. عادل صادق
- 63 - علم الطفيليات الطبية (74) سلسلة المناهج الطبية (75) تأليف: د. إ. م. س. ولكنسون
- 64 - الموجز الإرشادي عن فيزيولوجيا الإنسان (76) سلسلة المناهج الطبية (77) ترجمة: د. لطفى الشربيني، و د. هشام الحناوي
- 65 - علم الطفيليات الطبية (78) سلسلة المناهج الطبية (79) إعداد: د. ضياء الدين الجماس وآخرين
- 66 - الموجز الإرشادي عن فيزيولوجيا الإنسان (80) سلسلة المناهج الطبية (81) مراجعة وتحرير: مركز تعريب العلوم الصحية
- 67 - علم الطفيليات الطبية (82) سلسلة المناهج الطبية (83) تأليف: د. و. بيك، و د. ج. ديشيز
- 68 - الموجز الإرشادي عن فيزيولوجيا الإنسان (84) سلسلة المناهج الطبية (85) ترجمة: د. محمد خير الحلبي
- 69 - معجم مصطلحات علم الأشعة والأورام (86) سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (87) تحرير: د. جون براي وآخرين
- 70 - معجم مصطلحات علم الأشعة والأورام (88) سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (89) ترجمة: د. سامح السباعي

- 61 - أساسيات علم الوراثة الطبية  
سلسلة المناهج الطبية (65)  
تأليف: د. مايكل كونور  
ترجمة: د. سيد الحديدي
- 62 - معجم مصطلحات أمراض النساء والتوليد  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (66)  
إعداد: د. محمد حجازي وآخرين  
تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية
- 63 - أساسيات علم المناعة الطبية  
سلسلة المناهج الطبية (67)  
تأليف: د. هيلين شابل وآخرين  
ترجمة: د. نائل بازركان
- 64 - معجم مصطلحات الباثولوجيا والمختبرات  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (68)  
إعداد: د. سيد الحديدي وآخرين  
تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية
- 65 - أطلس الهستولوجيا  
سلسلة الأطالس الطبية (69)  
تأليف: د. شو - زين زانج  
ترجمة: د. عبد المنعم الباز وآخرين  
مراجعة: مركز تعريب العلوم الصحية
- 66 - أمراض جهاز التنفس  
سلسلة المناهج الطبية (70)  
تأليف: د. محمود باكير و د. محمد المسالمة  
د. محمد المميز و د. هيام الريس
- 67 - أساسيات طب الجهاز الهضمي (جزءان)  
سلسلة المناهج الطبية (71)  
تأليف: د.ت. يامادا وآخرين  
ترجمة: د. حسين عبدالحميد وآخرين
- 68 - الميكروبيولوجيا الطبية (جزءان)  
سلسلة المناهج الطبية (72)  
تأليف: د. جيو بروكس وآخرين  
ترجمة: د. عبد الحميد عطية وآخرين
- 69 - طب الأطفال وصحة الطفل  
سلسلة المناهج الطبية (73)  
تأليف: د. ماري رودلف، د. مالكوم ليثين  
ترجمة: د. حاتم موسى أبو ضيف وآخرين
- 70 - الموجز الإرشادي عن الباثولوجيا (جزءان)  
سلسلة المناهج الطبية (74)  
تأليف: د.أ.د. تومسون، د.إ. كوتون  
ترجمة: د. حافظ والي
- 71 - طب العائلة  
سلسلة المناهج الطبية (75)  
تأليف: د. محمد خالد المشعان
- 72 - الطبيب، أخلاق ومسؤولية  
سلسلة الكتب الطبية (76)  
تأليف: د. روبرت موراي وآخرين
- 73 - هاربرز في الكيمياء الحيوية (3 أجزاء)  
سلسلة المناهج الطبية (77)  
ترجمة: د. عماد أبو عسلي و د. يوسف بركات
- 74 - أطلس أمراض الفم  
سلسلة الأطالس الطبية (78)  
تأليف: د. كريسيان سكولي وآخرين  
ترجمة: د. صاحب القظان

- 75 - الموجز الإرشادي عن علم الاجتماع الطبي  
سلسلة المناهج الطبية (79)
- 76- دليل المراجعة في أمراض النساء والتوليد  
سلسلة المناهج الطبية (80)
- 77- دليل المراجعة في أمراض الكلى  
سلسلة المناهج الطبية (81)
- 78- دليل المراجعة في الكيمياء الحيوية  
سلسلة المناهج الطبية (82)
- 79- أساسيات علم الدمويات  
سلسلة المناهج الطبية (83)
- 80 - الموجز الإرشادي عن طب العيون  
سلسلة المناهج الطبية (84)
- 81 - مبادئ نقص الخصوبة  
سلسلة المناهج الطبية (85)
- 82 - دليل المراجعة في الجهاز الهضمي  
سلسلة المناهج الطبية (86)
- 83 - الجراحة الإكلينيكية  
سلسلة المناهج الطبية (87)
- 84 - دليل المراجعة في الجهاز القلبي الوعائي  
سلسلة المناهج الطبية (88)
- 85 - دليل المراجعة في الميكروبيولوجيا  
سلسلة المناهج الطبية (89)
- 86 - مبادئ طب الروماتزم  
سلسلة المناهج الطبية (90)
- 87 - علم الغدد الصماء الأساسي والإكلينيكي  
سلسلة المناهج الطبية (91)
- 88 - أطلس الوراثة  
سلسلة الأطالس الطبية (92)
- 89 - دليل المراجعة في العلوم العصبية  
سلسلة المناهج الطبية (93)
- تأليف: د. ديشيد هاناوي  
ترجمة: د. حسن العوضي  
تأليف: د. إيرول نورويتز  
ترجمة: د. فرحان كوجان  
تأليف: د. كريس كالاهاان و د. باري برونر  
ترجمة: د. أحمد أبو اليسر  
تأليف: د. بن جرينشتاين و د. آدم جرينشتاين  
ترجمة: د. يوسف بركات  
تأليف: د.ث. هوفبراند وآخرين  
ترجمة: د. سعد الدين جاويش وآخرين  
تأليف: د. بروس جيمس  
ترجمة: د. سري سبع العيش  
تأليف: د. بيتر برود و د. أليسون تايلور  
ترجمة: د. وائل صبح و د. إسلام أحمد حسن  
تأليف: د. سانيش كاشاف  
ترجمة: د. يوسف بركات  
تأليف: د. ألفريد كوشيري وآخرين  
ترجمة: د. بشير الجراح وآخرين  
تأليف: د. فيليب آرونسون  
ترجمة: د. محمد حجازي  
تأليف: د. ستيفن جليسي و د. كاترين بامفورد  
ترجمة: د. وائل محمد صبح  
تأليف: د. ميشيل سنات  
ترجمة: د. محمود الناقية  
تأليف: فرنسيس جرينسبان و ديشيد جاردنر  
ترجمة: د. أكرم حنفي وآخرين  
تأليف: د. إبرهارد باسرج وآخرين  
ترجمة: د. وائل صبح وآخرين  
تأليف: د. روجر باركر وآخرين  
ترجمة: د. لطفي الشرييني

- إعداد: د. فتحي عبد المجيد وفا  
مراجعة: د. محمد فؤاد الذاكري وآخرين  
تأليف: د. جينيفر بيت وآخرين  
ترجمة: د. نائل عبدالقادر وآخرين  
تأليف: د. بيتر بيرك و د. كاتي سيجنو  
ترجمة: د. عبد المنعم الباز و أ. سميرة مرجان  
تأليف: د. أحمد راغب  
تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية  
إعداد: د. عبد الرزاق سري السباعي وآخرين  
مراجعة: د. أحمد ذياب وآخرين  
إعداد: د. جودث بيترس  
ترجمة: د. طه قمصاني و د. خالد مدني  
تأليف: د. بيرس جراس و د. نيل بورلي  
ترجمة: د. طالب الحلبي  
تأليف: د. روبرت جودمان و د. ستيفن سكوت  
ترجمة: د. لطفي الشربيني و د. حنان طقش  
تأليف: د. بيتر برود  
ترجمة: د. وائل صبح وآخرين  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- 90 - معجم مصطلحات أمراض الفم والأسنان  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (94)
- 91 - الإحصاء الطبي  
سلسلة المناهج الطبية (95)
- 92 - إعاقات التعلم لدى الأطفال  
سلسلة المناهج الطبية (96)
- 93 - السرطانات النسائية  
سلسلة المناهج الطبية (97)
- 94 - معجم مصطلحات جراحة العظام والتأهيل  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (98)
- 95 - التفاعلات الضائرة للغذاء  
سلسلة المناهج الطبية (99)
- 96 - دليل المراجعة في الجراحة  
سلسلة المناهج الطبية (100)
- 97 - الطب النفسي عند الأطفال  
سلسلة المناهج الطبية (101)
- 98 - مبادئ نقص الخصوية (ثنائي اللغة)  
سلسلة المناهج الطبية (102)
- 99 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف A)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (103)
- 100 - دليل المراجعة في التاريخ المرضي  
والفحص الإكلينيكي  
سلسلة المناهج الطبية (104)
- 101 - الأساسيات العامة - طب الأطفال  
سلسلة المناهج الطبية (105)
- 102 - دليل الاختبارات المعملية  
والفحوصات التشخيصية  
سلسلة المناهج الطبية (106)
- تأليف: د. جوثان جليادل  
ترجمة: د. محمود الناقة و د. عبد الرزاق السباعي  
تأليف: د. جوديث سوندهايمر  
ترجمة: د. أحمد فرج الحسانين وآخرين  
تأليف: د. دنيس ويلسون  
ترجمة: د. سيد الحديدي وآخرين

- 103 - التغيرات العالمية والصحة  
سلسلة المناهج الطبية (107)  
تحرير: د. كيلبي لي و جيف كولين  
ترجمة: د. محمد براء الجندي
- 104 - التعرض الأولي  
الطب الباطني: طب المستشفيات  
سلسلة المناهج الطبية (108)  
ترجمة: د. عبدالناصر كعدان وآخرين
- 105 - مكافحة الأمراض السارية  
سلسلة المناهج الطبية (109)  
تحرير: د. نورمان نوح  
ترجمة: د. عبدالرحمن لطفي عبدالرحمن
- 106 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف B)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (B)  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبدالرحمن عبدالله العوضي
- 107 - علم النفس للممرضات ومهنيي  
الرعاية الصحية  
سلسلة المناهج الطبية (110)  
تأليف: د. جين ولكر وآخرين  
ترجمة: د. سميرة ياقوت وآخرين
- 108 - التشريح العصبي (نص وأطلس)  
سلسلة الأطلس الطبية العربية (111)  
تأليف: د. چون هـ - مارتن  
ترجمة: د. حافظ والي وآخرين
- 109 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف C)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (C)  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- 110 - السرطان والتدبير العلاجي  
سلسلة المناهج الطبية (112)  
تأليف: روبرت سوهامي - جيفري توبياس  
ترجمة: د. حسام خلف وآخرين
- 111 - التشخيص والمعالجة الحالية:  
الأمراض المنقولة جنسياً  
سلسلة المناهج الطبية (113)  
محرر: د. جيفري د. كلوسنر وآخرين  
ترجمة: د. حسام خلف وآخرين
- 112 - الأمراض العدوائية .. قسم الطوارئ -  
التشخيص والتدبير العلاجي  
سلسلة المناهج الطبية (114)  
تحرير: د. إين م. سلاطين وآخرين  
ترجمة: د. ضياء الدين الجماس وآخرين
- 113 - أسس الرعاية الطارئة  
سلسلة المناهج الطبية (115)  
تحرير: د. كليث ايثانز وآخرين  
ترجمة: د. جمال جودة وآخرين
- 114 - الصحة العامة للقرن الحادي والعشرين  
آفاق جديدة للسياسة والمشاركة والممارسة  
سلسلة المناهج الطبية (116)  
تحرير: د. جودي أورم وآخرين  
ترجمة: د. حسناء حمدي وآخرين

- 115 - الدقيقة الأخيرة - طب الطوارئ  
سلسلة المناهج الطبية (117)
- 116 - فهم الصحة العالمية  
سلسلة المناهج الطبية (118)
- 117 - التدبير العلاجي لألم السرطان  
سلسلة المناهج الطبية (119)
- 118 - التشخيص والمعالجة الحالية - طب  
الروماتزم - سلسلة المناهج الطبية (120)
- 119 - التشخيص والمعالجة الحالية - الطب الرياضي  
سلسلة المناهج الطبية (121)
- 120 - السياسة الاجتماعية للممرضات  
والمهن المساعدة  
سلسلة المناهج الطبية (122)
- 121 - التسمم وجرعة الدواء المفرطة  
سلسلة المناهج الطبية (123)
- 122 - الأرجية والربو  
"التشخيص العملي والتدبير العلاجي"  
سلسلة المناهج الطبية (124)
- 123 - دليل أمراض الكبد  
سلسلة المناهج الطبية (125)
- 124 - الفيزيولوجيا التنفسية  
سلسلة المناهج الطبية (126)
- 125 - البيولوجيا الخلوية الطبية  
سلسلة المناهج الطبية (127)
- 126 - الفيزيولوجيا الخلوية  
سلسلة المناهج الطبية (128)
- 127 - تطبيقات علم الاجتماع الطبي  
سلسلة المناهج الطبية (129)
- 128 - طب نقل الدم  
سلسلة المناهج الطبية (130)
- تحرير: د. ماري جو واجنر وآخرين  
ترجمة: د. ناصر بوكلي حسن وآخرين  
تحرير: د. وليام هـ . ماركال وآخرين  
ترجمة: د. جاكلين ولسن وآخرين  
تأليف: د. مايكل فيسك و د. ألين برتون  
ترجمة: د. أحمد راغب و د. هشام الوكيل  
تأليف: د. جون إمبودن وآخرين  
ترجمة: د. محمود الناقه وآخرين  
تحرير: د. باتريك ماكموهون  
ترجمة: د. طالب الحلبي و د. نائل بازركان  
تأليف: د. ستيفن بيكهام و د. ليز ميراباوا  
ترجمة: د. لطفي عبد العزيز الشرييني وآخرين  
تحرير: د. كينت أولسون وآخرين  
ترجمة: د. عادل نوفل وآخرين  
تحرير: د. مسعود محمدي  
ترجمة: د. محمود باكير وآخرين  
تحرير: د. لورانس فريدمان و د. أميت كييفي  
ترجمة: د. عبد الرزاق السباعي وآخرين  
تأليف: د. ميشيل م. كلوتير  
ترجمة: د. محمود باكير وآخرين  
تأليف: روبرت نورمان و ديفيد لودويك  
ترجمة: د. عماد أبو عسلي و د. رانيا توما  
تأليف: د. مورديكاي بلوشتاين وآخرين  
ترجمة: د. نائل بازركان  
تحرير: د. جراهام سكامبلر  
ترجمة: د. أحمد ديب دشاش  
تأليف: د. جيفري ماكولف  
ترجمة: د. سيد الحديدي وآخرين

- 129 - الفيزيولوجيا الكلوبية  
تأليف: د. بروس كوين وآخرين  
ترجمة: د. محمد بركات
- 130 - الرعاية الشاملة للحروق  
سلسلة المناهج الطبية (131)
- 131 - سلامة المريض - بحوث الممارسة  
سلسلة المناهج الطبية (132)
- 132 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف D)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (D)
- 133 - طب السفر  
سلسلة المناهج الطبية (134)
- 134 - زرع الأعضاء  
دليل للممارسة الجراحية المتخصصة  
سلسلة المناهج الطبية (135)
- 135 - إصابات الأسلحة النارية في الطب الشرعي  
سلسلة المناهج الطبية (136)
- 136 - "ليثين وأونيل" القدم السكري  
سلسلة المناهج الطبية (137)
- 137 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف E)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (E)
- 138 - معجم تصحيح البصر وعلوم الإبصار  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (138)
- 139 - معجم "بيلير"  
للمرضين والمرضات والعاملين  
في مجال الرعاية الصحية  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (139)
- تأليف: د. بروس كوين وآخرين  
ترجمة: د. ديثيد هيرنادون  
ترجمة: د. حسام الدين خلف وآخرين  
تحرير: د. كيرين ولش و د. روث بودن  
ترجمة: د. تيسير العاصي  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- تحرير: د. جاي كايستون وآخرين  
ترجمة: د. عادل نوفل وآخرين  
تحرير: د. جون فورسيث  
ترجمة: د. عبد الرزاق السباعي  
د. أحمد طالب الحلبي  
تأليف: د. محمد عصام الشيخ  
تأليف: د. جون بوكرو ومايكل فايفر  
ترجمة: د. أشرف رمسيس وآخرين  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- تأليف: د. ميشيل ميلودوت  
ترجمة: د. سري سيع العيش  
و د. جمال إبراهيم المرجان  
تأليف: د. باربرا - ف. ويلر  
ترجمة: د. طالب الحلبي وآخرين

- 140 - علم أعصاب النوم  
تأليف: د. روبرت ستيكجولد و ماثوي والكر  
سلسلة المناهج الطبية (140)  
ترجمة: د. عبير محمد عدس
- 141 - كيف يعمل الدواء  
"علم الأدوية الأساسي لمهنيي الرعاية الصحية"  
سلسلة المناهج الطبية (141)  
ترجمة: د. دينا محمد صبري  
و د. نيرمين سمير شنودة
- 142 - مشكلات التغذية لدى الأطفال  
"دليل عملي"  
سلسلة المناهج الطبية (142)  
ترجمة: د. خالد المدني وآخرين  
تحرير: أنجيلا ساوثال وكلايسا مارتن
- 143 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف F)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (F)  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- 144 - المرض العقلي الخطير -  
الأساليب المتمركزة على الشخص  
سلسلة المناهج الطبية (143)  
ترجمة: د. محمد صبري سليط  
تحرير: إبراهيم رودنيك وديفيد روي
- 145 - المنهج الطبي المتكامل  
سلسلة المناهج الطبية (144)  
تأليف: راجا بانداراناياكي  
ترجمة: د. جاكلين ولسن
- 146 - فقد الحمل  
"الدليل إلى ما يمكن أن يوفره"  
كل من الطب المكمل والبديل"  
سلسلة المناهج الطبية (145)  
ترجمة: د. محمد جابر صدقي
- 147 - الألم والمعاناة والمداواة  
"الاستبصار والفهم"  
سلسلة المناهج الطبية (146)  
تحرير: بيتر ويميس جورمان
- 148 - الممارسة الإدارية والقيادة للأطباء  
سلسلة المناهج الطبية (147)  
ترجمة: د. هشام الوكيل  
تأليف: جون واتيس و ستيفن كوران  
د. طارق حمزه عبد الرؤوف

- 149 - الأمراض الجلدية لدى المسنين  
تأليف: كولبي كريغ إيفانز و ويتني هاي  
ترجمة: د. تيسير كايد العاصي  
150 - طبيعة ووظائف الأحلام  
تأليف: د. أرنست هارتمان  
ترجمة: د. تيسير كايد العاصي  
151 - تاريخ الطب العربي  
تأليف: د. محمد جابر صدقي  
152 - عوائد المعرفة والصحة العامة  
تأليف: د. يعقوب أحمد الشراح  
سلسلة المناهج الطبية (151)  
153 - الإنسان واستدامة البيئة  
تأليف: د. يعقوب أحمد الشراح  
سلسلة المناهج الطبية (152)  
154 - كيف تؤثر الجينات على السلوك  
تأليف: جوناثان فلنت و رالف غرينسبان  
و كينيث كندلر  
ترجمة: د. علي عبد العزيز النفيلي  
و د. إسراء عبد السلام بشر  
155 - التمريض للصحة العامة  
تحرير: بول لينسلي و روزلين كين و سارة أوين  
ترجمة: د. أشرف إبراهيم سليم  
التعزيز والمبادئ والممارسة  
سلسلة المناهج الطبية (154)  
156 - مدخل إلى الاقتصاد الصحي  
تحرير: لورنا جينيس و فيرجينيا ايزمان  
ترجمة: د. سارة سيد الحارثي وآخرين  
157 - تمريض كبار السن  
تحرير: جان ريد و شارلوت كلازك و آن ماكفارلين  
ترجمة: د. تيسير كايد عاصي  
سلسلة المناهج الطبية (156)  
و د. محمود علي الزغبى  
158 - تمريض الحالات الحادة للبالغين  
تحرير: كارين باج و أيدين مكيني  
كتاب حالات مرضية  
ترجمة: د. عبد المنعم محمد عطوه  
سلسلة المناهج الطبية (157)  
و د. عماد حسان الصادق

- 159 - النظم الصحية والصحة والثروة  
والرفاهية الاجتماعية  
"تقييم الحالة للاستثمار في النظم الصحية"  
سلسلة المناهج الطبية (158)  
تأليف: جوسيب فيجويراس و مارتن ماكي  
ترجمة: د. تيسير كايد عاصي وآخرين
- 160 - الدليل العملي لرعاية مريض الحرف  
سلسلة المناهج الطبية (159)  
تأليف: غاري موريس و جاك موريس  
ترجمة: د. عبير محمد عدس  
تأليف: جوليا بوكرويد
- 161 - تعرّف على ما تأكل  
كيف تتناول الطعام دون قلق؟  
سلسلة المناهج الطبية (160)  
ترجمة: د. إيهاب عبد الغني عبد الله
- 162 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف G)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (G)  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- 163 - العلة والصحة النفسية في علم الاجتماع  
سلسلة المناهج الطبية (161)  
تأليف: آن روجرز و ديفيد بلجرم  
ترجمة: د. تيسير عاصي و د. محمد صدقي  
و د. سعد شبير
- 164 - تعايش صغار السن مع السرطان  
مقتضيات للسياسة والممارسة  
سلسلة المناهج الطبية (162)  
تأليف: آن جرينيار  
ترجمة: د. تيسير كايد عاصي
- 165 - مقالات في قضايا الصحة والبيئة  
سلسلة المناهج الطبية (163)  
إعداد: مجموعة من الأطباء والمختصين
- 166 - الخدمة الاجتماعية وتعاطي المخدرات  
سلسلة المناهج الطبية (164)  
تأليف: إيان بايلور و فيونا مشعام و هيوج أشير  
ترجمة: د. دينا محمد صبري
- 167 - أسس الممارسة الطبية المساندة  
رؤية نظرية  
سلسلة المناهج الطبية (165)  
ترجمة: د. صالح أحمد ليري  
و د. أشرف إبراهيم سليم
- 168 - الصحة البيئية  
سلسلة المناهج الطبية (166)  
تأليف: ديد مولر  
ترجمة: د. حسام عبد الفتاح صديق

- 169 - الطب النووي  
تأليف: د. إيمان مطر الشمري
- 170 - الطب التكميلي والبديل  
سلسلة المناهج الطبية (167)
- و د. جيهان مطر الشمري  
تأليف: د. محمد جابر صدقي
- 171 - 100 حالة في جراحة وتقويم  
العظام وطب الروماتزم  
سلسلة المناهج الطبية (168)
- تأليف: بارميندر سينج و كاثرين سوائز  
محرر السلسلة: جون ريس
- 172 - التشريح الشعاعي العملي  
سلسلة المناهج الطبية (169)
- ترجمة: د. محمد جابر صدقي
- تأليف: سارة ماك و يليامز
- 173 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف H)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (H)
- ترجمة: د. تيسير كايد عاصي
- إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح
- إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- 174 - التوحد  
سلسلة المناهج الطبية (170)
- تأليف: ماري كولمان و كريستوفر جيلبرج
- ترجمة: د. تيسير كايد عاصي
- 175 - الطب التلطيفي  
سلسلة المناهج الطبية (171)
- تأليف: د. أمينة محمد أحمد الأنصاري
- 176 - التشريح العصبي لمناطق  
اللغة بالدماغ البشري  
سلسلة الأطالس الطبية (172)
- تأليف: ميشيل بتريديس
- ترجمة: د. محمد إسماعيل غريب إسماعيل
- 177 - الطعام والإدمان - دليل شامل  
سلسلة المناهج الطبية (173)
- تحرير: كيلبي برونيل و مارك جولد
- ترجمة: د. سلام محمد أبو شعبان
- و د. هبه حمود البالول
- 178 - دور الحيوانات في ظهور  
الأمراض الفيروسية  
سلسلة المناهج الطبية (174)
- تحرير: نيكولاس چونسون
- ترجمة: د. أحمد محمد شوقي أبو القمصان
- 175 - سلسلة المناهج الطبية (175)

- 179 - شقيقة الدماغ " الوظيفة والبنية  
التصويرية"  
تحرير: ديفيد بورسوك وآخرين  
ترجمة: د. تيسير كايد عاصي  
سلسلة المناهج الطبية (176)  
و د. إيهاب عبد الغني عبد الله
- 180 - معجم الوراثة  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (177)  
تأليف: روبرت كنج و بامبلا موليجان  
و ويليام ستانسفيلد  
ترجمة: د. تيسير كايد عاصي  
و د. شيرين جابر محمد
- 181 - الأمراض الفيروسية  
سلسلة المناهج الطبية (178)  
تأليف: د. يعقوب أحمد الشراح
- 182 - الوعي باستثمار المعرفة وتنميتها  
سلسلة المناهج الطبية (179)  
تأليف: د. جاكلين ولسن متي
- 183 - إدارة المستشفيات  
سلسلة المناهج الطبية (180)  
تأليف: جوس إجرمونت
- 184 - الضوضاء والدماغ  
تكيّفية البالغين والتطور النمائي  
المعتمد على الخبرة  
سلسلة المناهج الطبية (181)  
ترجمة: د. تيسير كايد عاصي
- 185 - الممارسة العملية للفحص بفائق الصوت  
دليل مصور  
سلسلة المناهج الطبية (182)  
تأليف: د. جين آنتي و د. إدوارد هوي  
ترجمة: د. جيلان مصطفى أحمد شنب
- 186 - المعجم المفسر للطب والعلوم الصحية  
(الإصدار الأول حرف I)  
سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة (I)  
إعداد: د. يعقوب أحمد الشراح  
إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله العوضي
- 187 - كيف تموت المدرسة ؟  
سلسلة المناهج الطبية (183)  
تأليف: د. يعقوب أحمد الشراح

- 188 - التعامل مع النصوص والمصطلحات  
الطبية والصحية (دليل المترجم)  
سلسلة المناهج الطبية (184)
- 189 - منع عداوى المستشفيات  
مشكلات حقيقية وحلول واقعية  
سلسلة المناهج الطبية (185)
- 190 - سرطانة الخلايا الكلوية  
سلسلة المناهج الطبية (186)
- 191 - الانتحار  
الموت غير المحتمي  
سلسلة المناهج الطبية (187)
- 192 - ما الخطأ في مرارتي ؟  
فهم استئصال المرارة بتنظير البطن  
سلسلة المناهج الطبية (188)
- 193 - عمل واستخدام الأضداد  
دليل عملي  
سلسلة المناهج الطبية (189)
- 194 - التخطيط الصحي  
سلسلة المناهج الطبية (190)
- 195 - رعاية المحتضرين  
سلسلة المناهج الطبية (191)
- 196 - مدخل إلى علم المصطلح الطبي  
سلسلة المناهج الطبية (192)
- تأليف: د. قاسم طه الساره
- تأليف: سانجاي سانت و سارة كرين  
و روبرت ستوك
- ترجمة: د. عبد الرحمن لطفي عبد الرحمن  
تحرير: نيزار تانير
- ترجمة: د. عبيد محمد عدس  
تحرير: دانتوتا واسرمان
- ترجمة: د. تيسير كايد عاصي
- تأليف: وي - ليانج لو و كونراد أونج  
نتالي نجوي و سنج شانج نجوي
- ترجمة: د. محمود حافظ الناقة  
تحرير: جاري هوارد و ماثيو كاسر
- ترجمة: د. تيسير كايد عاصي
- تأليف: د. قاسم طه الساره
- تحرير: جوديث بايس
- محرر السلسلة: بيتي فيريل
- ترجمة: د. عبيد محمد عدس
- تأليف: د. قاسم طه الساره

- 197 - أفضل 300 إجابة منفردة  
في الطب الإكلينيكي  
سلسلة المناهج الطبية (193)  
تأليف: جيمس ديفيز و جورج كولينز  
و أوسكار سويفت  
تحرير: هيسو بينون  
ترجمة: د. قاسم طه الساره  
و د. عبد الرحمن لطفي عبد الرحمن  
و د. بدر محمد المراد
- 198 - النساء والمرض القلبي الوعائي  
معالجة الفوارق في تقديم الرعاية  
سلسلة المناهج الطبية (194)  
تأليف: كيفين كامبل  
ترجمة: د. عهد عمر عرفه
- 199 - التوعية الصحية  
دليل العاملين في مجال الرعاية الصحية  
سلسلة المناهج الطبية (195)  
تأليف: د. أميمة كامل السلاموني
- 200 - الصحة المدرسية  
سلسلة المناهج الطبية (196)  
تأليف: د. عبير عبده بركات
- 201 - رواد الطب غير الحاصلين  
على جائزة نوبل  
سلسلة المناهج الطبية (197)  
تحرير: جيلبرت طومسون  
ترجمة: د. تيسير كايد عاصي
- 202 - المرشد في الإسعافات الأولية  
سلسلة المناهج الطبية (198)  
تأليف: د. عبد المنعم محمد عطوه
- 203 - الطب الوقائي  
سلسلة المناهج الطبية (199)  
تأليف: د. خالد علي المدني  
و د. مجدي حسن الطوخي
- 204 - العربية وإشكالية التعريب  
في العالم العربي  
سلسلة المناهج الطبية (200)  
تأليف: د. علي أسعد وطفة



## **ARAB CENTER FOR AUTHORSHIP AND TRANSLATION OF HEALTH SCIENCE**

The Arab Center for Authorship and Translation of Health Science (ACMLS) is an Arab regional organization established in 1980 and derived from the Council of Arab Ministers of Public Health, the Arab League and its permanent headquarters is in Kuwait.

**ACMLS** has the following objectives:

- Provision of scientific & practical methods for teaching the medical sciences in the Arab World.
- Exchange of knowledge, sciences, information and researches between Arab and other cultures in all medical health fields.
- Promotion & encouragement of authorship and translation in Arabic language in the fields of health sciences.
- The issuing of periodicals, medical literature and the main tools for building the Arabic medical information infrastructure.
- Surveying, collecting, organizing of Arabic medical literature to build a current bibliographic data base.
- Translation of medical researches into Arabic Language.
- Building of Arabic medical curricula to serve medical and science Institutions and Colleges.

**ACMLS** consists of a board of trustees supervising ACMLS general secretariate and its four main departments. ACMLS is concerned with preparing integrated plans for Arab authorship & translation in medical fields, such as directories, encyclopedias, dictionaries, essential surveys, aimed at building the Arab medical information infrastructure.

**ACMLS** is responsible for disseminating the main information services for the Arab medical literature.

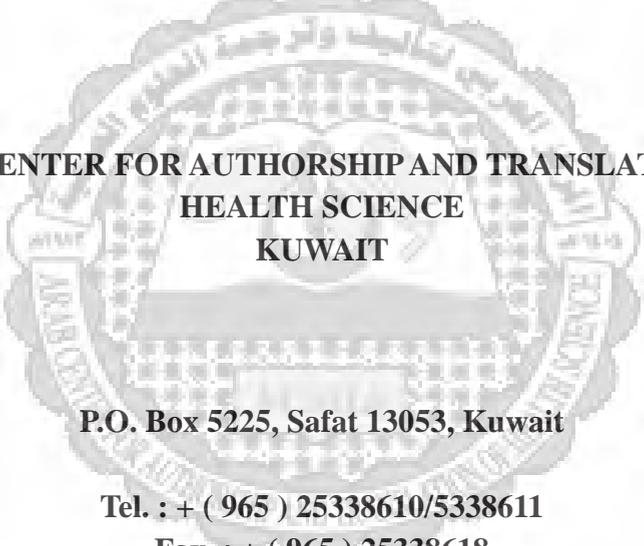
© COPYRIGHT - 2019

ARAB CENTER FOR AUTHORSHIP AND TRANSLATION OF  
HEALTH SCIENCE

ISBN: 978-9921-700-46-6

**All Rights Reserved, No Part of this Publication May be Reproduced,  
Stored in a Retrieval System, or Transmitted in Any Form, or by  
Any Means, Electronic, Mechanical, Photocopying, or Otherwise,  
Without the Prior Written Permission of the Publisher :**

ARAB CENTER FOR AUTHORSHIP AND TRANSLATION OF  
HEALTH SCIENCE  
KUWAIT



P.O. Box 5225, Safat 13053, Kuwait

Tel. : + ( 965 ) 25338610/5338611

Fax. : + ( 965 ) 25338618

E-Mail: [acmls@acmls.org](mailto:acmls@acmls.org)

[http:// www.acmls.org](http://www.acmls.org)

*Printed and Bound in the State of Kuwait.*



**ARAB CENTER FOR AUTHORSHIP AND  
TRANSLATION OF HEALTH SCIENCE - KUWAIT**

# **The Arabic Language and the Problems of Arabization in the Arab World**

**By**

**Prof. Ali Asaad Watfa**

**Revised & Edited by**

**Arab Center for Authorship and Translation of Health Science**

**ARABIC MEDICAL CURRICULA SERIES**



**ARAB CENTER FOR AUTHORSHIP AND  
TRANSLATION OF HEALTH SCIENCE - KUWAIT**

# **The Arabic Language and the Problems of Arabization in the Arab World**

**By**

**Prof. Ali Asaad Watfa**

**Revised & Edited by**

**Arab Center for Authorship and Translation of Health Science**

**2019م**